

تُورِكَةُ الْمَوْطِينِ لِلْمُهَيَّبِ (عج)

في ضوء أحاديث أهل السنة

طبعة جديدة وفيها بحوث إضافية

الشيخ محمد بن عبد العزيز

متخصص في الدراسات الغيبية
الخاصة بمستقبل الأمة الإسلامية

ثورة الموطئين للمهدي

في ضوء أحاديث أهل السنة

طبعة جديدة وفيها بحوث اضافية

شبكة كتب الشيعة

الشيخ مهدي الفتلاوي

فحص في الدراسات الغيبية

الخاصة بمستقبل الأمة الاسلامية



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

**حقوق الطبع والترجمة محفوظة
لمركز
بقية الله لآحياء علوم أهل البيت (ع)**

الطبعة الأولى: دار البلاغة - لبنان - بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثانية: دار الوسيلة - لبنان - بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ﴿ وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ فستل : من هم ؟ قال : « فارس لو كان الدين بالثريا لتناولوه رجال من فارس » . رواه السيوطي عن ابن مردويه .

● عن ابي هريرة أنه قال: قال ناس من اصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا، ثم لم يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال: «هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطاً بالثريا لتناولوه رجال من فارس» . رواه الترمذي والحاكم .

● عن عبدالله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ « يخرج قوم من المشرق يوطنون للمهدي سلطانه » . رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط .

● عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من المشرق رايات لبني العباس ، ثم يمكثون ما شاء الله ، ثم تخرج رايات سود صغار - تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان - واصحابها من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي» . رواه ابن حماد في الفتن .

● عن محمد بن الحنفية قال «تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان اخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض - على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم - يهزمون اصحاب السفيناني ، حتى ينزل بيت المقدس يوطيء للمهدي سلطانه» .

رواه ابن حماد وابو عمر الداني .

الإهداء

إلى أسد الله الغالب ، أمير المؤمنين ، وقائد الغر
المحجلين ، الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام .
إلى خليفة خاتم المرسلين ، وأخيه ، ووصيه ،
ووارث علمه ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، سيدة نساء
العالمين وأبي سبطيه الحسن والحسين صلوات الله
وسلامه عليهم جميعاً .
﴿يا أيها العزيز : مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِيضَاعٍ
مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ .

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

أخذ كتابنا هذا طريقه الى الطبعة الأولى في وقت لم تتكامل لدينا موضوعاته في فصله الثالث، لانها كانت مسودات ناقصة تفتقر اكثر افكارها ونصوصها ومصادرها الى التحقيق والتعليق، ولكن صديقنا العزيز الذي تبني طباعته أصرّ على تقديمه للطبع على ما هو عليه، وقد فوجئنا بطباعته في دار نشر ناشئة لم تكن بمستوى المسؤولية العلمية فأثقلته بالاطعاء المطبعية والفنية بالاضافة الى انها دمجت فصله الثالث بالثاني، وأهملت طباعة جريدة مصادره، ووضعتها في سلة المهملات من دون أن تفكر في الجهد الكبير والوقت الثمين الذي بذلناه لاعدادها.

ولكن كانت الطبعة الاولى للكتاب تجربة ثرية بالعطاء الفكري والوعي السياسي بما يخص موضوع البحث بالنسبة لنا، حيث ازددنا يقيناً بأهمية الدراسات المهدوية، وبدورها الفاعل في حركة الصحوة الاسلامية المعاصرة. وانطلاقاً من الملاحظات القيّمة التي وصلتنا من القراء الاوفياء، أعدنا النظر من جديد في موضوعات الكتاب، فتلافينا جوانب الخطأ والنقص والاشتباه فيه، وحذفنا منه الكلمات الثقيلة التي قد يساء فهمها من قبل مرضى القلوب ممن يقيّمون الفكر الالهي بمقاييس أبي لهب، ويتعاملون مع مفاهيم القرآن بعقلية أبي جهل، الأسيرة للنزعة القومية المقمّية.

واعدنا ايضاً صياغة بعض موضوعات الكتاب، التي لم تكن في السابق بدرجة كافية في الوضوح، وقدمنا بعض الاضافات التوضيحية المكمله لموضوعات البحث.

وكل هذه التعديلات والتغييرات حدثت في الفصل الاول والثاني، اما الفصل الثالث فقد أكملنا دراسة موضوعاته بحثاً وتحقيقاً وتعليقاً وتوسعنا به كثيراً لاهمية نصوصه باعتبارها تمثل الجانب التطبيقي لقانون الاستبدال على الصعيد النظري.

وكانت احاديث الموطئين في الطبعة الاولى لا تتجاوز الـ(٤٠) حديثاً، في الفصل الثالث، بينما بلغت في هذه الطبعة (١٤٦) حديثاً، قدمنا من خلالها صورة متكاملة عن حركة الموطئين السياسية والجهادية منذ انطلاقتها من بلاد المشرق حتى ظهور قائدها المنتظر ﷺ وتسليم رايته له.

ومن الجدير بالذكر ان الغاية من هذه الدراسة هو تسليط الاضواء على النصوص الغيبية الخاصة بقضية الموطئين، دون السعي لتطبيقها على الواقع تاركاً عملية التطبيق للقراء أنفسهم.

اللهم أجعل عملي هذا خالصاً لوجهك الكريم، لا أبتغي منه إلا تبليغ رسالتك، ولا اطلب به إلا نيل رضاك. وان يكون تحت نظر وليك الاعظم صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

لبنان - بيروت

٢٣ / ربيع الثاني / ١٤١٦

مقدمة الطبعة الاولى

هذا هو الكتاب الثاني من مجموعة (دراسات في الثقافة المهدوية) التي وعدت القراء الأعزاء بإخراجها تباعاً، وهو يتناول دراسة البشارة القرآنية والنبوية بقيام ثورة المواطنين للمهدي في بلاد المشرق. والمتأمل في النصوص المبشرة بهذه الثورة، يتأكد بأنها تتناول أهم الأحداث السياسية والعلائم الغيبية التي تسبق الظهور المقدس على الإطلاق وذلك لأمرين مهمين:

الأول: لقيامها بمهمة التمهيد للثورة الإسلامية العالمية المرتقبة، وهو معنى قوله ﷺ: «يخرج قوم من المشرق يوطنون للمهدي سلطانة»^(١). وكذلك قول الإمام علي عليه السلام: «وإن لآل محمد بالطالقان لكثرأ سيظهره الله إذا شاء دعاء حق يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله»^(٢).

الثاني: لأنها السبب المباشر لعودة الإسلام إلى الحياة السياسية من جديد لمواجهة أعدائه بقيادة المجتمع الاسلامي البديل، بعد غياب طويل كان نتيجة لانحراف أبنائه المستبدلين عن نهجه الأصيل، وهو معنى قوله تعالى:

(١) سنن ابن ماجة، ج ٢ ح ٨٨-٤، مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٣١٨ كنز العمال، ج ١٤ ح ٣٨٦٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٧ ص ٤٨.

﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم﴾^(١).

فإن المروي باسانيد صحيحة في الصحاح السنة ، أن القوم المستبدلین هم العرب والبديل عنهم الفرس . ويتحقق هذا الاستبدال في آخر الزمان عندما تتحقق شروطه السلبية في المجتمع المستبدل ، والايجابية في المجتمع البديل . ومن هذا المنطلق فإن ثورة المواطنين للمهدي عليه السلام تمثل الجانب التطبيقي الايجابي لقانون الاستبدال الإلهي في التاريخ السياسي للامة الإسلامية قبل الثورة المهديوية .

إن أساس البحث - لإثبات حتمية تحقق ثورة المواطنين - يعتمد على فهم قانون الاستبدال الإلهي ودوره في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي وفي نقل مسؤولية حمل الرسالة وقيادة الأمة ، من المجتمع الخائن للأمانة الإلهية إلى المجتمع البديل الذي توقرت فيه المقومات الإيجابية لحملها والإشراف على تجربتها الإيمانية والسياسية والحضارية .

إن أهم عوامل الاستبدال السلبية ، هو رفض رموز الخلافة الإلهية التي يجب أن تقود الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا العامل كان السبب المباشر لاختلاف الأمة بعد نبيها وتمزقها وضعفها أمام أعدائها ، وهو أيضاً السبب الأكبر في انتقاض أحكام الاسلام وتفكك عُرَاه ، الأمر الذي أدى أخيراً الى اقصائه عن التطبيق ، وانحراف اكثر المسلمين عنه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «لست تقضن عرى الاسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهنّ نقضاً الحكم وآخرهنّ الصلاة»^(٢).

ولهذا السبب أولينا قضية الخلافة الإلهية - المرفوضة من قبل المجتمع

(١) سورة محمد، الآية (٣٨).

(٢) مجمع الزوائد ، ج ٧ ص ٢٨١ ، وقال: رواه احمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

المستبدل- اهتماماً كبيراً في البحث واسهبنا في إيضاها ودراسة الظروف التاريخية السلبية التي احاطت بها ، باعتبارها من أهم عوامل الاستبدال ببعديه السليبي المتمثل في واقع المجتمع المستبدل الراض لها ، والإيجابي المتجسد في حركة المجتمع البديل المتمسك بها.

وحرصاً منا على توفر أكبر قدر ممكن من الموضوعية العلمية في بحث قضية المواطنين ، التي قد يوحى الموقع الجغرافي والقاعدة الاجتماعية لانطلاقها بالطابع المذهبي والطائفي الخاص ، فقد آثرنا الاقتصار على دراستها في حدود ما روي بشأنها من روايات في مصادر أهل السنة ، على أمل العودة لموضوع البحث مرة أخرى ودراسته في كتاب مستقل في ضوء أحاديث مدرسة أهل بيت النبوة إن شاء الله تعالى.

موضوعات الكتاب

يتألف كتاب (ثورة المواطنين) من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة. تعرض المدخل لمنهج البحث مع تقديم فكرة عامة عن قانون الاستبدال ومبدأ اتباع سنن الماضين ، وبيان علاقتهما بموضوع البحث. وتناول الفصل الأول تفسير أهم وأطول نصّ قرآني تعرض لقانون الاستبدال وعوامله ، وتطرق للمتغيرات السياسية والاجتماعية التي تحتم تحقيقه في تاريخ الأمة .

وأما الفصل الثاني فقد تصدى -في القسم الأول منه - لدراسة نصوص الاستبدال في السنّة النبويّة وقدم -في القسم الثاني- تصوراً إجمالياً لماضي وحاضر المجتمعين المستبدل والبديل لتسليط الأضواء على عوامل الاستبدال في مجالها التطبيقي في التاريخ الإسلامي .

وفي الفصل الثالث تمت مواكبة ثورة المواطنين ، في ضوء البشارة

النبوية التي وصفها بدقة منذ انطلاقتها حتى ظهور قائدها المنتظر ﷺ وتسليم رايته له ، وتناول هذا الفصل أيضاً عدداً من الأبحاث التي لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب ، مثل تقييم اخبار الموثقين من حيث الدلالة والسند ، وذكر آراء بعض علماء أهل السنة ممن تصدوا لدراستها ، وعرض بعض الأدلة العقلية المؤيدة لمضمونها ، والردّ على الآراء المعارضة لها ، ثم انتهى الفصل بوقفه قصيرة في ظلال أحاديث الموثقين للمهدي ﷺ ، وبعد ذلك جاءت خاتمة الكتاب.

ومن الجدير بالذكر اننا لم نعالج - في هذا الكتاب - الاحاديث المروية من طرق الامامية ، التي يستدل بها البعض على عدم شرعية العمل الجهادي بهدف إقامة مجتمع او دولة اسلامية صالحة قبل دولة المهدي المنتظر ﷺ ، لاننا بالأساس اقتصرنا على دراسة هذه القضية الغيبية في اطار ما روي بشأنها في مصادر أهل السنة فحسب .

وأنبه القراء الكرام بأنني هنا لا اطبق قضية الموثقين على الثورة الاسلامية المعاصرة في ايران ؛ لأنّ عملية التطبيق تتطلب إحاطة علمية كاملة بجميع المواصفات المنصوص عليها للحدث الغيبي المستقبلي وهي لم تتوفر كلها في هذه الدراسة ، بسبب استبعادها احاديث أهل البيت ﷺ التي تميّزت باعطاء ادق المواصفات والتفاصيل لحركة الثورة الموطئة للمهدي ﷺ في انتصاراتها وهزائمها ، واستقامتها وانحرافاتهما ، وفي وصف قياداتها منذ انطلاقتها حتى تسليم رايته للامام المهدي ﷺ .

من أهداف البحث

ليس الهدف من هذه الدراسة أن ألهم العاملين للإسلام روح الاسترخاء والاستسلام لثقافة الغيب ، وإنما غرضي منها أن أضعهم في اطار المخطط

الإلهي الغيبي لمستقبل هذا الدين ، لينطلقوا في عملهم الرسالي والجهادي من وعي شامل للفكر الاسلامي بكل أبعاده الموضوعية والغيبيّة ، فيتميزوا بذلك عن الاحزاب الدينية الضالّة والعلمانية المنحرفة ، التي تصادر عنصر الغيب في فهم الأحداث السياسية وتفسيرها ، وتستبعد تدخل الله تعالى في الصراع بين قوى الكفر والايمان على أرض الواقع.

وفي ضوء الرؤية المستقبلية المستمدة من رسالة المغيبيات الإسلامية يصبح المجاهدون في مأمن من خطر الجهل بالمؤامرات الفكرية والسياسية التي تخطط لها دول الكفر وطواير النفاق وائمة الضلال لمواجهة قواعد الاشعاع الرسالي والجهادي التي تتحقق على الأرض بالإمداد الغيبي والتخطيط الإلهي.

وليعلم القراء الاعزاء ان الثقافة الغيبيّة لم تنزل من السماء إلى الأرض ، ولم تصدر من مقام النبوة المقدس ، ليهرب المسلم في خيالها البعيد عن واقعه الاجتماعي المليء بالمأساة ، والزاهر بالظلم والجور والفساد ، ويعيش في ظلالها المستقبل المجهول ، ويتخلى عن مسؤولياته الشرعية ، بل هي رسالة الهدى الإلهي للمسلم الرسالي الواعي في صراعه مع رموز الكفر والنفاق والضلال ، فهي لا تنفصل في اهدافها التربوية وابعادها السياسية عن أهداف الاسلام لأن الدين المحمدي كلّ لا يتجزأ في أهدافه وأبعاده.

وأخيراً لا بدّ من الالتفات الى خطورة البحث في بشائر الإسلام المستقبلية لكثرة ما يلقأها من عوامل الفموض ، ويحيط بها من أسباب الإبهام المتعددة نتيجة الطابع الغيبي الذي يكتنف نصوصها وأحداثها وغير ذلك من الأسباب الأخرى ، كالوضع والتحريف وغيرهما. وبالإضافة الى ذلك فإنّ بحث هذا اللون من الفكر الإسلامي بحثاً تحليلياً هو في الواقع من الدراسات الإسلامية الجديدة المبتكرة ، التي لم تكن معروفة من قبل ، ولهذا اختلفت فيه

مناهج الباحثين وتعددت آراؤهم وكثرت أخطاؤهم، مما يدل على ابتعاد الجميع عن المنهج العلمي الصحيح في دراسته، وهو امر لا زالت المكتبة الاسلامية تتطلع الى الأقسام العلمية الموضوعية المبتدعة في مضماره، ومن هذا المنطلق ارجو من القراء الأعزاء أن يواكبوا معي هذه التجربة الفكرية بدقة وتأمل، ويشاركوني آراءهم ويفضلوا عليّ بكلمة هادية أو ملاحظة مرشدة أو نقد وجيه بناءً يُمكنني من تلافي النقص وتقويم أسس البحث وإصلاح الخطأ في مادته ومنهجه.

اللهم ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنتَ العليم الحكيم﴾ عليك توكلنا وإليك أنبنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله ائمة الهدى وصحبه النجباء...

لعبان - بيروت

الخميس ٩ شعبان ١٤١٢ هـ

المدخل

- * تفسير المغيبات القرآنية
- * قانون الاستبدال الالهي
- * مبدأ اتباع سنن الماضين

تفسير المغيبات القرآنية

ذكرنا في بحث سابق أنّ القرآن حصر مبادئ الثقافة انغيبية -الخاصة بالحوادث المستقبلية- في أصول ثمانية، وأوكل مهمة بيانها وإعطاء التفصيلات اللازمة عنها، الى السنّة النبوية فجاء مجموع ما روي حولها، عن النبي وأهل بيته، ما يزيد على عشرة آلاف حديث من طريق الفريقين^(١).

وقضية الموطئين للمهدي، من جملة قضايا الغيب المستقبلية التي أولاها القرآن اهتماماً كبيراً، وتعرض لها في اكثر من عشر سور قرآنية، وتصدت السنّة المحمدية لتقديم الايضاحات والتفاصيل الدقيقة عن احداثها في اكثر من ثلاثمائة نص في مصادر الفريقين.

وقبل الدخول في صلب البحث لا بد من التعريف بطريقتنا في تفسير المغيبات القرآنية، لأن تفسير القرآن يعني: إيضاح مراد الله تعالى في كتابه الكريم، وهو غير جائز من دون الاعتماد على منهج علمي معترف به شرعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢) فلا يجوز الاعتماد في التفسير على أي دليل لم تثبت حجيته بالنقل -كالرأي والقياس والاستحسان،

(١) راجع: (مبادئ الثقافة المهدوية) للمؤلف.

(٢) سورة الاسراء، الآية (٣٦).

والظنون الباطلة وغيرها من الحجج الواهية - لحرمة اسناد شيء إلى الله بغير إذنه ﴿قل الله أذن لكم أم على الله تفترون﴾^(١).

ولعلّ أصح المناهج العلمية في التفسير وأكثرها دقة وقدرة على إعطاء القرآن حقه من الإيضاح والبيان هو المنهج العلمي الجامع لطريقة التفسير الموضوعي التي تعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، مع الاسترشاد بالثابت والصحيح من السنة النبوية بالإضافة إلى ضرورة فهم مفردات النصّ القرآني في ضوء علوم العربية وتراثها المتفق عليه. فإذا جمعنا بين هاتين الطريقتين في تفسير القرآن استطعنا أن نفهم فكرته بمنطق الوحي ونوره، وبلغه النبوة وهداياها، لأنّ طريقة التفسير الموضوعي تستجلي الفكرة القرآنية، في ضوء المنطق القرآني الذي نزله الله تعالى ﴿تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^(٢). وأما التفسير بالمأثور من السنة النبوية فهي الطريقة الشرعية الأصيلة، التي أمرنا الله تعالى بأخذ تعاليم القرآن من خلالها في قوله تعالى: ﴿وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^(٣). وطبقاً لهذا المنهج العلمي سنحاول - إن شاء الله تعالى - تفسير المغيبات القرآنية الخاصة بموضوع البحث.

قانونان إلهيان

تتوقف معرفة قضية المواطنين ودراستها في القرآن على إيضاح قانونين إلهيين وهما: قانون الاستبدال، وقانون السير على نهج سنن القرون الماضية

(١) سورة يونس، الآية (٥٩).

(٢) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٣) سورة النحل، الآية (٤٤).

ولنشرع ببيانهما باختصار:

قانون الاستبدال

الاستبدال، والإبدال، والتبديل، والتبديل، هو جعل شيء مكان آخر، وهو اعم من العوض الذي باعطاء الأول يصير لك الثاني، أمّا التبديل، فقد يقال للتفسير مطلقاً وإن لم يأت ببدله^(١)، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٤). ومنه تبديل قوم بأخرين افضلَ منهم، لحمل أعباء الرسالة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(٥).

ولا يتحقق الاستبدال في التاريخ ما لم تتحقق شروطه وهي في المجتمع المستبدل ثلاثة: الأول: رفض خلفاء الرسول ﷺ المنصوص عليهم من قبل الله تعالى. الثاني: التخاذل عن الجهاد. الثالث: التخلي عن تطبيق دين الله تعالى وهجر مبادئه وقيمه والانحراف عن شريعته.

وأما شروطه في المجتمع البديل، فهي أيضاً ثلاثة: الأول: التمسك بالخلافة الإلهية. الثاني: الجهاد لحماية الأمة وتحقيق أهداف الرسالة الإلهية في الحياة. الثالث: السعي لتطبيق الاسلام واعادته لقيادة الحياة من جديد. وليس من الضروري أن تتوفر - حين تحقق الاستبدال - جميع شروطه

(١) غريب القرآن، حرف الباء.

(٢) سورة البقرة، الآية (٥٩).

(٣) سورة النور، الآية (٥٥).

(٤) سورة النحل، الآية (١٠١).

(٥) سورة محمد، الآية (٣٨).

في المجتمع البديل ، وانما يكفي أن تكون مقوماتها ومؤهلاتها موجودة فعلاً في شخصيته الدينية ، ثم تتكامل عقائدياً وسلوكياً ، مرور الزمن من خلال تجاربه الجهادية وصراعه المرير مع أعدائه من اجل تحقيق اهداف الدين في الحياة.

ولقانون الاستبدال الاجتماعي في القرآن بعدان ربانيان احدهما سلبي ، والآخر ايجابي. ففي بعده السلبي هو عقوبة للمجتمع المستبدل ، كما قال تعالى: ﴿الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(١). وأما في بعده الإيجابي فهو تفضيل وتكريم من الله تعالى للمجتمع البديل المختار لحمل الرسالة وقيادة الأمة بعد الغاء دور المجتمع المستبدل كما هو صريح قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أذلة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾^(٢).

هل تحقق الاستبدال في التاريخ؟

يظهر من النصوص القرآنية ان الاستبدال قد حدث فعلاً مرتين في التاريخ وأنه سيتحقق مرة ثالثة في المستقبل .
المرّة الأولى: وقع الاستبدال في تاريخ بني اسرائيل. وأول شرط تحقق منه حين تمردوا على خلافة هارون بقيادة السامريّ المنافق بعدما اغواهم بعبادة العجل وصرّفهم عن طاعة خليفة نبيهم -باسم الدين - مستغلاً فترة

(١) سورة التوبة، الآية (٣٩).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٤).

ذهاب موسى ﷺ الى ميقات ربّه وتأخره عن الموعد الذي حدّدّه لهم. وبهذا الموقف الخياني، حقق الإسرائيليون شرطين من شروط الاستبدال، في آن واحد وهما: رفض خليفة موسى ﷺ وهجر تعاليم رسالته. والآيات التالية تصور لنا هذا الموقف التاريخي: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(١). ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين﴾^(٢). ﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال بنسما خلفتموني من بعدي أعجلتم امر ربكم والقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾^(٣).

فالشرط الأول تمثل في المؤامرة على هارون أخي نبيهم وخليفته الشرعي، وفي محاولة قتله.

والشرط الثاني للاستبدال تجسد في انحرافهم عن تعاليم موسى ﷺ ورجوعهم الى عبادة الاوثان التي تمثلت بعبادة العجل.

أما الشرط الثالث، وهو التناقل عن الجهاد، فقد تحقق في تاريخهم بعد توبتهم من عبادة العجل بفترة قصيرة جداً! عندما دعاهم موسى ﷺ لتحرير فلسطين من سلطة الجبارين الغاصبين لها، فرفضوا أمره بحجة أن لا قوة لهم

(١) سورة الاعراف، الآية (١٤٢).

(٢) سورة الاعراف، الآية (١٤٨).

(٣) سورة الاعراف، الآيتان (١٥٠ و ١٥١).

على مجابهة عساكر الجبارين. قال تعالى في تصوير هذا الموقف: ﴿وَإِذ قَالَ موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتتقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنما لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا أملك الآلآف من الناس وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾^(١).

وبعد أن تحققت جميع شروط الاستبدال في تاريخ بني اسرائيل حلت بهم حينئذ عقوبة الاستبدال التي تمثلت في مأساة التيه أربعين سنة في صحراء سيناء فسلبهم الله تعالى كل النعم التي كان يغدقها عليهم قبل التيه، كالمن والسلوى وتظليلهم بالغمام لتقيهم من حرارة الشمس وتفجير اثنتي عشرة عيناً من الماء العذب، لشربهم وأرتواء مواشيهم وسقي مزارعهم، وغير ذلك من النعم الأخرى التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾^(٢). ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(٣)، ﴿وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من

(١) سورة المائدة، الآيات (٢٠-٢٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (٤٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (٥٧).

رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ﴿١﴾.

فهذه النعم كلها سلبت منهم ، عندما حلت بهم عقوبة الاستبدال التي تمثلت بالتيه ، فبدأوا يحفرون الآبار بأيديهم بحثاً عن المياه تحت حرارة الشمس المحرقة ، وانتشروا في الصحراء الواسعة تلفحهم رياحها الحارة ، برمالتها الموجعة ، وهم يجوبون الأرض بحثاً عن مصادر عيشهم وسعياً لتأمين حياتهم. وقد اختصر القرآن هذه الفترة المرهقة من تاريخهم في آيتين وهما قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُقْتِرِينَ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿قَالَ فَانَهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣).

وفي السنوات الاولى من التيه تبلورت حركة جهادية جديدة في اوساط بني اسرائيل تدعوهم للعودة الى الدين وتحثهم على الجهاد لتحرير فلسطين من سلطة الجبارين ، وكان يتزعم قيادة هذه الحركة اتباع يوشع بن نون ، وصي موسى بعد هارون عليه السلام ، ومعه الفرقة الناجية - من فتنه السامري - وهي المشار اليها بلسان الرجلين الناطقين باسمها في قوله تعالى : ﴿قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ (٤).

وتذكر الكتب المعنية بتاريخ بني اسرائيل : أن يوشع استطاع أن يحرر فلسطين من هيمنة الجبارين مع المؤمنين بخلافته خلال حروب دامية ،

(١) سورة البقرة، الآية (٦٠).

(٢) سورة الاعراف، الآية (١٥٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٢٦).

(٤) سورة المائدة، الآية (٢٣).

ومعارك جهادية متواصلة، دامت سبع سنوات، وبتحريرها انتهت مأساة التيه المريرة ومعاناته الشاقة، - التي دامت أربعين سنة - ودخلوا فلسطين فاتحين كما اشار القرآن في قوله: ﴿واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطةً وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيدهم المحسنين﴾^(١).

ووفقاً لقانون الاستبدال، تصبح الفرقة الناجية من فتنه السامريّ التي قادها وصي موسى ﷺ في معارك تحرير فلسطين هي القاعدة الاجتماعية البديلة عن الجيل الإسرائيلي الأول الذي اضله السامريّ، وبتحرير فلسطين، وإقامة حكم الله على ارضها، يكون يوشع ﷺ وجماعته المجاهدون الثوار، قد مهدوا للدولة التوراتية، التي وعد الله بتحققها في فلسطين بقيادة نبي الله داوود وولده سليمان ﷺ.

المرّة الثانية: التي تحقق الاستبدال فيها، كانت أيضاً في تاريخ بني اسرائيل، بعد أن ادخلوا في الدين ما لم ينزل الله به من سلطان، وتمادوا في الانحرافات وفي قتل انبياء الله واوصيائهم وتشريدهم، فباؤوا بغضب من الله تعالى، فاحلّ بهم عقوبة الاستبدال الكبرى، وطردهم من موقع قيادة البشرية وحمل رسالته التي فضلهم بها على العالمين، وكتب عليهم الذلّة بين شعوب العالم في طول التاريخ، واختار بدلاً منهم قوماً آخرين لحمل رسالته والاشراف على تجربتها السياسية والحضارية، وهم العرب فقال تعالى: ﴿واذ تأذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا

(١) سورة الاعراف، الآية (١٦١).

(٢) سورة الاعراف، الآية (١٦٧).

يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾^(١).

وقال تعالى في حسدهم للعرب الذين اختارهم منطلقاً لهداية العالمين برسالة خاتم المرسلين: ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٣).

وقال تعالى مخاطباً القيادة والقاعدة الجديدة لرسالته بدلاً من بني اسرائيل: ﴿وانه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾^(٤).

المرّة الثالثة: تقع في تاريخ الأمة الاسلامية بعد التأمّر على خلفاء رسول الله ﷺ، من أهل بيته واغتصاب حقهم والتخلي عن جهاد اعداء الله من اليهود والنصارى، وهجر شريعة القرآن، والى هذا الاستبدال اشار القرآن في قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾^(٦) وفي هذه المرّة يكون المجتمع المستبدل هم - العرب قوم رسول الله ﷺ والمجتمع البديل هم ابناء فارس. وهذا الاستبدال هو موضع دراستنا في هذا الكتاب.

(١) سورة البقرة، الآية (٦١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٩٠).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٠٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٤٤).

(٥) سورة الزخرف، الآية (٤٤).

(٦) سورة الفرقان، الآية (٣٠).

مبدأ اتباع سنن الماضين

قال الجرجاني في التعريفات: السنة في اللغة الطريقة المتبعة مرضية كانت أو غير مرضية. وجمعها سنن ويطلق عليها ايضاً المثال المتبع، وقد ورد كلا التعبيرين في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فهل ينتظرون الاً مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾^(٢).

ومن هنا يتضح أن مبدأ اتباع سنن الماضين يستهدف وضع تجارب الرسائل والأمم السابقة - في هداها وضلالها وفي انتصاراتها وهزائمها - بين يدي الامم اللاحقة لتستلهم منها العظات والتجارب والعبر، حتى لا تقع بالأخطاء والانحرافات العقائدية والسياسية والحضارية نفسها التي وقعت بها الأمم السابقة، ويمكن أن يستوحى هذا الهدف الرباني من هذا المبدأ من قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين﴾^(٣).

وفي ضوء تجارب الماضين تتمكن الطليعة المجاهدة من الأمم اللاحقة من وضع مسار حركتها الرسالية في الخطّ الرباني المستقيم الذي يجنبها السقوط في مهاوي الانحراف وسُبل الضلال، فتعنها مباديء العدل الإلهي سياسياً واجتماعياً في الدنيا وتفوز برضى الله تعالى في الآخرة.

وتشعر النصوص القرآنية والنبوية - التي تعرضت لهذا المبدأ - بحتمية مرور الأمة الاسلامية بنفس التجارب التي مرت بها الامم السابقة، في

(١) سورة الاحزاب، الآية (٦٢).

(٢) سورة يونس، الآية (١٠٢).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢١٤).

استقامتها وانحرافها، في الحرب أو في السلم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَّاءُ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

وأخرج البخاري، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه! قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»^(٣).

وعن المستورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه»^(٤).

وعن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبدالله - يعني ابن مسعود - يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله: ما سألتني عن هذا أحد - منذ قدمت العراق - قبلك، قال [نعم] سألتناه فقال: «اثنا عشر عدة نقيب بني اسرائيل»^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٤).

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان (٢ و٣).

(٣) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٦، صحيح مسلم، كتاب العلم، ابن ماجه في الفتن.

(٤) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٦١، ورجاله ثقات، كنز العمال، ج ١١، ص ١٣٣، ص ١٧٠.

(٥) مستدرک الصحيحين، ج ٤، ص ٥٠١، المطالب العالیه، ج ٢، ص ١٩٧، رواه بسند حسن،

الصواعق المحرقة، ص ٢٠، بسند حسن، مجمع الزوائد، ج ٥، ص ١٩٠، بسند حسن لاختلافهم

في مجالد وبقية رجاله ثقات.

وعن ابن عباس قال : قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له نعلل فقال له : يا محمد أتى أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فان اجبتي عنها اسلمت على يدك . قال : سل يا ابا عمارة - والحديث طويل طرح فيه جميع أسأله على النبي - ثم سأله النبي ﷺ قائلاً : يا ابا عمارة أتعرف الاسباط ؟ قال : نعم يا رسول الله ! إنهم كانوا اثني عشر اولهم لاوي بن برخيا ، وهو الذي غاب عن بني اسرائيل غيبة طويلة ثم عاد فأظهر الله به شريعته بعد دراستها وقاتل قرشياً الملك حتى قتله . فقال رسول الله ﷺ : إنه كائن في أمتي ما كان في بني اسرائيل ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وأن الثاني عشر من ولدي يغيب ، حتى لا يرى ، ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه فحينئذ يأذن الله تعالى له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين»^(١) .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ليايتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى أن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وأن بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة ! قالوا : من هي يا رسول الله ؟ ! قال : ما أنا عليه واصحابي»^(٢) .

وعن عوف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « افتقرت بنو اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وتزيد أمتي عليها فرقة ليس فيها فرقة اضر على أمتي

(١) فرائد السطيين ، ج ٢ ، باب ٣١ ، ص ١٣٢ .

(٢) مستدرک الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ ، صحيح مسلم ، ج ٤ ، كتاب العلم ، سنن ابن ماجه ، الفتن ح ٣٩٩٤ ، كنز العمال ، ج ١١ ، ح ٣٠٩٢٣ ، شرح النهج ، ج ٩ ، ص ٢٨٦ .

من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما احل الله»^(١) .
ويستفاد من مجموع هذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ، أن
الفتن والاختلافات الدينية ، والصراعات السياسية والدموية ، التي تواجه اتباع
الرسالات الالهية متشابهة جداً ، في كل الأمم ، والى هذه الظاهرة العامة التي
تطبع التاريخ الديني للبشرية ، اشار بعض المؤرخين بقوله : «أن التاريخ يعيد
نفسه» ، ووفقاً لهذا المبدأ ، لا بد أن تواجه الامة الإسلامية جميع الفتن الداخلية
التي واجهت بني اسرائيل ، ابتداءً من فتنة الخلافة ، مروراً بقضية الاختلاف
العقائدي والفرقة المذهبية ، والتخاذل عن تحرير فلسطين خوفاً من سطوة
المستكبرين ، انتهاءً بحلول عقوبة الاستبدال بالمتهمدين على الرموز الشرعية
للخلافة الالهية ، كما ستقرأ تفاصيل ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .
وفي ضوء مبدأ اتباع سنن الماضين يجب أن نعي الأبعاد القرآنية التي
يستهدفها الوحي من وراء عرض قصص الأمم السابقة ، وخاصة ما يرتبط منها
بتجربة بني اسرائيل ، باعتبارها من أوسع التجارب الدينية عطاءً لأنها حظيت
بعدد كبير من الأنبياء والمرسلين واحتلت مساحة واسعة من التاريخ بالاضافة
الى أنها أول تجربة دينية ذات أبعاد سياسية وتشريعية شاملة .
ويجسد مبدأ اتباع سنن القرون الماضية الجانب التطبيقي للاستبدال
لذلك لا يستغني الباحث في احداث الاستبدال التاريخية عن دراسة تاريخ
الرسالات الالهية وتجاربها السياسية والعقائدية في ضلالها وهداها ، وفي
هزائمها وانتصاراتها .

(١) مستدرک الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٤٣٠ ، صحيح علي شرط الشيخين ، وكذلك اخرجه في ج ٣ ،
ص ٥٤٧ ، مجمع الزوائد ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، باب في القياس والتقليد ، وقال : عند ابن ماجه له طرق ،
ومن أوله رواه الطبراني في (الكبير والبيزار) ورجاله رجال الصحيح .

الفصل الأول

الاستبدال الموعود في القرآن

الاستبدال الموعود

اعتنى القرآن بموضوع الاستبدال الموعود، أكثر من الاستبدالين السابقين، وتعرض له في أكثر من عشر سور، باعتباره يمثل النقلة الالهية السياسية الأخيرة في التاريخ، التي تضع الدين الخالد على ابواب ثورته الاسلامية العالمية المرتقبة بقيادة المهدي المنتظر ﷺ.

ولقد أشار القرآن الكريم الى العوامل السلبية للاستبدال الموعود في تاريخ الامة، بكل صراحة ووضوح في النصوص التالية:

العامل الاول: رفض الولاية الالهية والتمرد على رموز الخلافة الشرعية المتمثلة بالإمام علي والأئمة من أهل بيته، وهو المعني في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾^(١).

وسياتي تفسير هذا النص القرآني بكامله بعد قليل ان شاء الله .

(١) سورة المائدة، الآيات (٥١ - ٥٦).

العامل الثاني: التناقل عن جهاد أعداء الله، والركون الى مسالمتهم، وهو المعني في قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتهم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(١).

العامل الثالث: التخلي عن مبادئ الدين والتزاماته، والتراجع عن مسؤولية تطبيقه في الأمة، وهو المشار اليه في قوله تعالى: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا امثالكم﴾^(٢).

والآيات القرآنية النازلة بخصوص الاستبدال الموعود كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين، وكان الله على ذلك قديراً﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾^(٤) وقوله: ﴿وأخريـن منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٥).

وسنقتصر في هذا الكتاب على تفسير نصين من هذه النصوص القرآنية الخاصة بموضوع الاستبدال بشكل مفصل، أما بقية النصوص فسنتناولها بشكل مختصر خلال البحث إن شاء الله تعالى.

(١) سورة التوبة، الآيتان (٣٨ و ٣٩).

(٢) سورة محمد، الآية (٣٨).

(٣) سورة النساء، الآية ١٣٣.

(٤) سورة الانعام، الآية ٨٩.

(٥) سورة الجمعة، الآيات ٣ - ٤.

تفسير النص القرآني الأول

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرةً فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حِطَّت أعماهُم فأصبحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من یرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبُّهم ويحبُّونه أذلةً على المؤمنين أعزَّةً على الكافرين يجاهدون في سبيلِ الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضلُ الله يؤتیه من يشاء والله واسعٌ عليم * إنما وليُّكم الله ورسولُهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتولَّ الله ورسولَهُ والذين آمنوا فإن حزبَ الله هم الغالبون﴾^(١).

هذه الآيات من أهم النصوص القرآنية الخاصة بالاستبدال الموعود، وأكثرها استيعاباً لعوامله السلبية والإيجابية معاً لأنها تعرضت لخصائص المجتمعين - المُستبدل والبديل - وفصلت كل ما اجملته نصوص الاستبدال السابقة، من مفاهيم وأفكار وانحرافات واحداث سياسية وجهادية مستقبلية ترتبط بتاريخ هذين المجتمعين الإسلاميين، ومن هنا كان لا بد لنا من الوقوف معها طويلاً. وسنحاول تفسير هذه الآيات في موضوعات نتناول فيها البحث عن المراد من معنى الولاية بين اليهود والنصارى من جهة، وبينها وبين مرضى القلوب من جهة أخرى، ونبحث أيضاً عن هوية مرضى القلوب فهل هم المناقون أم غيرهم؟ وعن المقصود من الفتح هنا، هل هو فتح مكة أم فتح

(١) سورة المائدة، الآيات (٥١ - ٥٦).

آخر؟ وعن معنى الارتداد هل المقصود منه الارتداد عن الإسلام الى الكفر المتحقق زمن ابي بكر كما يقول الرازي؟ أم المقصود منه معنى آخر يقع في حوادث أخرى كما يرى العلامة الطباطبائي؟! وكذلك نثير الكلام - كما أثاره القرآن - هنا حول هوية القوم الموعود بهم، الذين سببعتهم الله تعالى ﴿يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم﴾ فهل هم المقاتلون لأهل الردة، في زمن ابي بكر، كما يعتقد الرازي أم هم قوم آخرون؟ كما يقول العلامة الطباطبائي؟ واخيراً نتعرض لتفسير آية ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ لنعرف هل من علاقة وارتباط بينها وبين الآيات التي قبلها، أم لا يوجد اي نحو من الارتباط كما فسرها العلامة الطباطبائي.

الولاية بين اليهود والنصارى

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(١).

معنى الولاية

الولاية: مصدرها ولي وتطلق في اللغة على ولاية المودة والمحبة والحلف والنصرة وعلى ولاية الدين والاعتقاد، وعلى ولاية الملك والأب، والحاكم^(٢). فما المراد من الولاية التي تقع بين اليهود والنصارى، ومرضى القلوب ولماذا حذر الله تعالى المؤمنين من خطورة التورط بها؟

(١) سورة المائدة، الآية (٥١).

(٢) غريب القرآن، مادة: ولي.

رأى العلامة الطباطبائي

يرى العلامة الطباطبائي ان المراد من الولاية في هذه الآية هي ولاية
المودة والمحبة^(١).

والظاهر عدم صحة هذا الرأي؛ لأنه لا يتفق مع ما جاء في سورة المائدة
نفسها حيث اكدت ان العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع اليهودي وكذلك
بين افراد المجتمع النصراني تقوم دائماً على أساس العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة، وفي وصف المجتمع اليهودي قال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة
غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَأُنْمُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِدَنَّ كَثِيراً
مَنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢). وفي وصف المجتمع النصراني قال تعالى: ﴿ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾^(٣).

والعداوة والبغضاء نقيض المحبة والمودة، وهما عقوبة إلهية على اليهود
والنصارى ستبقى تتحكم في علاقاتهما الاجتماعية الى يوم القيام كما هو
ظاهر هذه النصوص القرآنية، فاذا نفى القرآن إمكانية تحقق علاقة المودة
والمحبة بين افراد المجتمع اليهودي، فكيف نتصور تحققها بينهم وبين
النصارى الذين يختلفون معهم اختلافاً عقائدياً كبيراً، ويكونون لهم عداءً
تاريخياً ودينياً عميقاً، ويعتقدون بأنهم وبقية الشعوب الاخرى لا يحق لهم

(١) الميزان، ج ٥، ص ٣٦٩.

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٤).

(٣) سورة المائدة، الآية (١٤).

العيش في الحياة الآ تحت حماية الحراب اليهودية وفي ظل جبروتهم وسلطانهم باعتبارهم شعب الله المختار كما يدعون، وكذلك النصارى فهم من جهة يضمرون مشاعر العداوة والبغضاء لبعضهم، ومن جهة اخرى يكونون في صدورهم نفس المشاعر الحاقدة تجاه اليهود، وكما شهد الله بعداوتهم لبعضهم شهد باختلافهم وعداوتهم لليهود ايضاً، مؤكداً استمرار هذه الحالة بينهم وبين اليهود الى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾^(١). فهذه النصوص القرآنية تنفي امكانية وقوع ولاية المودة والمحبة بين اليهود والنصارى وهو أمر من المستحيل تحققه بينهم في الحياة الدنيا مما يؤكد معارضة النص القرآني صراحة لما ذهب اليه العلامة الطباطبائي.

اما ولاية المودة والمحبة بين أهل الكتاب والمسلمين فان ذلك يقتضي رضا اليهود والنصارى عن المسلمين، وهو أمر غير متصور الا اذا تخلى المسلمون عن دينهم عقائدياً لا سلوكياً فحسب، كما أكد القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾^(٢).

وبهذا يتضح: استحالة تحقق ولاية المودة والمحبة بين اليهود والنصارى في طول التاريخ نظراً للعقوبة الإلهية التي تقتضي إلقاء العداوة والبغضاء داخل

(١) سورة البقرة، الآية (١١٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

مجتمعاتهم الى يوم القيامة ، وعدم إمكانية تحققها بينهم وبين المسلمين ايضاً ، كما هو مفاد لن التأييدية وحتى الشرطية التي علقت تحقق هذا النوع من الولاء على تخلى المسلمين عن عقائدهم والتزاماتهم الدينية .

رأى الفخر الرازي

ذهب الفخر الرازي الى أن معنى الولاية هنا الحلف والنصرة ! والعجيب أنه يحاول أن يضي على هذا التحالف المزعوم - بين اليهود والنصارى ومرضى القلوب - طابعاً واقعياً ، في عصر النبوة ، مع أنه لم يوجد للنصارى أي وزن اجتماعي يذكر في الجزيرة العربية حتى يمكن تصور تحالفهم مع اليهود ، وتتعل ضرورة تحذير المؤمنين من التورط في محالفتهم . والمقطع به تاريخياً أن ولاية الحبة أو الحلف والنصرة لم تكن متحققة بين اليهود والنصارى ، منذ محاولة قتل السيد المسيح ﷺ ومنذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا واليهود متهمون بهذه الجريمة من قبل النصارى ، ولأجل هذه التهمة شهد التاريخ معارك دينية واختلافات سياسية وحروباً دموية طاحنة بين الطرفين ، وكانت الغلبة دائماً في جميع تلك المعارك للنصارى ، والهزيمة والاضطهاد والقتل الجماعي المروع من نصيب اليهود ، وهو ما يؤكد استمرار فعالية العقوبة الإلهية المكتوبة عليهم في الدنيا الى يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾^(١) ، بل أخبر الله في سورة (الصف) صراحة غلبة النصارى على اليهود في طول التاريخ في قوله تعالى : ﴿قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل

(١) سورة الاعراف ، الآية (١٦٧) .

وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ﴿١﴾.

والطائفة المؤمنة هي التي تنصرت، والكافرة هي التي بقيت على يهوديتها فأيد الله النصارى على اليهود وسلطهم عليهم سياسياً وجعلهم يتحكمون بحياتهم، وبمصيرهم الى يوم القيامة ﴿٢﴾.

وهكذا يظهر رأي العلامة الرازي، اكثر غرابة من رأي العلامة الطباطبائي، لأنه ليس فقط اجتهاداً مخالفاً للنص القرآني المؤكد لاستمرار وديمومة حالة الاختلاف الديني والصراع التاريخي بين اتباع الديانتين اليهودية والنصرانية، بل هو أيضاً تزوير للتاريخ وتزييف للواقع الذي شهد عداءً مستحكماً وحروباً دموية طاحنة بين الطرفين، بدأت منذ محاولة اليهود قتل نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام الى يومنا هذا، واذا صح تفسير الولاية المنهي عن اقامتها من قبل المسلمين مع أهل الكتاب بالحلف والنصرة - كما يدعي الرازي - فعليه لا يجوز للمسلمين شرعاً عقد اتفاقيات دفاعية ومحالفات تجارية وغيرها من عهود الحلف والمناصرة الضرورية لحفظ الدولة الاسلامية ورعاية مصالح المجتمع الاسلامي مع دول أهل الكتاب ودول الكفر والشرك الاخرى، وهذه الفتوى التي تبرع بها الرازي منافية لطبيعة التعايش البشري ولروح الإسلام ومعارضة بالسيرة النبوية الثابتة، حيث عقد النبي صلى الله عليه وسلم محالفات دفاع مشتركة بينه وبين يهود بني قريظة والنضير في المدينة وبينه وبين بعض القبائل العربية المشركة المعادية للزعامة القرشية، وكان هدفه من تلك المحالفات حماية الدولة الإسلامية من الاعتداءات الخارجية المحتملة،

(١) سورة الصف، الآية (١٤).

(٢) هذا هو مقتضى الاطلاق في الآية، وسيأتي معنى تسلطهم الدائم عليهم في الموضوعات القادمة إن شاء الله تعالى.

واستمرت محالفاته مع الجميع حتى اسلمت القبائل العربية المشركة بعد فتح مكة واطهرت القبائل اليهودية خيانتها للدولة الاسلامية فأمر باخراجها من المدينة لأنها اصبحت تهدد أمنها واستقرارها بسبب علاقتها الخفية بقوى المشركين خارج المدينة ودعمها الحركة النفاق وطابوره الخطير داخل المجتمع الإسلامي في المدينة .

الرأي الصحيح

في ضوء مناقشة الرأيين السابقين يتضح عدم صحة تفسير الولاية في قوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ بولاية المودة والمحبة ، ولا بولاية الحلف والنصرة ، وعليه يبقى المعنى مجملاً في هذه الآية ، فلا بد من اللجوء الى معاجم اللغة والسنة النبوية لتفسيره .

قال في (النهاية) :

والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل . وكل من ولي امرأ فهو مولاه ووليه . وقول عمر لعلي : « اصبحت مولى كل مؤمن » أي ولي كل مؤمن فحقيقة كلمة المولى من يلي امرأ ويقوم به ويتقلده ، والمحب والحليف والاب والرب والمتصرف وغيرها من المعاني هي مصاديق حقيقتها ، فيطلق لفظ المولى على العبد لأنه القائم بأمر سيده ، وعلى الحليف والنصير لانه القائم بنصرة صاحبه فيما يحتاجه من نصره ، وهكذا فاللفظ مشترك معنوي ، وقد يأتي معنى الولاية في سياق الجملة مبهماً لتردده بين معانٍ عديدة ، كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ فلا يعلم هل يريد ولاية المودة والمحبة ، أم الحلف والنصرة ، أم التصرف والحاكمية . وفي مثل هذه الحالة لا بد من اللجوء الى القرائن السياقية والخارجية لتحديد

معناها فنقول :

في ضوء مناقشة رأي العلامة الطباطبائي اتضح لنا بما لا يقبل الشك أنه لا يراد من الولاية في هذه الآية المودة والمحبة . أما ولاية الحلف والنصرة ، فواقع العداء التاريخي بين اليهود والنصارى يشهد بعدم تحققها ثم ان الآية تشعر بأن تحققها بينهما لا بد أن يكون متعاصراً من جهة أخرى مع تحققها بينهما وبين مرضى القلوب من المسلمين وهو ما لم يعرفه التاريخ الإسلامي ماضياً وحاضراً اطلاقاً ، ولا يصح اعتبار العلاقة المعاصرة القائمة بين امريكا النصرانية ودولة اسرائيل اليهودية ، على أساس ولاية الحلف والنصرة فأمریکا في غنى عن مناصرة اسرائيل لها ، بل اسرائيل تتلقى الدعم الاقتصادي والاسناد العسكري دائماً منها .

وكذلك العلاقات القائمة بين الدول اليهودية والنصرانية وبين الحكومات الظالمة في العالم الاسلامي ، فانها تنطلق من تبعية حكام دول العالم الاسلامي الاذلاء لدول الاستكبار المتصرفه بمصير عميلها الحاكم وشعبه المظلوم وفقاً لمصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، بينما ولاية الحلف والنصرة تشعر بلون من المساواة في الحقوق والواجبات بين الحلفاء ، وبنوع من الكرامة والحرية ، والاستقرار والاستقلال يسود مجتمع الحلفاء في ظل عهود الحلف والمنصرة ، ومثل هذا الشعور غير متحقق في ظل حكومات الدول الإسلامية المعاصرة العميلة لدول الاستكبار العالمية ذات النفوذ اليهودي والنصراني .

ولهذا نستبعد إرادة معنى الحلف والنصرة من كلمة الاولياء في هذه الآية ، بل المراد منها ولاية التصرف والحاكمية بإبعادها السياسية بالإضافة الى ذلك فاننا نعتقد أن هذا الولاء السياسي بين الثالث المشؤوم حدث غيبي ، من جملة الاحداث السياسية الخطيرة التي تنبأ القرآن بحدوثها في مستقبل تاريخ

الصراع السياسي للأمة الإسلامية مع أعدائها والفترة التاريخية التي تشهد البشرية خلالها ولادة هذا الولاء السياسي العالمي بين طواغيت اليهود والنصارى وحكام العالم الإسلامي العملاء لهم هي فترة آخر الزمان كما اصطلحت على تسميتها أخبار الملاحم، والغاية من هذا الولاء في دوافع طواغيت اهل الكتاب هي محاولة اطفاء نور الإسلام واخماد صوته والحقاق الهزيمة باتباعه المخلصين، بعد عودته الى الحياة السياسية وقيادة الصراع ضد أعدائه من جديد بعد غياب طويل حينما يظهر في حركة التمهيد للدولة الإسلامية العالمية الموعودة، وقد ذكرت سورة التوبة اهداف هذا الولاء السياسي بين اليهود والنصارى وهي في معرض الحديث عن مخططاتهما المعادية للإسلام في آخر الزمان بقوله تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(١). ولكن هذا الولاء الشيطاني سوف لا يحقق اهدافه السلبية الخطيرة على حركة الصحوة الإسلامية الممهدة للمهدي ﷺ بسبب الوعد الإلهي القاضي باظهار الاسلام على الاديان كلها وهزيمتها في الميدان بقيادة المهدي المنتظر ﷺ، كما يفهم صراحة من الآيات السابقة .

بداية الولاء السياسي بين اليهود والنصارى

كان ذلك في مطلع القرن العشرين، عندما أعطت بريطانيا - بالاتفاق مع امريكا - اليهود، وعد بلفور عام ١٩١٧م القاضي بانشاء وطن قومي لهم على ارض فلسطين الإسلامية. وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى تأسست عصبة

(١) سورة التوبة، الآيتان (٣٢ و ٣٣).

الأمم بقيادة الدول النصرانية الكبرى التي خرجت منتصرة في الحرب ومنحت بريطانيا حق الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٢م فقامت الحكومة الانكليزية بالتخطيط لاقامة الدولة الاسرائيلية من خلال سيطرتها ادارياً واقتصادياً وعسكرياً على فلسطين، فعينت مندوباً يهودياً لها عليها، هو (هربرت صموئيل) الذي استمر في حكمه ست سنوات، يشرع القوانين الادارية والعمرانية، ويصدر التعليمات ويرسم الخطط العسكرية لصالح اليهود، ولضرر المسلمين، مما شجع اليهود في العالم على الهجرة الى فلسطين، واضطر عدداً من المسلمين لمغادرة اراضيهم تحت الضغوط المختلفة الجائرة، التي كانت تمارسها سلطة الانتداب البريطاني اقتصادياً وعسكرياً ضدهم، وتحت الإرهاب الوحشي الذي كان يقتل على شكل مجازر جماعية بحق الفلسطينيين العزل من السلاح، من قبل الجيش اليهودي الذي شكلته حكومة الانتداب واطلقت عليه اسم (حراس المستعمرات). وبمرور الزمن تعمق الولاء السياسي بين الدول النصرانية، والدولة اليهودية اللقيطة، واستمر التعاون بينهما حتى اخذ ابعاداً دولية، واصبح امراً قانونياً عندما اصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً بانشاء دولة لليهود في فلسطين عام ١٩٤٧م وصوتت عليه الدول النصرانية الكبرى كلها وفي طليعتها الدول الدائمة العضوية في الأمم المتحدة.

وهذا الولاء السياسي الجديد بين الصليبية واليهودية مكن اليهود في الأرض الاسلامية وسيمهد لافسادهم وعلوهم المتنبأ به في قوله تعالى: ﴿وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾^(١).

(١) سورة الاسراء، الآية (٤).

ومن الواضح أنه ليس باستطاعة شراذم اليهود وصعاليكهم طرد المسلمين من بلادهم واحتلال جزء كبير من اراضيهم، وأن يكون لهم موقع سياسي مكين، وعسكري مهيب في قلب العالم الإسلامي، ويمارسون إفسادهم الخلقي وعتوهم السياسي وعلوهم العسكري وهم اقلية فيه، من دون أن يتلقوا الدعم الكامل وبمختلف اشكاله من الصليبية العالمية وخاصة دولها الكبرى التي لها وحدها الهيمنة والجبروت والاستكبار على خارطة العالم السياسية كلها.

وعلى كلّ حال لقد تجذرت الشجرة اليهودية الخبيثة على أرض فلسطين الاسلامية، واصبح من الصعب على حكام العرب اجتثاثها، والعالم النصراني بسلطانه واساطيله يسهر عليها ويرعاها. وبينما كانت حكومات الدول العربية تغط في سبات عميق اذا بها تُفاجأ بالعدوان الثلاثي على دولة مصر الإسلامية بقيادة الجيوش البريطانية والفرنسية واليهودية عام ١٩٥٦م.

وبمباركة الاستكبار الصليبي لأطماع اليهود التوسعية تحولت دولة إسرائيل بمرور الأيام الى قوة رهيبة مخيفة لا تقهر بنظر حكام العرب فاستسلموا أمام حروبها وجبروتها ورضخوا لمطالبها، واعترفوا بشرعية كيانها من دون أن يحصلوا على أي اعتراف منصف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة لا منها ولا من أوليائها المستكبرين.

وهذا الولاء بين اليهود والنصارى في صورته الجديدة لم يقم على أساس المودة والمحبة كما تصور العلامة الطباطبائي ولا على أساس التحالف الديني او التحالف العسكري كما ذهب العلامة الرازي، وأنما يقوم على اساس حفظ المصالح المشتركة من الخطر الاسلامي، فهو ولاء سياسي لا علاقة له بالدين لا اعتقاد الطرفين بفصل الدين عن السياسة وفقاً لمقولتهم المشهورة: «ما لله لله وما لقيصر لقيصر»، فلا يتعارض هذا الولاء مع الآيات السابقة التي

نصت على اختلافهم الديني وتحكم عقدة العداوة والبغضاء بينهم الى يوم القيامة .

نعم لا مانع أن يستخدم السياسيون من الطرفين رجال دينهم لتكريس الولاء السياسي بينهما وتعميقه ودعمه دينياً ، ولم يكن بيان البابا في روما ، الذي اصدره عام ١٩٧٥م لتبرئة اليهود من دم المسيح ﷺ إلا محاولة دينية بدافع دبلوماسي مخطط لها لدعم هذا الولاء ومباركته دينياً لأنه كان وما زال يواجه صعوبات مذهبية وعقبات دينية متعددة بين اتباع الديانتين لشدة العداة التاريخي المستحکم بينهما .

وكذلك لا يتعارض هذا الولاء ، مع الوعد الإلهي القاضي ببقاء اليهود دائماً تحت سيطرة النصارى الى يوم القيامة ، لأن الدول المسيحية تمثل الطرف الاقوى فيه ، وهي التي تصمم شكله وطبيعته بحكم هيمنتها على العالم ، فلها ولاية التصرف والحاكمة على اليهود ومقدراتهم لا في فلسطين فقط وإنما في العالم كله .

ومن هنا يصح القول بأن النصارى لا يزالون ظاهرين على اليهود ، كما تنبأ القرآن ، وان اختلفت طريقة ظهورهم عليهم في ظل الولاء السياسي الجديد ، عن الفترات الماضية التي كانوا يمارسون فيها ضدهم مختلف اساليب القهر والاضطهاد والاذلال والظلم بحقهم .

وكذلك لا يتعارض هذا الولاء السياسي بين اليهود والنصارى مع قوله تعالى : ﴿واذ تأذّن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾^(١) لان مواجهة اليهود للعذاب الى يوم القيامة ، يشعر بوجود جهة تذيبهم سوء العذاب دائماً ، ولكن لا دليل في الآية على أن هذه الجهة محددة

(١) سورة الاعراف ، الآية (١٦٧) .

بفئة معينة، أو بالنصارى خاصة، فلئن اطمأنت قلوبهم من جهة النصارى في فترة الولاء السياسي بينهما فانها سوف لا تطمأن اطلاقاً من جانب المسلمين المجاهدين الذين لا يمكن أن يساوموا على قضية فلسطين وينسوا ابناءها المظلومين تحت قبضة اليهود والمشردين منهم وراء الحدود، فلا بد أن يذقوهم سوء العذاب، بعملياتهم الجهادية والاستشهادية المستمرة حتى يطهروا الأرض المقدسة من لوثتهم ووجودهم وكان ذلك وعداً مفعولاً كما نص عليه في سورة الاسراء، وكل ذلك يكون من مصاديق الوعد القرآني القاضي بديمومة العذاب الدنيوي على اليهود في فترة ولايتهم السياسي مع النصارى.

موالاة مرضى القلوب لليهود والنصارى

قال تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين﴾^(١).

من هم مرضى القلوب؟

قال الفخر الرازي: هم المنافقون، كعبدالله بن أبي واصحابه تبعاً لما جاء في روايات أسباب النزول. وقال العلامة الطباطبائي: بل هم جماعة غير المنافقين لأن الله تعالى ذكرهم في آيات، ولم يذكر المنافقين، وذكر المنافقين ولم يذكرهم، وذكرهما معاً في قوله تعالى: ﴿واذ يقول المنافقون والذين في

(١) سورة المائدة، الآية (٥٢).

قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله ألا غروراً^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾^(٢).

وهذا مما يؤكد ان مرضى القلوب جماعة غير المنافقين والفرق بين الجماعتين، أن المنافقين جماعة آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومرضى القلوب جماعة ضعفاء الايمان، يصغون لكل ناعق ويميلون مع كل ربح، فهم نمط وسط بين المنافقين والمؤمنين ولهم قابلية الالتحاق بأحد الفريقين، لأن مرض القلب قابل للزيادة والنقيصة والشفاء والاستفحال، على عكس النفاق، فهو كفر مستبطن، والكفر موت للقلب - ليس مرضاً فيه - فلا يصدق وصف مرضى القلوب على المنافقين وانما وصفهم القرآن في سورة البقرة^(٣) بذلك لبيان حال تنقلهم من مرض القلب الى الزيادة فيه، الى أن طبع الله تعالى على قلوبهم، وحالة الطبع موت للقلب لا مرضاً فيه.

هذا هو رأي العلامة الطباطبائي في تحديده لهوية مرضى القلوب، ويعتقد أيضاً أن حالة مرض القلب ستعم المجتمع الإسلامي في آخر الزمان بسبب هيمنة سياسة اليهود والنصارى على المسلمين ومخالطتهم لمجتمعاتهم وتأثرهم بأخلاقهم وانحرافاتهم، حينئذ يبعث الله تعالى قوماً يحبهم ويحبونه وهم في نظره الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه.

ومن هذا المنطلق يرى العلامة الطباطبائي أن جميع الأحاديث التي تصف فساد المجتمع الإسلامي وانحرافات في آخر الزمان ما هي إلا تفصيل وبيان لحالة مرض القلب، التي سيبتلى بها في ذلك العصر القريب من ظهور

(١) سورة الاحزاب، الآية (١٢).

(٢) سورة الانفال، الآية (٤٩).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٠).

الإمام المهدي عليه السلام لذا يختم بحثه حول مرضى القلوب ببعض الاحاديث النبوية التي تصف الانحرافات العامة في مجتمع آخر الزمان ، بعد أن يحاول أن يثبت صحتها بالدليل الإجمالي العام .

ونحن نتفق معه في أن مرضى القلوب في هذه الآية خاصة بجماعة يظهرن في آخر الزمان وهم غير المناققين في صدر الاسلام ، ونؤيد ذلك بدليلين من مضمون الآية :

الأول : قوله تعالى : ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ الدال على خشية مرضى القلوب من سطوة اليهود والنصارى ، والخوف على مصالحهم ووجودهم من سلطانهم وجبروتهم ، مما يدعوهم للمسارعة في موالاتهم حفظاً لأنفسهم ورعاية لمصالحهم وهذه الحالة لا تنطبق على وضع المناققين ، ولا على وضع اليهود والنصارى في عصر النبوة ، لأن سورة المائدة نزلت في السنة الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كسر شوكة الكفر ، وقضى على زعماء الجاهلية وحطم اصنامهم ، وشيّد دولة الاسلام ومكّنها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، ووضحت قوة عظمى تتحدى الامبراطوريتين الكسروية والقيصرية في معاقلهما . أما اليهود فقد حاصرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بعد أن نكثوا عهدهم معه ، وتحالفوا مع قريش في معركة الاحزاب - ومزقهم شر ممزق واجلاهم عن ضواحي المدينة ثم كاتب فلولهم على الالتزام بالمحافظة على أمن الدولة الاسلامية ، وأن يدفعا الجزية عن يدهم صاغرون . وأما نصارى نجران فلم يكن لهم وزن يذكر ، ومع ذلك فقد فتح المسلمون نجران سنة عشر هجرية صلحاً على الفبيء ، ثم اخرجوهم من نجران وابعدوهم الى بلاد الديلم في خلافة عمر ^(١) . ومن يتأمل الآية يشعر بأن لليهود والنصارى نفوذاً مشتركاً

(١) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ ، نجران .

وتسلطاً عاماً على بلاد المسلمين، وهذا هو الذي يجعل مرضى القلوب يراعون جانبهم ويسارعون في موالاتهم، ويخضعون لهم غير مكترئين بالمؤمنين، وكل هذه الاجواء الاجتماعية والسياسية التي تثيرها هذه الآية لا تنطبق على المنافقين ولا على اليهود والنصارى في عصر النبوة ولا بعده من عصور الخلافة الاسلامية.

الثاني: قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ اَللّٰهُ اَنْ يَّاتِيَ بِالْفَتْحِ اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا اَسْرَوْا فِيْ اَنْفُسِهِمْ نَادِمِيْنَ﴾^(١). فهذه الآية تدل على أن الهزيمة يوم الفتح ستلحق باليهود والنصارى وأوليائهم من مرضى القلوب، فهي لا تنطبق على فتح مكة لأن الضربة وجهت فيه لكفار قريش فقط. اما المنافقون في المدينة، فكانوا يعملون بالاحتياط والخفاء، تحت الرقابة الأمنية المشددة من قبل النبي ﷺ والمؤمنين، قبل الفتح، وقد تنفسوا الصعداء بعد الفتح حيث اتصلوا بجماعتهم الطلقاء وابناء الطلقاء وغيرهم من الموتورين بسيف علي عليه السلام من بيوتات قريش، ومن ذلك اليوم بدأوا مخططاً جديداً لضرب الاسلام بالصميم، من خلال التسلّل للمواقع القيادية في الدولة، والعمل لاستلام الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وكل هذه الشواهد التاريخية تعزز الطابع الغيبي لهذا النص القرآني وتنفى علاقته بوضع المنافقين في صدر الاسلام.

أما روايات أسباب النزول التي استشهد بها الفخر الرازي على نزول هذه الآية بخصوص المنافقين في صدر الاسلام، فليس فيها رواية واحدة مسندة للنبي ﷺ تؤيد ذلك، بل هي مجرد اجتهادات من بعض الصحابة والتابعين وتطبيقات منهم للآية على حوادث فردية متفرقة وهي كلها اجنبية عن سياقها ومضمونها.

(١) سورة المائدة، الآية (٥٢).

ولاية اليهود والنصارى على المسلمين

بدأت ولاية اليهود والنصارى على المسلمين سياسياً، بعد أحداث الغزو الصليبي للوطن الإسلامي، وكانت الحكومات والزعامات العربية الخائنة، أول من سارع في طاعة الغزاة المحتلين، وبعد نجاح عملية الغزو وسيطرة الغزاة على جميع مراكز الثروة ومقاليد الحكم في الاقطار الاسلامية، تطور الولاء السياسي بين المحتلين ووكلائهم الخونة من حكام المجتمعات الاسلامية، وظهرت آثاره السلبية على الامة فكراً وخلقياً وحضارياً، مستهدفة فصلها عن عقيدتها وسلب اصالتها الدينية.

إن نظرة عامة لما يعانيه المسلمون اليوم من ظلم وفقر، ومن مصادرة حرياتهم ونهب ثرواتهم وخيراتهم، وحرمانهم من اقل حقوقهم، في ظل حكوماتهم الجائرة الظالمة المستبدة، يكفي لمعرفة مدى عمق الولاء السياسي ومئاته بين دول الاستكبار اليهودي والنصرانية وعملائهم من حكام وزعماء المسلمين الخونة، وكان من أبرز حلقات التآمر على الاسلام والامة التي افرزتها مسيرة هذا الولاء السياسي بين الاسياد والعبيد في عصرنا الحاضر مبادرة السادات الذليلة، والحرب العراقية المفروضة على الدولة الاسلامية الإيرانية والمجزرة الوحشية بحق الحجاج الذين احرقوا العلم الامريكي والاسرائيلي في مكة وهم يعلنون البراءة من المشركين، وكذلك احتواء حكام العرب بالاحلاف الصليبيين في أزمة الكويت مع العراق، وحرب الحصار الاقتصادي والسياسي على الشعب العراقي والشعب الليبي وغيرهما من الشعوب والحكومات التي لا تحسن تنفيذ شروط الهيمنة الاستكبارية على بلادها.

ومن حلقات هذا التآمر أيضاً طبع آل سعود - وكلاء الادارة الامريكية

في الحجاز- لآلاف الكتب المليئة بالأكاذيب والدجل، وتوزيعها مجاناً سنوياً، بهدف تشويه حقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام ومحاربة الثورة الاسلامية الخمينية التي اعلنت عدائها الصريح لامريكا المتطرسة بكبرياتها الشيطاني في عالمنا الاسلامي وعلى اسرائيل المتمادية في افسادها في ارضنا المحتلة وفي لبنان الاسلام والعروبة.

وكان من اخطر حلقات الولاء الشيطاني اليهودي المسيحي محاولة الالتفاف على ثورة الحجارة في الارض المحتلة للقضاء عليها تحت غطاء جهود السلام لحل ما يسمونه بأزمة الشرق الأوسط!! بالتعاون مع مرضى القلوب من الزعماء الفلسطينيين خونة القضية والمتاجرين بدماء شهدائها الأبطال.

وأخيراً وليس آخراً العمل الدولي المشترك لمحاصرة الصحة الاسلامية في العالم الاسلامي تحت غطاء محاربة الارهاب والوقوف بوجه الاصولية المتشددة! والتآمر على الصيغة السياسية الديمقراطية في الجزائر ومحاولة تصفية المجاهدين في هذا البلد الاسلامي، بعد أن كادوا يستلمون السلطة في بلادهم.

لقد كشفت أحداث الجزائر الاخيرة عن متانة الولاء السياسي بين المستكبرين من أهل الكتاب ووكلائهم في عالمنا الاسلامي، وزيف شعارات الدول الغربية فيما يخص حماية حقوق الانسان والدفاع عن الديمقراطية وحرية الشعوب! وبات واضحاً بأن الحرية مطلب مشروع لجميع الشعوب في العالم-وقد استطاعت الحصول عليه حتى تلك التي كانت تعيش تاريخاً طويلاً وراء القضبان الحمراء والجدران الحديدية- باستثناء الشعوب الاسلامية فانها يجب أن تعيش دائماً تحت رقابة العيون والحراب اليهودية والصليبية، والأفالدبابات والمعتقلات والمشائق على موعد معها في أيّ ساحة من ساحات

الحرية التي تحلم بها. وكل هذه الأحداث والقوانين الجائرة، والمواقف الظالمة المستبدة تجاه شعوب العالم الاسلامي، تصور لنا بعدسة الواقع عزم الثالوث الشيطاني^(١) وجديته في محاربة الاسلام المحمدي الاصيل حتى النفس الاخير، بهدف إخماد صوته وإطفاء نوره وإحاق الهزيمة السياسية باتباعه المخلصين، ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون والظالمون ومرضى القلوب من حكام المسلمين.

الفتح الإسلامي الموعود

قال تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾^(٢).

قال الفخر الرازي: ان المراد بهذا الفتح هو فتح مكة! وقال العلامة الطباطبائي: بل هو فتح اسلامي آخر لم يتحقق بعد والصحيح هو الرأي الأخير للأدلة التالية:

أولاً: من الثابت - باتفاق المفسرين - ان سورة المائدة نزلت في السنة الأخيرة من حياة النبي ﷺ، بينما حدث فتح مكة في سنة ثمان هجرية فالآية لا تنطبق عليه.

ثانياً: إن المناققين لم يتضرروا في فتح مكة، ولم تنكشف نواياهم الخبيثة التي كانوا يسرونها قبل الفتح، بل التاريخ يذكر عكس ذلك تماماً، حيث قويت شوكتهم، واتسع نطاق حركتهم ونفاقهم في محاربة الاسلام من

(١) الثالوث الشيطاني: هم النصارى واليهود واوليائهم من الحكام الظالمين في العالم الاسلامي.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٢).

الداخل ، وفي تمزيق الصف الاسلامي ، وخاصة بعد أن التحق بهم زعماء قريش الذين بدلوا الكفر بالنفاق ، واسلموا مكرهين تحت سطوة الاسلام ، فهذه الآية لا تنطبق لا على فتح مكة ولا على المناقنين ومرضى القلوب المعاصرين له .

ثالثاً: ان الضربة العسكرية والهزيمة السياسية كانت موجهة في فتح مكة لكفار قريش ولزعمائهم العتاة ، أما في هذا الفتح فهي موجهة للثالوث الشيطاني المتآمر على ضرب الإسلام واخماد صوته واطفاء نوره وهم : اليهود والنصارى وأولياؤهم مرضى القلوب من قادة المسلمين وعلمائهم المنحرفين عن نهج الولاية الإلهية وهو ما يعزز الطابع الغيبي لهذا النص القرآني ويؤكد عدم تحقق هذا الفتح الاسلامي الظافر حتى الآن .

ويستفاد من أخبار الملاحم والفتن أن هذا الفتح الموعود يتم على مرحلتين بقيادة الامام المهدي عليه السلام واصحابه وانصاره ، يبدأ في المرحلة الاولى من بلاد الحجاز فيطهرها من طواغيت العرب ، ثم تزحف جيوشه الفاتحة نحو العراق ثم تركيا وبلاد الشام ، ثم كابل وبلاد الهند .

أما المرحلة الثانية من معارك هذا الفتح الاسلامي الأكبر فسوف تكون مع الصليبية العالمية ، وفيها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء الى الأرض حكماً عادلاً بين المسلمين والمسيحيين ، وهو الأمر المراد في الآية مع الفتح الذي تعرضت لبيانها المغيبات النبوية في عشرات الأحاديث الواضحة الصريحة وفسرته بنزوله من السماء ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تبرح عصابة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله على ذلك »^(١) ، ثم نزع بهذه الآية : « يا عيسى إني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا

(١) مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ ، قال : رواه ابو يعلى والطبراني في (الأوسط) ورجالهما تقات .

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة»^(١)، ففسر أمر الله تعالى بنزول عيسى عليه السلام وهو من اكبر انصار المهدي المنتظر عليه السلام في معركته الحاسمة مع النصارى عند ظهور الدجال .

وقال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٢). وقال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي فيقول: تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول: هذه الأمة امرأء بعضهم على بعض»^(٣)، وقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»^(٤).

وفسرت بعض الروايات (الأمر) بظهور المهدي المنتظر، وبعضها بنزول عيسى عليه السلام، وفي نظري لا فرق بينهما لأن تحقق احدهما ملازم لتحقيق الثاني . والترديد بين الفتح ووقوع الأمر في الآية لا يعني وقوع احد الأمرين دون الآخر، كما في سائر الخطابات البشرية، بل لا بد من وقوع الأمرين معاً، كما يظهر لمن تتبع موارد الترديدات القرآنية .

والتهديد الموجه لمرضى القلوب وإن جاء بلغة الترجي في قوله تعالى: ﴿فَعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ إلا أنه حقيقة حتمية الوقوع بدلالة حكاية حالة الندم التي تحل بهم والهزيمة التي تلحق بأسيادهم اليهود والنصارى كما هو

(١) سورة آل عمران، الآية (٥٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، مصابيح السنة، ج ١، ص ١٣.

(٣) سنن الداني، ص ١٤٣، الفتاوى الحديثية، ص ٣٨، الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٨٣، صحيح

مسلم، كتاب الايمان، لكنه بدل كلمة (المهدي) بكلمة: (امامهم)، وهكذا يفعلون.

(٤) صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٠٥، باب نزول عيسى، صحيح مسلم، في كتاب الايمان.

صريح ذيل الآية في قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنه لمعكم حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين﴾، والذين آمنوا هم الفاتحون والخطاب موجه منهم لمرضى القلوب في ساحة المعركة وهؤلاء إشارة لليهود والنصارى المندهرين، فهم الذين كانوا يقسمون بالله لأوليائهم من قادة المسلمين الخونة بأنهم معهم وانهم مخلصون في ولائهم لهم ولا يتخلون عنهم بل يقفون معهم في الشدة والرخاء، ولكنهم يوم الفتح الظافر لم يستطيعوا أن يحموا أنفسهم ولم يحافظوا على نجاح مخططاتهم بل حبطت كلها فاصبحوا خاسرين فمن أين لهم القدرة على حفظ غيرهم؟ وقال بعض المفسرين: ان الخطاب موجه من الذين آمنوا لليهود والنصارى، وهؤلاء إشارة لمرضى القلوب وهو غير بعيد، ولكن مضمون النص وسياقه لا يساعده لمن تأمله.

الارتداد والمرتدون

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾^(١).

الارتداد والردة لغة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفيه غيره^(٢)، والمرتد اصطلاحاً: هو كل من كفر بالله تعالى بعد الإيمان به والالتزام بدينه. والارتداد على صورتين:

(١) سورة المائدة، الآية (٥٤).

(٢) غريب القرآن، مادة ردّ.

ارتداد كليّ عن الدين ، وآخر جزئي عن بعض عقائده أو احكامه . وقد وقع الخلاف بين المفسرين في المقصود من الارتداد في هذه الآية ، وفي هوية المرتدين عن الدين ، والمبعوثين بدلاً منهم لقتال الكافرين ، قال الفخر الرازي : إنّ المراد بالارتداد هنا هو الكفر الحقيقي بالدين والتخلي عنه كلياً أو جزئياً ، وفسر الآية بحوادث الردّة التي وقعت بعد وفاة رسول الله ﷺ . وقال العلامة الطباطبائي : ان الارتداد في هذه الآية تنزيلي لا حقيقي ، ويعني به الانحراف عن الدين سلوكياً دون التخلي عنه عقائدياً ، وقد نزله الله تعالى منزلة الارتداد الحقيقي في قوله : ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾^(١) ، ليؤكد خطورته من جهة سياسية وخلقية على مستقبل الفرد والامة .

والمرتدون في رأى الطباطبائي هم مرضى القلوب من الامة الذين يسارعون في موالة اليهود والنصارى ، ويتخلون عن جهاد اعداء الاسلام ، ويقطعون صلتهم بالمؤمنين ، مع ايمانهم بالدين والتزامهم ببعض مبادئه ، ولكنهم يحاولون التوفيق بين موالاتهم لأهل الكتاب وبين التزامهم بالدين ، بطريقة تحقق رغباتهم الدنيوية المنحرفة ، واطماعهم السياسية المريضة ، بحيث لا تتعارض بنظر الناس مع سلوكهم السياسي المنحرف ، لذلك يسخر الله تعالى منهم ويستهزيء بايمانهم المشوب برغباتهم المريضة ، وبموالاتهم لأعداء الله في قوله تعالى : ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾^(٢) .

ويؤكد العلامة الطباطبائي ارتباط آية الارتداد بما قبلها من الآيات الناهية عن ولاية اليهود والنصارى ، ويقول : «إن هذه الآية وما قبلها هي من

(١) سورة المائدة ، الآية (٥١) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٨١) .

ملاحم القرآن ومغيباته المستقبلية» ، بعد أن ردَّ على العلامة الفخر الرازي الذي حاول أن يفصل آية الارتداد عما قبلها^(١) .

الرأي الصحيح

والصحيح هو رأي العلامة الطباطبائي للأسباب التالية :

أولاً: إن الآية تتبأ بوقوع الارتداد من المؤمنين ، لهذا وجهت الخطاب اليهم وحذرتهم من عواقب مخالفتهم ، واحداث الردة في عصر ابي بكر لم تقع في مجتمع المؤمنين داخل المدينة بل وقعت في أوساط الاعراب النائين عنها ، وهم اكثرهم ممن شهد التنزيل بعدم ايمانهم بقوله : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ﴾^(٢) ، وقال عنهم أيضاً: ﴿ الاعراب أشد كفراً ونفاقاً واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ﴾^(٣) .

فإذا لم تثبت صفة الايمان بالله تعالى للأعراب في حياة رسول الله ﷺ فكيف يتعقل تطبيق الخطابات القرآنية الموجهة للمؤمنين عليهم بعد وفاته ؟ !
ثانياً: ان سياق الآيات يدل على أن الارتداد يقع من المؤمنين لموالاتهم اليهود والنصارى ، ولا دلالة فيه على وقوعه منهم بسبب خروجهم عن الدين وكفرهم بعبادته ، وهو ما يؤكد ارادة المفهوم التنزيلي للارتداد كما ذهب اليه العلامة الطباطبائي ، دون المعنى الحقيقي الذي تصوره الرازي . أما الارتداد الواقع في عصر ابي بكر ، فلم يكن لليهود والنصارى أي علاقة واضحة به ،

(١) تفسير الميزان ، ج ٥ ، ص ٣٧٩ وما بعدها .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (١٤) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٩٧) .

والسياق لا يدل عليه .

ثالثاً: إنَّ غاية ما استدلَّ به الفخر الرازي لاثبات رأيه وأقوى ما عنده من أدلة لتفسير الآية بحوادث الردة هي تلك الآراء المنسوبة لبعض الصحابة والتابعين التي طبقت الآية على وقائع الردة ، وهي بمجموعها مجرد اجتهادات منهم لم تستند الى النبي ﷺ بالإضافة الى وجود آراء أخرى منهم معارضة لها مما يدعو الى تهافتها وتساقطها^(١) .

وعلى اي حال فإن المنهج العلمي الصحيح في تفسير النص القرآني ما اعتمد على سياقه ومضمونه ، ثم البحث عن قرائنه الداخلية والخارجية لتوضيح معناه واستجلاء مفاهيمه ، فحينئذٍ لا قيمة للأخبار اذا عارضت مضمونه وان كانت منسوبة للنبي ﷺ فكيف بها اذا كانت مجرد اجتهادات شخصية من هذا وذاك . فإن دين الله لا يصاب بالآراء والاجتهادات الخاصة مما لا مستند له في الكتاب والسنة ، وعلى أي حال فإن مضمون آية الارتداد وسياقها وقرائنها الداخلية والخارجية كلها تتكلم بلغة التأكيد وبلسان الوحي المبين على صحة ما ذهب اليه العلامة الطباطبائي قدس الله روحه الطاهرة .

المجتمعان المستبدل والبديل

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) .

(١) راجع هذه الآراء في تفسير الدر المنثور، ج ٣، ص ١٠١ - ١٠٦، طبع دار الفكر.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٤).

ذكرنا سابقاً: بأن معنى الاستبدال المبحوث عنه هنا هو: تبديل قوم
 بأخرين افضل منهم لقيادة الامة وحمل الامانة الالهية والاشراف على تجربتها
 التربوية والسياسية والحضارية، ومواجهة اعدائها وتحقيق اهدافها وهذا
 هو المعنى المستفاد من الآية السابقة، وهي نظير قوله تعالى: ﴿وان تتولوا
 يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم﴾^(١) لأن معنى التولي الاعراض عن
 الدين والتخلي عن مسؤولياته وواجباته، وهو مطابق لمعنى الآيات السابقة
 التي تحدثت عن ارتداد مرضى القلوب عن الدين وتخليهم عن ولاية اولياء
 الله، واتخاذهم اليهود والنصارى اولياء.

وقد اختلفوا في تشخيص الجماعتين المستبدلة والبديلة في هذه الآية
 وآيات الاستبدال الأخرى التي لم ترد فيها روايات مسندة عن النبي ﷺ.
 ولعلاج هذا الاختلاف نقول: من الواضح أن الاستبدال لا يقع في تاريخ الامة
 الإسلامية إلا مرة واحدة، ويستفاد هذا من صريح الاحاديث الصحيحة التي
 كان كثيراً ما يتحدث بها النبي ﷺ لأصحابه في مناسبات عديدة عن هذا
 الأمر الخطير الذي سيواجه امته في المستقبل فكانوا يسألونه: من هؤلاء الذين
 اذا تولينا استبدلوا بنا؟ فيقول: هم ابناء فارس أو قوم هذا وهو يشير الى سلمان
 الفارسي أو يضرب على منكبه أو على فخذه على اختلاف الروايات^(٢).
 وهناك طائفة من الأحاديث النبوية تبشر بقيام ابناء فارس بثورة اسلامية في
 آخر الزمان توطيء للمهدي عليه السلام سلطانه. وتوجد أيضاً مجموعة من الأحاديث

(١) سورة محمد، الآية (٣٨).

(٢) صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٢٨٣ ح ٣٢٦٦ بمصاييح الستة، ج ٢، ص ٢١٠ بوعده من الصحاح،
 مشكل الآثار، ج ٣، ص ٣١، وايضاً ص ٩٥، مستدرك الصحيحين، ج ٢، ص ٤٥٨، وقال:
 صحيح على شرط مسلم وواقفه الذهبي، الكشاف للزمخشري، ج ٤، ص ٣٣٠، الدر المنثور،
 ج ٧، ص ٥٠٦، في تفسير سورة القتال.

الصحيحة، تذم الحكومات العربية الظالمة والخط المنحرف في المجتمع العربي في آخر الزمان، وتمدح ابناء فارس وتذكر بأنهم سوف يقاتلون المنحرفين من العرب على الدين عوداً كما قاتلوهم عليه بدءاً. وفي ضوء هذه المجاميع المختلفة من الأحاديث الكثيرة - التي سنتصدى لدراسة أكثرها في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى - يتضح أن القوم المستبدلين هم المنحرفون عن الاسلام من العرب. أما القوم البديل عنهم فهم ابناء فارس وهذا هو مقتضى الجمع بين الروايات، وهو الظاهر أيضاً من آيات الاستبدال في كلمات أكثر المفسرين حتى في الآيات التي اختلفوا في تفسيرها، فانهم بالرغم من ذلك كانوا يذكرون الفرس من جملة القوم المبعوثين بدلاً من القوم المستبدلين، مع اتفاقهم على أن القوم المستبدلين هم العرب.

ففي تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿أولئك الذين آبتاهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾^(١). وقال مجاهد: هم الفرس، ومعنى توكيلهم بها: أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها، كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه^(٢).

وقال الفخر الرازي في تفسير آية الاستبدال من سورة التوبة^(٣): «قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس». ومن اراد التوسع فليراجع آراء سائر المفسرين آيات الاستبدال حيث لا يسعنا ايرادها كلها في هذا الكتاب المختصر.

(١) سورة الانعام، الآية (٨٩).

(٢) راجع تفسير الآية في تفسير الكشاف للزمخشري.

(٣) وهي الآية رقم (٣٩).

عوامل الاستبدال في الآية

ومن جوانب الإعجاز القرآني في آية الارتداد أنها جمعت بين أوصاف المجتمعين المستبدل والبديل، وتضمنت في منطوقها ومفهومها عوامل الاستبدال السلبية والإيجابية معاً، وهي تلخص بما يلي:

أولاً: تمسك المجتمع البديل بالولاية الإلهية، واشير اليه في قوله: ﴿أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾، على العكس من مجتمع المستبدلين الذين يسارعون في ولاية اليهود والنصارى.

ثانياً: التزام المجتمع البديل بالعمل الجهادي لمواجهة تحديات اعداء الأمة، وهو المعنى في قوله تعالى: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾، على خلاف مرضى القلوب المتخاذلين عن جهاد أعداء الامة بحجج واهية مزيفة، كما برروا ذلك بقولهم: ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾.

ثالثاً: تمسك المجتمع البديل بمبادئ الدين وتطبيقه لقيمه في حياته الفردية والاجتماعية على عكس المجتمع المستبدل الذي ارتد عن مبادئ الدين سلوكياً وان كان متمسكاً بها دينياً وعقائدياً. واشير الى هذا العامل في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

ويدل الحب المتبادل بين الله تعالى والقوم المبعوثين بدلاً من المرتدين على البعد الإيجابي للاستبدال في المجتمع البديل، لأن حبه تعالى لهم يكشف عن رضاه عنهم، وهو لا يتحقق ما لم يلتزموا بدينه ويجاهدوا لنصرة رسالته واعلاء كلمته. وفي ظلال اوصاف القوم المبعوثين، تتجلى اوصاف القوم المرتدين ممن اتخذوا اليهود والنصارى اولياء لحياتهم السياسية وتخلوا عن دورهم الرسالي رغبة في ذلّ الولاية الكافرة، وديناها الزائلة، ومغرياتها الساقطة، فسارعوا اليها على حساب دينهم وكرامتهم واطوانهم، وتجاهلوا

افسادها في بلادهم واذلالها لشعوبهم وتدميرها لأخلاق مجتمعاتهم
واغتصابها لثرواتهم وأرضهم وتدنيسها لمقدساتهم.

رأيان آخران

ويوجد أيضاً رأيان آخران، في تعيين القوم المبعوثين بدلاً من
المرتدين ولأهميتهما نذكرهما:

الرأي الأول: يذهب الى أن القوم المبعوثين بدلاً من المرتدين هم
الاشاعرة قوم من اليمن، فقد أخرج (الحاكم) عن عياض الأشعري يقول: لما
نزلت: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال رسول الله ﷺ: «هم
قومك يا أبا موسى!» وأومى رسول الله ﷺ بيده الى أبي موسى الأشعري^(١).
ونحن لانريد أن نناقش في صحة سند هذه الرواية وهي كما نرى يرويها
عياض الأشعري في مدح قومه الاشاعرة، وانما نحاول إثبات زيفها ووهنها
من جهة أخرى فنقول:

ان هذه الرواية ساقطة من الاعتبار بسبب معارضتها للنصوص القرآنية
الصريحة، والنبوية الصحيحة، التي نصّت على أن القوم المستبدلين هم
العرب، والثابت ان الاشاعرة منهم فلا ينطبق عنوان «المبعوثين بدلاً من
المستبدلين» عليهم، بالإضافة الى ذلك فان هذه الرواية معارضة للحديث
الصحيح المروي بطرق متواترة، والمصرح بأن القوم البديل هم من أبناء فارس.
الرأي الثاني: يذهب الى أن القوم المرتدين هم الناكثون والباغون
والمارقون في الجمل وصفين والنهروان، وأما القوم المبعوثون لقتالهم فهم
الإمام علي عليه السلام وأنصاره في المعارك الثلاثة، ومما يؤيد ذلك انطباق أوصاف

(١) مستدرک الصحيحين، ج ٢، ص ٣١٢، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١٦.

الآية عليه ، فيما وصفه به النبي ﷺ يوم استدعاه لفتح خيبر بعد أن انهزم في المرة الاولى عن فتحها ابو بكر ، وفي المرة الثانية عمر حينئذ قال ﷺ : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراة غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» ثم دعاه في اليوم الثاني فاعطاها له ففتح الله تعالى خيبراً على يديه ، ورجعت جيوش المسلمين بقيادته ظافرة مجللة بالفنائم الوافرة ترفرف عليها ألوية النصر^(١) . وقد ذكر المؤرخون ان أشهر صفات علي عليه السلام شدة على أهل الشرك والكفر ، وإن كانوا قبل الاسلام من أصدقائه وعشيرته ، ونكايته فيهم في مقاماته المشهورة أوضح من أن تذكر ، ومواقفه معروفة في التاريخ في تشييد أركان الدين والصلابة في كل الميادين والرافقة واللين بالمؤمنين . ومما يؤيد انطباق الآية عليه قول النبي ﷺ لصحابته : «ان منكم من يقاتل علي تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيله ، فقال ابو بكر : انا هو يا رسول الله ؟ قال لا ، وقال عمر ! انا يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنه خاصف النعل» وكان اعطى علياً نعله يخصفها^(٢) .

فيكون المراد من قوله : «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» هو علي واصحابه الذين قاتلوا معه الناكثين والباغين والمارقين ، بدلالة نزول آية الصدقة بالخاتم بعد آية الارتداد بحق الإمام علي عليه السلام وسيتضح فيما بعد أن آية الصدقة بالخاتم نص على خلافته لأنها دعت الى التمسك بولايته .

ونجيب على هذا الرأي : بأننا لا نمانع من انطباق الآية على الإمام

(١) صحيح البخاري ، في الجهاد والسير ، وفي كتاب بدء الخلق ، صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، وفي كتاب فضائل الصحابة .

(٢) مستدرک الصحيحين ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، وقال : صحيح علي شرط الشيخين ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ، ص ٨٦ ، رواه ابو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، مسند الإمام احمد ، ج ٣ ، ص ٢٣ ، ص ٨٢ ، خصائص النسائي ، ص ٤٠ .

علي عليه السلام ومن قاتل معه ، ولكننا نحمل الروايات التي طبقتها عليه على نحو المثال والتقريب في ضوء قاعدة الجري والانطباق^(١) ، التي تعني ان القرآن يجري على آخر الأمة كما جرى على أولها ، ولكنها لا تنطبق على تلك الحوادث التي عاصرها الامام علي عليه السلام في خلافته تمام الانطباق بالمعنى العلمي الحقيقي لتفسيرها وذلك لاسباب ثلاثة :

* ان قوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ﴾ يشعر بأن القوم المأتي بهم بدلاً من المرتدين لم يكونوا من الموجودين في عصر النزول ، فلا تنطبق على الإمام علي عليه السلام وانصاره في المعارك الثلاثة لأنهم كانوا من الموجودين في عصر النزول .

* ان تورط المؤمنين بحالة الارتداد عن الولاية الإلهية سببه موالاتهم لليهود والنصارى سياسياً ، والثابت تاريخياً أن لا علاقة للفئات الثلاثة التي خاصمت علياً عليه السلام ونكثت ببعته باليهود والنصارى .

* ولا ريب بأنّ علياً عليه السلام أفضل مصداق لقوله ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ ولكن الشأن في انطباق الآية على عامة من قاتل معه أهل الجمل وصفين وقد غير وبدل وانحرف بعد ذلك كثير منهم ، بينما وقع قوله : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ على عمومهم بدون استثناء .

سؤال وجيه

قد يقال : كيف إذن ينطبق قوله : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ على قوم سلمان في مجتمع وزمان تملأ الأرض فيه ظلماً وجوراً وفساداً وضللاً؟ فهل يوفقون كلهم للتوبة والعصمة بحيث يكونوا دائماً ملازمين لطاعة الله ويكون

(١) وهي من جملة قواعد تفسير القرآن التي وضعها الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

دائماً في محبتهم؟!

والجواب: إن الآية لا تنطبق عليهم كلهم، وإنما هي خاصة بوزراء الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره، وهم أكثرهم من أبناء فارس على ما جاء في الروايات من طريق الفريقين، وهو ما فهمه أيضاً أكثر العلماء المحققين في أخبار المهدي المنتظر. قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الطائفي: وإن الله يستوزر له -يعني المهدي- طائفة خبأهم له من مكنون غيبه، وهم على أقدام رجال من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم من الأعاجم ما فيهم عربي، ولكن لا يتكلمون إلا بالعربية^(١). وقال الشيخ حسن العدوي المالكي: إن وزراء المهدي من الأعاجم، ثم قال: إن المقصود بالأعاجم هم الفرس، ثم قال: إن الله يبعث جيشاً من خراسان برايات سود نصره له^(٢).

الولاية في المجتمع الاسلامي

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

سبب نزول الآية

روى السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) عن الخطيب في (المتفق) وعن عبدالرزاق، وعن عبدالله بن حميد، كل واحد منهم بسند خاص، عن ابن

(١) الفتوحات الملكية، ج ٣، باب ٣٦٦.

(٢) مشارق الانوار، ص ١١٢ - ١١٥.

(٣) سورة المائدة، الآيتان (٥٥ و ٥٦).

عباس، أن الآية نزلت في علي حينما تصدق بالخاتم في المسجد وهو راعٍ .
 وروى أيضاً عن ابي حاتم، بسنده عن سلمة بن كهل، وعن الطبراني في
 (الأوسط) بسنده عن عمار بن ياسر، أن الآية نزلت في علي في صدقة الخاتم .
 وروى أيضاً عن ابي الشيخ بثلاثة أسانيد، عن علي نفسه، وعن ابن
 عباس، وعن سلمة بن كهل، أن الآية نزلت في صدقة الخاتم بالمسجد .
 وروى أيضاً عن ابن مردويه بأربعة اسانيد، اثنين عن ابن عباس،
 وثالث عن علي، ورابع عن عمار، أن الآية نزلت في صدقة علي وهو راعٍ في
 المسجد .

وروى أيضاً عن ابن جرير بأربعة اسانيد، عن ابن عباس، وعن مجاهد،
 وعن السدي، وعن عتبة بن حكيم، أن الآية نزلت في علي عندما تصدق
 بخاتمه وهو راعٍ .

وقد ذكر السيوطي لكل واحد من هذه الأسانيد الستة عشر متناً خاصاً
 يروي قصة نزول الآية في صدقة الامام علي عليه السلام وهو راعٍ، ولكنني حذفها
 توخياً للاختصار، فمن اراد الاطلاع عليها فليراجعها في تفسيره (الدرّ
 المنثور)^(١). علماً بأنه لم يستقص جميع الأسانيد والأحاديث التي اخبرت
 بنزول الآية في قصة الخاتم، فلم يذكر خبر ابي ذر المروي في تفسير ابي
 اسحاق الثعلبي، وفي تفسير الفخر الرازي للآية، ولا خبر ابي رافع المروي في
 كنز العمال نقلاً عن الطبراني وابن مردويه وابي نعيم^(٢)، ولا ما رواه المحبّ
 الطبري عن عبدالله بن سلام في (دخائر العقبى)^(٣)، ولا ما أخرجه الحاكم

(١) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٠٥ .

(٢) كنز العمال، ج ٦، ص ٣١٩ .

(٣) ذخائر العقبى، ص ١٠٢ .

الحسكاني في (شواهد التنزيل) عن انس بن مالك (١).

وقد روى نزول الآية في علي عليه السلام رزين في (الجمع بين الصحاح)، وذكر ذلك النسائي في صحيحه عن ابن سلام، ورواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي من طرق خمسة، والماوردي، والقشيري، والنيسابوري والقزويني، والفلكي في (الابانة)، والواحدي في (أسباب النزول)، والسمعاني في (فضائل الصحابة)، وابو بكر الرازي في (أحكام القرآن)، وسليمان بن احمد في (المعجم الأوسط)، والبيهقي في (الشعب)، ومحمد بن فتال في (التنزيل)، وابو السعود والبيضاوي في تفسيريهما وجمع آخر من المفسرين (٢).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، وقيل: هو حال -اي لفظ وهم راكعون- من يؤتون الزكاة، بمعنى يؤتونها حال ركوعهم في الصلاة، وانها نزلت في علي حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه، وكأنه كان مرجأ في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد بمثله صلاته.

تفسير الآية

قال الزمخشري: (أثَّما) بالفتح تفيد الحصر، وعملها كعمل (إنَّما) المكسورة، وقد اجتمعنا في قوله تعالى: ﴿قل إنَّما يوحى اليَّ أنَّما إلهكم إله واحد﴾ (٣)، فالاولى لقصر الصفة على الموصوف، والثانية بالعكس. وقال ابو

(١) شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦١.

(٢) ومصادر هذا الحديث واسانيد كثيرة لا يسعني ايرادها كلها في هذا الكتاب الخاص بموضوع

الموطين للمهدي (عج)،

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٨).

حيان: هذا شيء تفرد به الزمخشري، ولا يعرف القول بذلك إلا في (إنما) المكسورة. وقال ابن هشام: كلام أبي حيان مردود، بمفهوم الآية السابقة ثم أخذ يفند مذهبه^(١).

وعلي أي حال، فالنحاة لا يختلفون على استفادة مفهوم الحصر من لفظة (إنما) المكسورة، وهي الواردة في آية الصدقة بالخاتم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾^(٢)، أراد تعالى إثبات الألوهية لنفسه ونفيها عن غير وكذا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾^(٣): وفهم ابن عباس اختصاص الربا بالنسيئة في قوله ﷺ: «إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ»، وقال الشاعر:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن احسابهم أنا أو مثلي

وقال آخر:

ولست بالأكثر منهم حصي وإنما العزة للكائر

إن قيل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ ليس فيها حصر لوجود الانذار لغيره. أجبنا: بلى، إذ التقدير -إنما أنت منذر لا مُجبر- ولم يقل الله تعالى: (إنما أنت المنذر). والمولى والولي وصفان من الولاية، وحقيقتها الجارية في جميع مشتقاتها -القيام بأمر والتقليد له- كما يستفاد من كتب اللغة. قال في (النهاية): والولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، إلى أن قال: وكل من ولي أمرأ فهو مولاه ووليه، إلى أن قال: وقول عمر لعليّ: أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي

(١) مغني اللبيب، ص ٥٩، بحث: (أَنَّ) المفتوحة المشددة النون.

(٢) سورة طه، الآية (٩٨).

(٣) سورة الرعد، الآية (٨).

كل مؤمن . وقال في (لسان العرب): قال سيويه: الولاية بالكسر الاسم ، مثل الإمارة والنقابة ، لأنه اسم لما توليته وقلت به ، وإذا أرادوا المصدر فتحوا . الى أن قال : والولي ولي اليتيم الذي يلي امره ويقوم بكفائته ، وولي المرأة الذي يلي عقد النكاح عليها ولاية عنها فهو يستبد بعقد النكاح دونها^(١) ، وفي الحديث : «ايما امرأة نكحت بغير اذن موليا فنكاحها باطل»^(٢) . وفي رواية ولها اي متولي أمرها انتهى .

فحقيقة كلمة الولي والمولى من يلي امرأ ويقوم به ويتقلده ، وما عدوه من المعاني لها أنما هو مصاديق حقيقتها ، وقد اطلقت عليها من باب اطلاق اللفظ الموضوع لحقيقة على مصاديقها كاطلاق كلمة الرجل على زيد وعمرو وبكر ، فيطلق لفظ المولى أو الولي على الرب لأنه القائم بأمر الربوبين ، وعلى السيد لأنه القائم بأمر العبد ، وعلى العبد لأنه يقوم بحاجة السيد وهكذا ، فاللفظ مشترك معنوي .

إذا اتضح ذلك فاعلم : أنه لما نهى الله تعالى المؤمنين ، عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء متصرفين في أمورهم السياسية والتشريعة ، وحذرهم من الانصياع اليهم والارتداد عن نهج ولايته فلا بد له من تعيين رموز ولايته الشرعية الذين لهم وحدهم حق الطاعة والحاكمة في المجتمع الاسلامي ، وفقاً لقاعدة اللطف بعباده فانه لا يتصور بحقه ان ينهاهم عن شيء ثم لا يهديهم الى بديله .

فاستخدم الله تعالى مفهوم الحصر المستفاد من إنما لتحديد حقيقة ولايته وحصر رموزها بأهل محبته ، فجعل ولايته اصلاً تستمد منه ولاية رسوله

(١) النهاية ولسان العرب مادة (ولي) .

(٢) وسائل الشيعة ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ .

المعطوفة عليها، واثبت ولاية علي عليه السلام خليفة رسوله ﷺ على امته بعده بالعطف على ولايته أيضاً، وأشار اليه بلفظ الجمع في قوله: ﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ تعظيماً لمنزلته وتكريماً لمقامه في الولاية ليلفت الحاضرين في المسجد اليه ويعرفهم عليه، وبعينه لهم بأوصافه الثلاثة التي اجتمعت فيه وهي: الايمان، والصلاة، وايتاء الزكاة حال الركوع، فلا يشتهه عليهم غيره، فيكون معنى الآية: إن الذي له حق الطاعة والحاكمية عليكم، ويولي أموركم من هو أولى بها منكم، إنما هو الله سبحانه ورسوله وخليفة رسوله الذي اجتمعت به الصفات الثلاثة ونزلت فيه الآية وهو راع.

وبهذا يتضح عدم صحة حمل الولي في الآية على التصير أو المحب، أو غيرهما، إذ لا يبقى لهذا الحصر وجه، لأن ولاية النصرة والمحبة والاخوة عامة بين المؤمنين، غير مقصورة على احد، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾^(١).

بالاضافة لمخالفته لروايات اسباب النزول الدالة على اثبات ولاية التصرف والحاكمية باعادها التشريعية والسياسية لعلي بعد رسول الله ﷺ. فعن ابي ذر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين والآصمتا ورأيت بهاتين والآصمتا يقول: «علي قائد البرة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله». واني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه احد، فرفع السائل يده الى السماء، وقال: اللهم أشهد اني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما اعطاني احد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راعماً فأوماً اليه بخنصره اليمنى - وكان فيها خاتم - فاقبل السائل حتى أخذ الخاتم

(١) سورة التوبة، الآية (٧١).

بمرآى النبي فقال ﷺ: «اللهم إن أخي موسى ﷺ سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في امري، فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾^(١)، اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري. قال ابو ذر: فوالله ما اتم رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾^(٢).

وعن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راکع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، فقرأها رسول الله ﷺ على أصحابه ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٣). ومعنى قوله هذا ﷺ: من كنت متقلداً لأمره وقائماً به فعلي متقلد أمره وقائم به، وهذا صريح في زعامة الأمة وإمامتها وولايتها، فإن رسول الله ﷺ زعيم الأمة ووليها وسلطانها والقائم بأمرها، فلا بد أن يثبت لخليفته بعده ما ثبت له من الولاية العامة والزعامة التامة، كما هو صريح رواية ابي ذر التي قارن

(١) سورة القصص، الآية (٣٥).

(٢) المراجعات، مراجعة نقل عن تفسير الثعلبي، وذكره الرازي في تفسير الآية لكنه حذف أوله! وهكذا يفعلون.

(٣) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٠٥.

رسول الله ﷺ فيها مطلبه بمطلب اخيه موسى ﷺ حينما طلب من الله تعالى ، أن يجعل له زويراً من اهله يشركه في امره .

تفسير الآية بالسيرة النبوية

وسيرة النبي ﷺ مع صحابته في امر عليّ ﷺ تدلّ بما لا يقبل الشك أنه قد اختاره بامر الله تعالى ولياً وخليفة وإماماً ووصياً على أمته بعده ﴿لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١) .

ففي (صحيح الترمذي) عن عمران بن حصين ، قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم علياً ، فمضى في السرية ، فأصاب جارية فانكروا عليه ، وتعاقدوا أربعة من اصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : اذا لقينا رسول الله ﷺ اخبرناه بما صنع عليّ ، وكان المسلمون اذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم انصرفوا الى رحالهم ، فلما قدمت السرية ، سلموا على النبي ﷺ فقام احد الاربعة فقال : يا رسول الله ! ألم ترالى عليّ بن ابي طالب ، صنع كذا وكذا ؟ فاعرض عنه رسول الله ﷺ ! ثم قام الثاني ، فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته ، فاعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا ! فاقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال : «ما تريدون من عليّ ! ما تريدون من عليّ ! ما تريدون من عليّ ! إن عليّاً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٢) .

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٥) .

(٢) صحيح الترمذي ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ ، مسند احمد ، ج ٤ ، ص ٤٣٧ ، مستدرک الصحيحين ، ج ٣ ، ص ١١٠ ، كنز العمال ، ج ٦ ، ص ٣٩٩ ، طبع حيدرآباد ، نقلاً عن ابن جرير وصححه ، مسند ابي داود ، ج ٣ ، ص ١١١ .

وفي رواية ابن حجر الهيتمي كان خالد بن الوليد هو المحرض على شكوى علي عليه السلام عند رسول الله ﷺ فبعث اليه بريدة بذلك فقال له رسول الله: «يا بريدة! أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي اخذ، وأنه وليكم بعدي؟ قال فقلت: يا رسول الله! بالصحبة ألا بسطت يدك تباعني على الإسلام جديداً، قال [بريدة]: فما فارقتك حتى بايعته على الإسلام»^(١).

وفي رواية الإمام أحمد قال لهم رسول الله ﷺ: «دعوا علياً، دعوا علياً، دعوا علياً، إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٢). وفي حديث ابن الاثير، قال رسول الله ﷺ لوهب بن حمزة، وكان احد الذين شكوا علياً له: «لا تقل هذا هو اولى الناس بكم بعدي»^(٣). فهذه الكلمات النبوية صريحة في ارادة ولاية التصرف والحاكمية، ومن يتأمل قوله ﷺ: «أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي اخذ، وإنه وليكم بعدي او هو اولى الناس بكم بعدي». أو قوله: «هو ولي كل مؤمن بعدي»، يقطع بأنه ﷺ اراد بهذه التصريحات إثبات ولاية التصرف والحاكمية السياسية لعلي عليه السلام على أمته بعده، وهذا هو الذي دفع بريدة لتجديد البيعة مرة ثانية مع رسول الله ﷺ.

ومن السيرة النبوية في إثبات الخلافة الإلهية العلوية حديث المنزلة الصادر عن رسول الله ﷺ حين خروجه لغزوة تبوك وخرج الناس معه، فقال له علي أخرج معك؟ فقال ﷺ: «لا، فبكي علي، فقال له: أما ترضى أن تكون

(١) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٢٨، كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٤، طبع حيدرآباد رواه مختصراً.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٤٣٧، حلية الاولياء، ج ٦، ص ٢٩٤، خصائص النسائي، ص ١٩

وص ٢٣، الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٧١، مسند احمد، ج ٥، ص ٣٥٦، مجمع الزوائد، ج ٩،

ص ١٢٧، كنوز الحقائق للمناوي، ص ١٨٦.

(٣) اسد الغابة، ج ٥، ص ٦٤، فيض التقدير في الشرح، ص ٣٥٧، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٩،

الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، القسم ١، ص ٣٢٥، كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٥.

مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس بعدي نبي ، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة»^(١) .

ولا يخفى ما في هذا الكلام البليغ من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن علياً ولي عهده ، وخليفته من بعده الآ ترى كيف أنزله منه منزلة هارون من موسى ، ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة ، واستثناؤها دليل على العموم . لأنك كما تعلم ان أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته له وشد أزره به ، واشترآكه معه في امره ، وخلافته عنه ، وفرض طاعته على جميع امته بدليل قوله : ﴿ واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به أزري واشركه في امري ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾^(٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾^(٤) .

فعلنيّ بحكم هذا النص خليفة رسول الله ﷺ في قومه ، ووزيره في أمته ، وشريكه في امره - على سبيل الخلافة والولاية عنه لا على سبيل النبوة - وله عليهم من فرض الطاعة بوزارته مثل الذي كان لهارون على امة موسى ، ومن سمع حديث المنزلة فانما يتبادر الى ذهنه هذه المنازل كلها ، ولا يرتاب في ارادتها منه ، وقد اوضح رسول الله ﷺ الأمر فجعله جلياً بقوله : «انه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خليفة» ، وهذا نص صريح في كونه خليفته على امته بعده^(٥) .

(١) مسند الإمام احمد ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، مجمع الزوائد ، ج ٩ ، ص ١١٩ ، الرياض النضرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، خصائص النسائي ، ص ٨ ، واخرج البخاري حديث المنزلة في صحيحه في غزوة تبوك .

(٢) سورة طه ، الآيات (٢٩ - ٣٢) .

(٣) سورة الاعراف ، الآية (١٤٢) .

(٤) سورة طه ، الآية (٣٥) .

(٥) المراجعات ، مراجعة رقم ٢٥ .

ومما ينبغي الالتفات اليه أن حديث المنزلة، أول ما صدر من النبي ﷺ؟ على شكل دعاء في المسجد بعد صدقة عليّ بخاتمه، فنزلت الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ على رواية ابي ذر، وذلك قبل التوجه الى معركة تبوك .

سند حديث المنزلة

قال الامام شرف الدين : لم يختلج في صحة سنده ريب، ولا سنح في خاطر احد أن يناقش في ثبوته بينت شفة، حتى أن الذهبي -على تعنته- صرح في (تخليص المستدرک) بصحته، وابن حجر الهيثمي -على محاربتة (بصواعقه)- ذكر الحديث في الشبهة ١٢ من الصواعق، ونقل القول بصحته عن ائمة الحديث، الذين لا معول فيه الا عليهم، فراجع، ولولا أن الحديث بمثابة من الثبوت، ما أخرجه البخاري في كتابه، فإن الرجل يغتصب نفسه عند خصائص عليّ وفضائل أهل البيت ﷺ اغتصاباً .

ومعاوية كان امام الفئة الباغية، ناصب أمير المؤمنين العداة وحاربه، ولعنه على منابر المسلمين، وأمرهم بلعنه، لكنه -بالرغم من وقاحته في عداوته- لم يجحد حديث المنزلة، ولا كابر فيه سعد ابن ابي وقاص حين قال له -فيما أخرجه مسلم- ما منعك أن تسب ابا تراب؟ فقال: اما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله فلن اسبه، لان تكون لي واحدة منها احب اليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبوة بعدي» الحديث، فأبلس معاوية، وكف عن تكليف سعد . وبالجملة فان حديث المنزلة مما لا ريب في ثبوته باجماع المسلمين على اختلافهم في المذاهب والمشارب، وقد أخرجه صاحب (الجمع بين الصحاح الستة) في مناقب عليّ ﷺ وصاحب (الجمع بين

الصحيحين) في فضائل علي عليه السلام وغزوة تبوك، والبخاري في (غزوة تبوك)،
ومسلم في (فضائل علي عليه السلام)، وابن ماجه في (فضائل الصحابة)، والحاكم في
(مناقب علي عليه السلام)، والامام احمد بن حنبل في (مسنده) بطرق كثيرة، واخرجه
اليزار في (مسنده)، والترمذي في (صحيحه)، واورده ابن عبدالبر في (احوال
علي عليه السلام من الاستيعاب)، ثم قال ما هذا نصه: وهو من أثبت الآثار
واصحها^(١).

بين خطبة الغدير وآية الصدقة بالخاتم

وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم التاريخي، بعد منصرفه من حجة الوداع اكثر
خطاباته وتصريحاته السياسية بياناً ووضوحاً وصراحة في تعيين علي عليه السلام
خليفة على امته بعده، فهذا الخطاب صدر بعد نزول آية الصدقة بالخاتم، بأشهر
قلاتل، بالإضافة الى أنه كان آخر خطاباته العامة، التي شهدها المسلمون من
كافة الامصار، وبعده بفترة قصيرة توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا افتتحه بنعي نفسه
فقال: «كأنني قد دعيت فأجبت، وإنني قد تركت فيكم الثقلين احدهما أكبر من
الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا
حتى يردا عليّ الحوض»، ثم قال: «إن الله عزوجل مولاي، وأنا مولى كل
مؤمن» ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه،
وعاد من عاداه»^(٢).

وفي لفظ آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى

(١) المراجعات، مراجعة رقم ٢٨.

(٢) مستدرک الصحيحين، ج ٣، ص ١٠٣، قال صحيح على شرط الشيخين، الخصائص، ص ٢١،

كنز العمال، ج ١، ص ٤٨، حيدر آباد، وايضاً ذكره في ج ٦، ص ٣٩٠.

يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا
عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فانهم أعلم منكم» ثم أخذ بيد علي فقال: «من
كنت أولى به من نفسه فعلي وليّه، اللهم وال من واه وعاذ من عاذه»^(١).

وفي (صحيح الترمذي) قال عليه السلام: «اني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن
تضلوا بعدي، احدهما اعظم من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء الى
الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفارقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما»^(٢). وفي (صحيح مسلم) عن زيد بن أرقم قال: إن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيباً بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا
يا أيّها الناس فإنما انا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم
ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل
بيتي»^(٣).

هذه اقباس من أنوار خطاب الغدير ومن الملاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
افتتحه بنعي نفسه الزكية بقوله: «أيها الناس يوشك أن ادعى فأجيب واني
مسؤول» تنبيهاً الى أن الوقت قد استوجب تبليغ عهده، واقتضى الاذان بتعيين
خليفة من بعده، وأنه لا يسعه تأخير ذلك مخافة أن يدعى فيجيب قبل إحكام
هذه المهمة التي لا بد من إحكامها، ولا غنى لامته من إتمامها^(٤).
والتأمل في قوله: «ان الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»، - ثم أخذ بيد

(١) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٣-١٦٤، كنز العمال، ج ١، ص ٤٨، وج ٣، ص ٦١.

(٢) صحيح الترمذي، ج ٢، ص ٨-٣، اسد الغابة، ج ٢، ص ١٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور في
ذيل آية المودة في سورة الشورى.

(٣) صحيح مسلم، في فضائل علي، مسند الإمام احمد، ج ٣، ص ٤٦٦، سنن الدارمي، ج ٢،
ص ٤٣١، مستدرک الصحيحين، ج ٣، ص ١٠٩، وإيضاً، ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) المراجعات، مراجعة رقم ٥٤.

علي عليه السلام - فقال: «من كنت وليه فهذا وليه»، ويقارن بينه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يقطع بان خطاب الغدير ما هو الآ تفسير وبيان وتفصيل لآية الصدقة بالخاتم بل اجراء سياسي نبوي لتنفيذ مضمونها، لأن الترابط التكويني والترتب الواقعي الموضوعي واضح بين الولايات الثلاثة، ناهيك عما في كلمة الخبير في قوله: «ان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يترقا حتى يردا عليّ الحوض فلا تقدموهما فتهلکوا» من معنى عميق كبير في هذا الأمر الخطير.

شمول الآية لأهل البيت

قد يقال: إن دلالة الحصر في الآية يلزم منها سلب الامامة والولاية عن اولاد عليّ وأنتم لا تقولون به، اجبنا: بان السنة مفسرة للقرآن ومبيّنة لمجمله، وقد حدد النبي صلى الله عليه وآله في خطاب الغدير - وغيره - مصاديق الذين آمنوا في آية الصدقة بعليّ وأهل بيته عليهم السلام فقال: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فلا تقدموهما فتهلکوا»، فالحصر لا يخرجهم لأن الصدقة اذا وقعت من أبيهم جازت نسبتها اليهم مثل قوله تعالى في متأخري اليهود: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾ ^(١) والقتل من أسلافهم. قال بعض الادباء:

هذه إنّما وليكم الله أتت بالولاية من الله فيه
فاذا ما اقتضى من اللفظ معنى فيه كانت من بعده لبيته

ولئن خصصنا الخطاب بالحاضرين كما هو ظاهر الآية تم الحصر أيضاً ونستفيد إمامتهم من غيرها، وقيام الدليل الخارج على إمامتهم كان كافياً فيهم،

(١) سورة البقرة، الآية (٩١).

وقد وردت كراماتهم وعظيم منزلتهم في آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١). وفي آية المودة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، وفي آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣)، وفي آية إطعام المسكين في قوله تعالى: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٤)، بل تكاد تكون سورة الإنسان كلها فيهم باستثناء بضعة آيات في مقدمتها وآية في ختامها، فراجع هذه الآيات النازلة بحق أهل البيت عليهم السلام في سائر التفاسير وكتب أسباب النزول لتعلم خطير منزلتهم في الأمة بعد خاتم المرسلين. وقد وردت كراماتهم وصفاتهم الحاكية عن إمامتهم المؤكدة لولايتهم في النصوص المتواترة عن جدهم عليه السلام، وحسبك منها حديث الثقلين وخطاب الغدير وحديث السفينة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٥) وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأكيد الاقتداء بأهل بيته، وأن شفاعته لا تنال المعرضين عن

(١) سورة الاحزاب، الآية (٣٣).

(٢) سورة الشورى، الآية (٢٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٤) سورة الإنسان، الآيتان (٨ و ٩).

(٥) مستدرک الصحيحین، ج ٢، ص ٣٤٣، صحيح على شرط مسلم، وأيضاً في ح ٣، ص ١٥٠، كنز العمال، ج ٦، ص ٢١٦، وأيضاً ج ١، ص ٢٥٠، طبع حيدرآباد بمجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٧٦-١٦٨، حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦، ذخائر العقبى، ص ٢٠، كنوز الحقائق، ص ١٣٢، فيض التدير، ج ٤، ص ٣٥٦، الصواعق المحرقة، ص ٧٥.

ولا يتهم، المنكرين والمكذبين بفضلهم، القاطعين صلتهم فقال ﷺ: «من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنه عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلُقوا من طينتي رزقوا فهمي وعلمي، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتي»^(١).

والائمة من آل محمد ﷺ الذين حقت لهم الولاية، ووجبت لهم الخلافة والطاعة بعد النبي ﷺ اثنا عشر إماماً، وهم المعنيون في حديث البخاري عن جابر يرفعه قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم اسمعها، فسألت أبي: ماذا قال؟ قال: «كلهم من قريش»^(٢). وفي رواية: «انه لا يهلك هذه الأمة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»^(٣)، وفي خبر: «لا تضرهم عداوة من عاداهم»^(٤)، وفي لفظ: «لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش»^(٥) فهذا العدد لا ينطبق على خلفاء بني أمية، لزيادتهم عليه، ولأن الله تعالى لعنهم في القرآن ووصفهم بالشجرة الملعونة^(٦)، فلا يصدق عليهم قوله ﷺ: «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق». ولا يمكن تطبيقه على خلفاء بني العباس لزيادتهم عليه أيضاً، بالإضافة لفتكهم بأبناء رسول الله ﷺ وعدم رعايتهم لقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، مع انهم من أرحامهم ومع ذلك تمادوا في تقتيلهم

(١) حلية الاولياء، ج ١، ص ٨٦، كنز العمال، ج ٦، ص ٢١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاحكام.

(٣) المطالب العالية، ج ٤، ص ٣٤٢، ح ٤٥٥٢.

(٤) فتح الباري، ج ١٦، ص ٣٣٨.

(٥) كنز العمال، ج ١٣، ص ٢٧.

(٦) راجع تفسير الآية (٦٠) من سورة الاسراء في الدر المنثور للسيوطي.

وتشريدهم واضطهادهم حتى فاقوا بني أمية في ظلمهم لهم كما قال الشاعر:
والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وبنو أمية وبنو العباس هم المعنيون في سورة محمد ﷺ بقوله تعالى:
﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم﴾^(١)، ولهذا كان الإمام علي وكذلك الامام
الصادق عليه السلام يقولان: «سورة محمد ﷺ آية فينا وآية في عدونا»^(٢). فلا بد
من حمل الحديث على الائمة الاثني عشر من آل محمد ﷺ الذين اذهب الله
عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم كلهم عملوا بالهدى ودين الحق، مع عداوة
من عاداهم ومخالفة من خالفهم من قريش والآيات النازلة بحقهم،
والاحاديث الواردة بفضلمهم شاهدة على ذلك، كما صرح به الامام علي عليه السلام في
قوله: «إن الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم
ولا تصلح الولاة من غيرهم»^(٣).

مع الفخر الرازي في تفسير الآية

ذكر الفخر الرازي وجوهاً متعددة، حاول فيها نفي دلالة الآية على لزوم
خلافة علي عليه السلام وإمامته بعد النبي ﷺ مباشرة، اكتفي هنا بعرض اقواها مع
مناقشتها.

الوجه الاول: قال: إنَّ حمل الوالي - في آية الصدقة بالخاتم - على

(١) سورة محمد، الآيتان (٢٢ و ٢٣).

(٢) تفسير الدر المنثور، ج ٧، ص ٤٥٦، طبع بيروت دار الفكر، تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٢.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٤٢.

الناصر والمحب أولى من حمله على المتصرف ، لأن الآيات التي قبلها -الناحية
عن ولاية اليهود والنصارى- دلت على ذلك ، فالولاية للأمور بها هنا هي عين
المنهي عنها هناك .

ونجيب : بأننا لم نجد سبيلاً لحمل الولاية المنهي عنها مع اليهود
والنصارى على النصرة والمحبة ، لأن النصوص القرآنية كانت تأتي ذلك ، وهي
التي دلتنا على المعنى السياسي للولاية المنهي عنها وحددته بولاية الحاكمية
والمتصرف ، ومن هناك اتضح لنا بأن الولاية المنهي عنها في تلك الآيات هي
الأمور بها في هذه الآية .

الوجه الثاني : قال : اثبتنا في آية الارتداد ، بأنها تدلُّ على امامة أبي بكر
فلو دلت هذه الآية على إمامة عليٍّ بعد رسول الله ﷺ للزم التناقض بين
الآيتين ، وذلك باطل ، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن علياً هو
الامام بعد رسول الله ﷺ .

ونجيب بأنه : لم يثبت انطباق آية الارتداد على حوادث الردة ، في زمن
أبي بكر ، لأن خطابها ليس موجهاً للأعراب الذين صدر منهم الارتداد خارج
المدينة ، بل كان موجهاً للمؤمنين في داخل مجتمع المدينة وهم واسلافهم
المهددون بالاستبدال إن ارتدوا عن نهج الولاية الإلهية وتخلوا عن التمسك
برموزها الشرعية واتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، فلا حجية في الآية على
مدعى الرازي ، ولا تناقض بين آية الارتداد التي تهدد المرتدين عن النهج
الاصيل للدين ، وبين آية الصدقة بالخاتم التي تؤكد وجوب التمسك بولاية
عليٍّ ﷺ وإمامته للمؤمنين .

الوجه الثالث : قال : ان الآية عامة لا خصوصية فيها لشخص معين لأن
الصدقة لا تسمى زكاة في الشريعة ، واطلاق لفظ الجمع على المفرد ، وإن كان
جائزاً على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة ، والأصل حمل الكلام على

الحقيقة أما الركوع فيراد به مطلق الخضوع لله تعالى، فلا يكون للآية دلالة واضحة على إمامة عليٍّ وخلافته.

ويرد هذا الوجه: بأنَّ العرب كثيراً ما يعبرون عن المفرد بلفظ الجمع لأنكته تستوجب ذلك، فاذا أردوا تضخيم الشجاع أو مدح الزعيم، أو تبجيل الكريم، خاطبوه وأشاروا الى افعاله وآثاره بلفظ الجمع إجلالاً له، واحتراماً لعظيم منزلته عندهم، واذا قصدوا ذم البخيل والحط من سمعة الجبان والتيل من الخبيث اللئيم، حشدوا الى مناوءته وشهروا به بين الناس بلفظ الجميع، وقد سلك الوحي اثر الكلام العربي ونازله في الإعجاز بأساليبه وكلماته، فأطلق في آية المباهلة لفظ الابناء على الحسن والحسين، والنساء على فاطمة وحدها والأنفس على عليٍّ وحده تعظيماً لشأنهم، وخطير منزلتهم عند الله، حين تحدى بهم النبي ﷺ نصارى نجران في المباهلة من دون أن يشرك احداً من المسلمين معهم، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾^(١) مع أن لفظ الأبناء والنساء والأنفس في الجمع وكذلك اطلق القرآن لفظ الجماعة على المفرد في قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾^(٢)، وكان القائل عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وفيه نزلت هذه الآية، كما هو متفق عليه بين المفسرين، ومنهم الفخر الرازي! فهل يصح اطلاق لفظ الجمع وإرادة المفرد في القرآن على المنافقين دون المؤمنين؟!

(١) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٢) سورة المنافقون، الآية (٨).

وعلى أي حال فالسبب في إيراد لفظ الجمع وإرادة الفرد في الآية هو لتعظيم الراكع ، وتضخيم المتصدق لإعلاء شأنه والالفات الى خطير منزلته في الامة ، ومكانته عند الله ورسوله ﷺ الا ترى ان الله تعالى منحه منزلة الولاية السياسية والرئاسة الإلهية التي منحها لمنصب النبوة .

أما قوله: **بأن الصدقة لا تسمى زكاة**، فواوٍ جداً لأن معنى الزكاة في اللغة أعم من معناها الشرعي، لدلالته على مطلق الاتفاق، قال تعالى في وصف اسماعيل: **﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾**^(١)، مع أنه لم تكن في الاديان السابقة الزكاة المالية المفروضة في الإسلام، وقال تعالى: **﴿قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾**^(٢). وقال أيضاً: **﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾**^(٣)، وقد نزلت هاتان الآيتان في مكة باجماع المفسرين، ولم تكن يومئذ فريضة الزكاة مقررة في الشريعة فالمراد منها في الآيتين مطلق الاتفاق، وهو المعنى المفهوم من صدقة الخاتم ولهذا ذهب ابو السعود والبيضاوي فقالا: وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة.

وأما حمل الركوع في الآية على الخضوع المعنوي، فلا يصح لأنه لغة يعني: الانحناء، وهو مستعمل في صورتين، في الهيئة الصلانية المخصصة، وفي التواضع والتذلل، كما يفعل البعض لملوكهم، ولم يستعمل في الخضوع والتذلل المعنوي، الآ على نحو المجاز، ومتى ثبت استعمال اللفظ في معناه الحقيقي في الخطاب لا يجوز حمله على المعنى المجازي.

(١) سورة مريم، الآية (٥٥).

(٢) سورة الأعلى، الآيتان (١٤ و ١٥).

(٣) سورة المؤمنون، الآية (٤).

وكل هذه التأويلات القاضية بعدم جواز اطلاق الجمع على المفرد، والزكاة على الصدقة، والركوع على الهيئة الصلواتية المخصوصة، تمرد على الواقع الذي نزلت فيه الآية وهروب صريح من المتواتر في روايات اسباب النزول، وهي وحدها كافية لإثبات اختصاص الآية بعلي عليه السلام من دون تكلف فراجمها، وتأمل في خبر عمار وأبي ذر منها، فهما نعان صريحان على إرادة ولاية التصرف والحاكمية، ثم اقض ما أنت قاضٍ .

ولو صحّ الاعراض عن تفسير هذه الآية بأسباب النزول مع تراكمها وكثرتها وتعدد طرقها وصراحة معانيها وتواتر الفاظها لم يصح بعدئذ الوثوق بشيء من اسباب النزول في تفسير القرآن، مع أنهم يشبتون بعض الأمور الدينية ويعتبرونها حقائق واقعية لا تقبل النقاش، اعتماداً على رواية أو روايتين .

الوجه الرابع : قال : ان الخطاب في الآية للمسلمين، لتعريفهم بأن لا حاجة بهم الى اتخاذ الاحباب والانصار من الكفار، لأنّ من كان الله ورسوله محباً وناصراً له، فلا يحتاج لطلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى، فالمراد بالولي هنا الناصر والمحب لا ولاية التصرف والحاكمية .

ونرد عليه : بأنّ تفسير الولاية بالنصرة والمحبة لارتباط الآية بما قبلها من الآيات الناهية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ليس صحيحاً، لثبوت ولاية التصرف بأبعادها السياسية فيها، وهو الثابت في المغيبات النبوية التي اخبرت عن تسلط اليهود والنصارى وتحكمهم سياسياً على بلاد المسلمين في آخر الزمان، يضاف اليه أن الخطاب في آية الصدقة بالخاتم، موجّه للأمة وظاهرة أن الولي غير المولى عليه، كما هو مفاد اداة الحصر، فلو كانت ولاية النصرة هي المرادة، فلا وجه لاستخدام اداة الحصر في الآية لأن ولاية النصرة عامة في مجتمع المؤمنين كما شهد التنزيل في قوله تعالى : ﴿المؤمنون

والمؤمنات بعضهم اولياء بعض^(١)، وقال تعالى: ﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾^(٢)، وقال: ﴿ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين﴾^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن ولاية النصرة وان ثبتت من المؤمنين لنبيهم فإنها لم تثبت من الرسول لهم، فلا يوجد نص قرآني ولا نبوي واحد، يعتبر النبي ﷺ ناصراً للمؤمنين. نعم حصر القرآن ولاية النبي ﷺ على المؤمنين في بُعدين: أحدهما: تشريعي وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٤). وبهذا المعنى من الولاية، عرّف الله تعالى رسوله ﷺ بأنه بشير نذير وسراج منير، ومبلغ رسالة ربه بين يدي عذاب شديد. وثانيهما: سياسي وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٥). وبهذا البعد من الولاية عرف الرسول ﷺ بأنه قائد وحاكم، وموجه وقاض، يأمر ويوجه ويقضي ويحكم بين المسلمين بالعدل، وبما أراد الله تعالى، ويتصرف بأمرهم كما يشاء لأنه أولى بهم من انفسهم، واعرف منهم بما يصلحهم، وهو معصوم لأنه لا ينطق عن الهوى.

ولا انفكاك بين الولايتين -السياسية والتشريعية- بل هما ولاية واحدة، وهي ولاية التصرف والحاكمية، وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾، وليس ولاية النصرة لأنها لم تثبت للنبي ﷺ تجاه

(١) سورة التوبة، الآية (٧١).

(٢) سورة محمد، الآية (٧).

(٣) سورة التوبة، الآية (٤٠).

(٤) سورة الحشر، الآية (٧).

(٥) سورة النساء، الآية (٦٥).

وولاية التصرف والحاكمية، ثابتة لله تعالى بالاصالة والاستقلال
 ورسوله ﷺ بالوحي والتبعية، ولخليفة رسول الله ﷺ بالنص والتعيين، كما
 جاء في روايات اسباب النزول التي قرن فيها رسول الله ﷺ بمطلب
 أخيه موسى عليه السلام، حينما طلب من الله تعالى أن يجعل له وزيراً من اهله يشركه
 في امره فقال: «اللهم وأنا محمد نبيك و صفيك، فاشرح لي صدري ويسر لي
 امري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري»، فقال أبو ذر: فوالله ما
 اتم رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ ﴿إنما
 وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
 راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾،
 فقرأها رسول الله ﷺ على اصحابه في المسجد - كما تقول رواية عمار - وقال
 لهم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه» .

أتباع الولاية هم الغالبون

﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (١) .
 التولي هنا بمعنى: اتخاذ الولي، ومتابعتة فيما يأمر وينهى، ووضع الثلاثة - الله
 تعالى ورسوله والمؤمنين - في ساحة المساواة في الخطاب، لا يدل على أنهم
 ايضاً متساوون في درجة الولاية، بل يدل على وجوب ترتبها وتسلسلها، بأن
 تستمد ولاية الرسول ﷺ على أمته من الله تعالى، صاحب الولاية الاصيلية،
 العليم الخبير الحكيم بعباده المتصرف بشؤونهم كيفما يشاء. أما ولاية الذين
 آمنوا وهم علي وأهل بيته خلفاء الرسول ﷺ على امته بعده، فيجب أن

(١) سورة المائدة، الآية (٥٦).

تستمد شرعيتها من الله تعالى ، ويأتى أمر تعيينها بالتص من عن طريق رسوله ﷺ الذي لا دخل له فيها إلا بمقدار تبليغ امرها والانذار من خطر مخالفتها . وقوله : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ : مسوق مساق النتيجة لمن تولى الثلاثة ، من دون تفريق وتفكيك بينهم كل حسب منزلته في مقام الولاية ، ومعناه : أن من يتولاها ، فهو من حزب الله ومن عباده الصالحين وكفى بالله القوي العزيز ولياً وناصرأ وحافظأ لحزبه وعباده الصالحين . واطلاق عنوان حزب الله على اتباع الولاية والخلافة الإلهية ، يراد منه تحديد هويتهم العقائدية والسياسية ، لغرض تعريفهم للأمة بأبرز صفاتهم الدينية - الفكرية والسلوكية - فهم حزب الله لأنهم لم يتمردوا على شريعته وارادته في اختياره لرموز ولايته ، كما تمرد بنو اسرائيل على رسالته وخانوا أمره في أهل ولايته هارون واسباط موسى ﷺ ، وهم حزب الله لأنهم يرتبطون به ارتباطاً واقعياً صميمياً ، ويتمنون اليه بكل منطلقاتهم الحياتية من خلال تمسكهم بكتابه وطاعتهم لرسوله ﷺ وامتثالهم لأمر اوليائه لا يفرقون بين أحد منهم .

وتُشعر كلمة حزب الله بانقسام الامة بشأن الولاية والخلافة الى احزاب مختلفة و فرق متعددة ، وانما اكتفى الوحي بذكر حزب الله ولم يذكر الأحزاب الأخرى المناوئة له ، من باب استحقاقها والاستهانة بها ، لرفضها ولاية أوليائه الذين افترض طاعتهم بعد رسوله ﷺ .

ويدل مفهوم الغلبة على تورط الأمة بفتنة الصراع على الولاية والاقتيال من اجلها ، وتاريخ الامة الاسلامية - منذ وفاة نبيها الى يومنا هذا - يصادق على هذه النبوءة القرآنية ، فالصراع السياسي والاقتيال في داخل المجتمع الإسلامي ، بمعاركة وثوراته - المستقيمة والمنحرفة - كله داخله في اطار الاختلاف المذهبي على قضية الخلافة والولاية بين المسلمين ، واسناد الغلبة لحزب الله لا يعني أنه دائماً يخوض معارك الفتنة على الخلافة ويخرج منتصراً

عسكرياً فيها ، فالتاريخ الاسلامي لا يؤيد هذا التصور ، وإنما يريد الوحي المبين أن يخبر عن قضية غيبية وهي : أن حزب الله سيكون النصر حليفه دائماً في كل المعارك التي تفرض عليه أو يدخلها بإرادته ، وكذلك في الثورات التي يخوضها من اجل الانتصار لراية الولاية الإلهية . ولكن تختلف أشكال النصر في معارك حزب الله ، فتارة يكون نصراً عسكرياً واخرى نصراً سياسياً ، أو عقائدياً حسب أهداف المعارك وظروفها الموضوعية .

وقد تحقق كل ذلك لحزب الله ، في طول التاريخ الاسلامي ، لأن مفهوم الغلبة لا يقتصر في الآية على البعد العسكري بل يشمل ايضاً البعد السياسي والعقائدي الذي تجسد في معارك حزب الله في صفين و كربلاء ، وغيرهما من المعارك والثورات العلوية ، والانتفاضات الشيعية التي سجلت مواقف اسلامية عادلة ونصراً سياسياً أو عقائدياً أو عسكرياً ساحقاً على السلطات الاموية والعباسية وغيرها من الحكومات المنحرفة عن الاسلام ، وان لم يحقق المجاهدون في اكثر تلك الثورات نصراً عسكرياً حاسماً .

معارك حزب الله في آخر الزمان

وتدل رسالة المغيبات الاسلامية أن معارك حزب الله في آخر الزمان ، تستعمل بوجه اعداء الإسلام في مختلف بقاع العالم تمهيداً للظهور ، إلا أن الاخبار القرآنية والنبوية اهتمت بتسليط الاضواء على معاركه في محورين : الأول : في بلاد فارس بعدما تتحول - بفعل ثورة الموطئين - الى قلعة تحدي ايمانية وجهادية صلبة شامخة ضد اعداء الامة الاسلامية في آخر الزمان . الثاني : في بلاد الشام ضد الوجود اليهودي والصليبي المعتدي على كرامة المسلمين ومقدساتهم في هذه الديار المقدسة .

وستنطرق لمعارك المحور الاول في الفصل الثالث من هذا الكتاب . اما

معارك حزب الله في بلاد الشام فقد تعرضت لها البشائر النبوية التالية: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على ابواب دمشق وما حولها، وعلى ابواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق الى أن تقوم الساعة»^(١). وقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على ابواب بيت المقدس وما حولها وعلى ابواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كثره من الطالقان فيحيي به دينه كما أميت من قبل»^(٢). وقوله ﷺ: «سيكون بعدي ناس من أمتي يسد الله بهم الثغور يؤخذ منهم الحقوق ولا يعطون حقوقهم اولئك مني وانا منهم»^(٣). وقوله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق قائمين بأمر الله لا يضرهم خلاف من خالفهم كلما ذهب حزب نشأ آخرون حتى تقوم الساعة»^(٤). وقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم لا يضرهم من جابههم - إلا ما أصابهم من لأواء - حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله واين هم؟ قال: ببيت المقدس، واكناف بيت المقدس»^(٥). وقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي فيقول: تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول: هذه الامة أمراء بعضهم على بعض»^(٦). وفي لفظ مسلم: «حتى ينزل عيسى بن

(١) مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٦٠، قال: رواه ابو يعلى ورجاله ثقات.

(٢) كنز العمال، ج ١٢، ص ٢٨٤، ح ٢٥٠٥٥.

(٣) كنز العمال، ج ١٢، ص ١٨٢، ح ٢٤٥٧٦.

(٤) الفتن، مخطوط، ص ١٦٨.

(٥) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٨٨، قال: رواه عبدالله والطبراني ورجاله ثقات.

(٦) الحاوي للفتاوي، ج ٢، ص ٨٣، الفتاوي الحديثة، ص ٣٨، مطلب ظهور المهدي والسفياي وشعيب التميمي من الذاتية، ص ١٤٣، البرهان باب ٩، ح ١٠، عقد الدرر باب ١٠، ص ٢٣٠.

مریم فیقول إمامهم: تقدم صلِّ بنا، فيقول: أنتِ احق، بعضكم امراء على بعض، أمر أكرم الله به هذه الامة»^(١).

ومن يتدبر في معاني كلمات هذه الأحاديث النبوية، وخاصة في قوله ﷺ: «لا يضرهم خذلان من خذلهم يوخذ منهم الحقوق ولا يعطون حقوقهم لا يضرهم خلاف من خالفهم» يعلم بأن جماعة حزب الله التي تخوض معارك جهادية متواصلة ضد الاحتلال اليهودي لفلسطين في آخر الزمان، ستعاني من المؤامرات والطعنات الموجهة من الخلف على يد أحزاب مرضى القلوب وأئمة الضلال من خونة الامة والرسالة، أضعاف ما تعانيه في معاركها ومواجهاتها مع اليهود المجرمين، ومع ذلك ستواصل جهادها بعزم واصرار وثبات حتى ظهور قائدها المهدي ﷺ، بالرغم من قلة ناصرها وكثرة خاذلها وتكالب الاعداء عليها، واتحاد قوى اليهود والنصارى وطابور النفاق ومرضى القلوب على ضربها وتصفيتها والقضاء عليها.

وقد تعرضت سورة الاسراء، وأخبار الرايات السود الموطئة للمهدي ﷺ الى أهم معارك حزب الله مع اليهود في فلسطين، وتمثل معاركه في بلاد فارس وبلاد الشام الجانب التطبيقي الايجابي لقانون الاستبدال الإلهي في التاريخ الجهادي للجماعة الاسلامية البديلة، التي تتحمل مسؤولية إعادة الاسلام الى قيادة الامة في صراعا العقائدي والسياسي مع قوى الكفر والنفاق، وفي معاركها الجهادية المقدسة لتحرير فلسطين من اليهود المعتصين، بعد خيانة حكومات الدول العربية للأمة والرسالة وتخليها عن تحرير فلسطين وموالاتها لليهود والنصارى.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن ندرك الابعاد الإلهية، وراء تسليط الاضواء

(١) صحيح مسلم، ج ١، كتاب الايمان، ح ٢٤٧، وايضاً رواه في ج ٣، ص ١٧٣، ح ١٥٢٤.

على معارك حزب الله في هذين المحورين - في رسالة المغيبات - أكثر من معاركه الأخرى .

وتحتل معركة (الفتح الأكبر) - وهي آخر وأكبر معارك الإمام المهدي عليه السلام - الدرجة الثانية من الأهمية في البشائر القرآنية والنبوية، بعد معارك حزب الله في بلاد فارس وبلاد الشام، وبها يلحق الهزيمة الساحقة باديان الكفر والشرك كلها، ويحقق النصر والغلبة النهائية على جميع أعدائه وتكون له وحدة الحاكمية العامة على ربوع المعمورة قاطبة .

وبهذا البيان يتضح وجه الارتباط في النص القرآني بين تهديد مرضى القلوب والموالين لليهود والنصارى بالفتح الأكبر في قوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ ، وبين البشرى للمتمسكين برموز الولاية الإلهية بالغلبة على أعدائهم في قوله تعالى: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ .

وبهذا البيان يتضح أيضاً عدم صحة ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي في تفسير الغلبة بالفلاح والفوز بالسعادة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة لأن هذا المعنى للغلبة لا يدل عليه منطوق الآية وسياقها، ولا ينسجم مع مفهوم الغلبة في القرآن المستخدم غالباً في المجال القتالي وليس في المجال المعنوي .

وفي ختام تفسير هذا النص القرآني، الذي بدأنا تفسيره من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ الى قوله: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ نتأكد من وحدته الموضوعية التي تجلّت في ترابط سياق آياته ومفاهيمه وأفكاره وجميع موضوعاته، فالذين سارعوا في ولاية اليهود والنصارى هم الذين تخلوا عن رموز الولاية الإلهية، وهم المرتدون عن نهج الدين السياسي والجهادي

الاصيل ، وهؤلاء هم الذين ستحل بهم عقوبة الاستبدال وان القوم المبعوثين بدلاً منهم هم قادة الفتح الإلهي الأكبر الموعود ، وهم المتمسكون برموز الولاية المشار اليهم في آية الصدقة بالخاتم ، وهم حزب الله الغالبون ، انصار المهدي في آخر الزمان والموظفون له سلطانه .

وكل هذه المفاهيم والافكار القرآنية التي أثارها هذا النص القرآني ، تؤكد عدم صحة ما ذهب اليه العلامة الطباطبائي في فصله لآية الولاية ، وآية حزب الله عن الآيات التي قبلهما ، بل جميع هذه الآيات تتحدث عن موضوع واحد وهو الولاية السياسية في خط الهدى ، وفي خط الضلال ، والنتائج المترتبة على أبعادها السلبية والايجابية في مستقبل الامة الاسلامية .

تفسير النص القرآني الثاني

قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾^(١) .

عن ابي هريرة أنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة ، فتلاها فلما بلغ : ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال له رجل : يا رسول الله ! من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ؟ فوضع النبي ﷺ يده على رأس سلمان الفارسي وقال : « والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثرثرا لثاله رجال من

(١) سورة الجمعة ، الآيات (٢ - ٤) .

هؤلاء»^(١) وفي لفظ آخر قال: «هذا وقومه والذي نفسي بيده» وذكر الحديث . وهذا النص القرآني ، من أهم نصوص الاستبدال الموعود وان لم يلتفت اليه المفسرون قاطبة ، وتضع أهميته اذا استطعنا أن نفهم المعنى الدقيق لقوله تعالى: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

قال المفسرون: ان المراد من الآخرين هنا كل من اعتنق الاسلام بعد العرب من الأمم الأخرى ، وانما أشار النبي ﷺ الى سلمان من باب التعريف بالمثال ، ليفهم الحاضرون معنى الآية من خلال الإشارة إلى بعض مصاديقها الحاضرة في مجلسه .

وهذا الكلام في غاية الصحة ومنتهى الدقة والصواب إن ثبت عدم وجود القرائن المخصصة للآية بقوم دون آخرين ، ولكن الأمر ليس كذلك ، لوجود قرينتين تدلان على اختصاصها بقوم سلمان دون غيرهم من الأمم الأخرى ، وتؤكدان ورودها بموضوع الاستبدال الموعود .

القرينة الاولى: قوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ . فلو تتبعنا صيغة فضل بجميع اشتقاقاتها الواردة في القرآن لوجدناها قد وردت فقط بشأن تكريم الله تعالى لافراد أو قوم وتفضيلهم على آخرين في الدنيا بحمل الرسالة وهداية الناس . مثلاً وردت صيغة فضلتمكم مرة واحدة بصدد تكريم الله تعالى لبني اسرائيل وتفضيلهم على العالمين بقيادة أول تجربة سياسية للدين الإلهي في التاريخ البشري . واستخدم القرآن مادة فضل بصيغ مختلفة سبع مرات وكلها بصدد تكريم قوم دون آخرين ، مع ربط ذلك

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، صحيح الترمذي ج ٥ ، ج ٣٣١٠ ، مصابيح السنة ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ ، الكشاف ، ج ٤ ، ص ٥٣٠ .

بالاشاءة الإلهية في مثل قوله تعالى : ﴿ذلك فضل الله يؤتیه من یشاء﴾ أو ﴿یختص به من یشاء﴾ . وهذه الاشاءة مصطلح قرآنی، یعبر به دائماً عن الحكمة الالهية في الاختيار والتدبير والتغییر الاجتماعي والسياسي والتشريعي، فيما یخص التصرف بشؤون العباد لما یصلحهم في دنياهم وأخراهم .

أما المرات السبع فقد وردت كالتالي : الاولى : خاصة بتفضیل الله تعالى للمؤمنين به ويرسله يوم القيامة وتكريمهم في جنات النعيم ، ودعوة المؤمنین للمسابقة نحو هذا الفضل العظيم . وثلاث مرات جاءت بصدد إخبار المسلمين ، بحسد أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم ، لما اختصهم الله تعالى من تكريم برسائله الخاتمة وفضلهم بها عليهم فاخترهم قاعدة هداية للعالمين وهي كما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضل على من یشاء من عباده﴾^(١) .

٢- وقوله تعالى : ﴿ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله یختص برحمته من یشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٢) .

٣- وقوله تعالى : ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن یؤتی أحد مثل ما أوتیتم أو یحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله یؤتیه من یشاء والله واسع عليم یختص برحمته من یشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة، الآية (٩٠) .

(٢) سورة البقرة، الآية (١٠٥) .

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (٧٣ و ٧٤) .

المرّة الخامسة حتّ الله تعالى المؤمنين فيها على الالتزام بشروط حمل الأمانة والرسالة الإلهية ليكونوا قادة وهداة للناس ، ولتعلم أهل الكتاب بانهم ليسوا أهلاً لهذه المسؤولية والقيادة الإلهية العظيمة فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفغر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب إلا يقدرون على شيء من فضل الله وإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١).

المرّة السادسة وردت بصدد تهديد المجتمع العربي بالاستبدال والطرّد من موقع قيادة الأمة ، والاتيان باخرين لقيادتها بدلاً منه ، ان اخلّ بشروط حمل الأمانة الإلهية وانحرف عن نهجها السياسي والجهادي وتخلّى عن مبادئها وسارع في ولاية اعدائها من اليهود والنصارى ، وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٢).

المرّة السابعة قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٣).

وبهذا يتبيّن أن الفضل الإلهي والتكريم الرباني في هاتين الآيتين من سورة الجمعة يعودان أولاً الى مجتمع الاميين العرب الذين اختارهم الله تعالى

(١) سورة الحديد ، الآيتان (٢٨ و ٢٩) .

(٢) سوره المائدة ، الآية (٥٤) .

(٣) سورة الجمعة ، الآيتان (٢ و ٣) .

بدلاً من بني اسرائيل لحمل رسالته، وثانياً للآخرين من بعدهم وهم الفرس الذين يتصدون لحمل الامانة الالهية وقيادة الامة الاسلامية بعد استبدال المجتمع العربي بهم، وحاول بعض المفسرين حمل الفضل في الآية على الرسول ﷺ، وهو غير صحيح لأنه يستلزم عودة الضمير الى المتأخر رتبة وهو خلاف القاعدة.

القرينة الثانية: تفسير النبي ﷺ للآية حينما سأله بعض الصحابة عن الآخرين الذين لما يلحقوا بهم، فوضع يده على رأس سلمان الفارسي وقال: «والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء»، فلو لم يُرد من الآخرين خصوص قوم سلمان لقال: أمم الأعاجم أو قوم هذا الرجل وامثالهم بل قوله: «لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء» دليل على اختصاص الآية بهم لأن هذه الصفات لم تذكر أو تسند في الاحاديث النبوية لغيرهم.

وحديث النبي ﷺ في تفسير معنى الآخرين في هذه الآية نظير حديثه في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم﴾^(١)، وحينما قالوا له: «يا رسول الله! مَنْ هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا امثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان وقال: هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس»^(٢).

وفي نظرة عامة لسورة الجمعة يلاحظ أنها تعرضت لثلاثة اقوام تهيأت فيهم المقومات الإيجابية لحمل الامانة الالهية في ثلاث فترات تاريخية متعاقبة وهم: قوم موسى ﷺ وقوم محمد ﷺ وقوم سلمان الذين ما زال العالم يتطلع لدورهم القيادي المرتقب. وفي سورة الجمعة توجد معانٍ عميقة

(١) سورة محمد، الآية (٣٨).

(٢) ذكرنا مصادر هذا الحديث في الفصل الاول.

وعظيمة، ونكات دقيقة ترتبط بمفهوم الاستبدال ومقوماته السلبية ابتداءً بمفهوم: ﴿الذين حُمِلُوا التوراة ثم لم يحملوها﴾ مروراً بمثل ﴿الحمار الذي يحمل أسفاراً﴾ وهو من اكبر اسباب الفرار من الزحف والتناقل عن الجهاد، ومن اهم عوامل الاستبدال، وانتهاءً بموقف الذين تخلوا عن توجيهات الرسول ﷺ وسارعوا الى اللغو والى التجارة، متمردين على قيادة خاتم المرسلين ﷺ .

وانك لترى القرآن يخاطب قيادات المجتمع العربي المستبدل في هذه السورة بانحرافات بني اسرائيل بلغة اياك اعني واسمعي يا جارة، انطلاقاً من مبدأ اتباع سنن الماضين من اليهود والنصارى .



الفصل الثاني

- دراسة تطبيقية لقانون الاستبدال
- * الاستبدال في الأحاديث النبوية
- * الاستبدال في التاريخ الاسلامي

القسم الاول

الاستبدال في الاحاديث النبوية

أهمية السنة في فهم القرآن

تصدى القرآن لطرح أصول الدين ومبادئه الأساسية وترك ايضاحها وإعطاء التفاصيل الكاملة عنها للسنة النبوية ، وهو معنى قول النبي ﷺ : «إني أوتيت الكتاب ومثله معه»^(١) أي انه ما من آية من آيات القرآن الا وقد ذكر لها النبي ﷺ في احاديثه ما يفصل معناها ويبينها تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾^(٢) ، والى ذلك اشار الشاطبي بقوله : ان السنة راجعة في معناها الى الكتاب ، فهي تفصيل مجمله ، وبيان مشكله ، وبسط مختصره فلا تجد في السنة امراً الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية ، أو تفصيلية ، إن السنة إنما جاءت مبيّنة للكتاب وشارحة لمعانيه . انتهى^(٣) .

وقد نزل الله تعالى السنة النبوية الصحيحة منزلة القرآن في العصمة

(١) سنن ابي داود ، كتاب السنة باب لزوم السنة .

(٢) سورة النحل ، الآية (٤٤) .

(٣) الموافقات للشاطبي ، نقلاً عن اضاء على السنة المحمدية ، ص ٤٠ - ٤١ .

ووجوب الاخذ عنها والتحاكم اليها، وأخبر في محكم كتابه بانها وحي إلهي كالقرآن فقال تعالى في وصف كلام نبيّه: ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾^(٢)، وأمر المسلمين بالرجوع الى النبي ﷺ لعلاج ما يقع بينهم من اختلافات في فهم الدين، وفي اسلوب تطبيقه لأن الاختلافات تقع في الأعم في تفاصيل الشريعة وتطبيقاتها، ولا تمس اصولها ومبادئها الأ نادراً، فالنبي ﷺ هو المتكفل ببيان ذلك وهو معنى قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٣). فجعل الله تعالى القبول بتحكيم كلام رسوله والأخذ به شرطاً في صحة الإيمان تماماً كالقبول بتحكيم القرآن في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^(٤).

ولأجل هذا الترابط الوثيق بين كلام الله تعالى وكلام رسوله، في بيان وإيضاح مبادئ الدين وتفاصيله، يجب على المسلمين عرض حديث النبي ﷺ وسنته على القرآن - في حالة الشك بصحتها - فما وافقه يُعمل به، وان كان ضعيف السند، وما خالفه فهو زخرف من القول يجب أن يضرب به عرض الجدار، حتى لو كان في اعلى درجات الصحة والوثاقه في رجاله وأسانيده، والى هذا المرمى اشار الشافعي بقوله: «لا تخالف سنّة رسول الله

(١) سورة النجم، الآية (٣).

(٢) سورة الحاقة، الآيات ٤٤ - ٤٧.

(٣) سورة النساء، الآية (٦٥).

(٤) سورة المائدة، الآية (٤٤).

كتاب الله بحال»^(١). وفي ضوء ما تقدم يجب أن نعي المبررات الشرعية التي تركز عليها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في رفضها للاجتهاد بالرأي قبال النصّ الشرعي، وعدم اعتمادها مبدأ القياس والاستحسان وغيرها من المبادئ الذوقية، التي لا دليل عليها من القرآن والسنة، فإنّ هذا اللون من الاجتهاد المزعوم يستبطن القول بنقص الشريعة والاستدراك على الله تعالى وهو على حدّ الشرك به جلّت عظمته.

دور السنة في فهم المغيبات القرآنية

في ضوء ما أسلفنا يتضح أثر السنة في بيان المغيبات القرآنية التي غالباً ما تأتي مجتمعة، بسبب الغموض الذي يحيط بمعانيها الغارقة في المستقبل المجهول، فتأتي الأحاديث النبوية وتحسر نقاب الإبهام عن مداليلها وتطرح التفاصيل المبيّنة لمصاديقها ومعانيها.

وقد غطت الأحاديث النبوية جميع المغيبات القرآنية وتصدت لإيضاحها وبخاصة السياسية منها، وهو ما تدل عليه بوضوح الأخبار التالية:
 عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الآحدث به»^(٢). وقال أيضاً: «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدُّنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا وقد سماه لنا باسم أبيه وأسم قبيلته»^(٣).
 وقال الإمام عليّ عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا

(١) اضاء على السنة المحمدية، ص ٤٠ - ٤١.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٣٢١٧، كتاب الفتن، مستدرك الصحيحين، ج ٤، ص ٤٧٣.

(٣) مصابيح السنة، ج ٣، ص ١٣٥، سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤١١.

تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مئة وتضل مئة ،
الأنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يقتل
من أهلها ، ومن يموت منهم موتاً^(١) . إن الذي انبئكم به عن النبي ﷺ الأُمي ما
كذب المبلغ ولا جهل السامع»^(٢) .

الاستبدال في السنة النبوية

قدمت السنة النبوية عرضاً تفصيلياً لصورتين اجتماعيتين ، تحكي من
خلالهما حتمية تحقق الاستبدال في مستقبل تاريخ الامة ، وتمثل الصورة
الاولى واقع المجتمع المستبدل في انحرافات العقائدية والاخلاقية والسياسية ،
بينما تجسد الصورة الثانية سلوكية المجتمع البديل في التزاماته العقائدية
والاخلاقية ، وفي وعيه الرسالي ونشاطاته الجهادية ، التي تؤهله لقيادة الامة
في صراعها الحضاري مع ائمة الكفر ومعسكرات الضلال قبل ظهور المهدي
المنتظر ﷺ .

وسنكتفي في هذا الفصل باستعراض الصورة الخاصة بالمجتمع
المستبدل ، كما عرضتها علينا السنة النبوية المباركة ، ونؤجل عرض واقع
المجتمع البديل في ضوء السنة النبوية الى الفصل الثالث الخاص بعرض
احداث مجتمع المواطنين للمهدي ﷺ .

مَنْ هو المجتمع المستبدل ؟

صرحت الاحاديث النبوية ، أن المجتمع (المستبدل) هو المجتمع

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٩٣ ، تحقيق صبحي الصالح .

(٢) نهج البلاغة ، خطبة رقم ١٠١ ، تحقيق صبحي الصالح .

العربي، وروي في الصحيح عن النبي ﷺ أنه حينما تلا قوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾^(١) سأله الحاضرون من الصحابة: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب علي فخذ سلمان وقال: «هذا وقومه...»^(٢) الحديث.

وفي الواقع ان هذه الحقيقة أصبحت واضحة جلية في ضوء دراستنا لآيات الاستبدال، ولكن السؤال المطروح هنا هو: ما هي حدود المساحة الاجتماعية العربية التي تدخل في دائرة المجتمع المستبدل؟

والجواب: لا يمكننا تحديد الشريحة الاجتماعية المستبدلة في المجتمع العربي كيفما كان، إلا من خلال التأمل في المبررات الموضوعية للاستبدال، المتمثلة في رفض خلافة أهل البيت، والتخلي عن جهاد أعداء الاسلام، والابتعاد عن نهج الشريعة في الادارة والحكم.

فهذه العوامل الثلاثة هي التي تحتم تحقق الاستبدال ووقوعه في تاريخ الأمة، وهي التي ركزت عليها النصوص القرآنية التي واكبنا دراستها في الفصل الأول، فكل شريحة اجتماعية قد تحققت في حياتها هذه العوامل الثلاثة فهي واقعة حتماً في دائرة المساحة الاجتماعية العربية المستبدلة، وان كانت هذه الشريحة من صحابة رسول الله ﷺ.

(١) سورة محمد: الآية ٢٨.

(٢) صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٢٨٢، مصابيح السنة، ج ٢، ص ٢١٠، رواه في الاحاديث الصحيحة، مستدرک الصحيحين، رواه على شرط مسلم وواقفه الذهبي، ج ٢، ص ٤٥٨، مشكل الآثار، ج ٣، ص ٣١.

الصحابة في دائرة المجتمع المستبدل

وهذه الحقيقة نستفيدها من نصوص القرآن بصراحة ، لانه نزل لمخاطبة مجتمع الصحابة ، ولما دعاهم النبي ﷺ للاستنفار والاستعداد لمعركة تبوك ، لمواجهة تحركات الجيوش الرومانية ، تناقلوا وتخاذلوا عن تلبية دعوته ، فنزل الوحي يندد بموقفهم الجبان المتخاذل ، ويهددهم بالاستبدال في قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقاتهم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ (١).

وتوجيه الخطاب القرآني في هذه الآية للمؤمنين خاصة دون غيرهم من المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، يؤكد ان الصحابة من الموعودين بالاستبدال ، وسؤال الصحابة لرسول الله ﷺ : «مَنْ هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، ثم لا يكونوا امثالنا» يؤكد هذه القضية التاريخية .

والتأمل في عوامل الاستبدال ، يجد الاحاديث النبوية الصحيحة تضع مجتمع الصحابة في دائرة المجتمع المستبدل ، بل تعتبره المسؤول الاول عن كل ما وقع في تاريخ الامة من انحرافات عن الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ولكي نتعرف على هذه الحقيقة علينا ان ننظر الى موقف الصحابة من قضية الخلافة ، والجهاد ، والحرص على تطبيق الاسلام ، لان هذه المواضيع الثلاثة تمثل المحور الاساسي لحركة الاستبدال الالهية في تاريخ الامة سلباً أو ايجاباً .

(١) سورة التوبة ، الآيتان (٣٨ و ٣٩) .

أولاً: موقف الصحابة من الخلافة

لم يهتم رسول الله ﷺ بقضية من قضايا الاسلام المستقبلية بقدر اهتمامه بموضوع الخلافة. ولم يقتصر اهتمامه بهذه الأمر بحدود تعيين علياً وأهل بيته للخلافة بالنصوص الصريحة الدالة على أحقيتهم بها وأهليتهم لها، والداعية الى وجوب طاعتهم والتحذير من خطر مخالفتهم، بل أخبر صحابته أيضاً بأنهم سوف يتنافسون على الخلافة، ويقدرون بخلفائه من أهل بيته من بعده، ويغتصبون حقهم ويضطهدونهم ويلاحقونهم قتلاً وتشريداً وتطريداً، وإليك طائفة من الاحاديث الخاصة بفئة الخلافة .

الصراع على الخلافة

والاحاديث بخصوص هذا الموضوع كثيرة جداً، نكتفي هنا بذكر اوضحها دلالة واصحها سنداً، ففي رواية عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الامارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبسنت الفاطمة»^(١)، وفي رواية أخرى قال ﷺ: «والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^(٢)، وفي رواية أخرى أن رجلاً من الانصار خلا برسول الله ﷺ فقال له: ألا تستعلمني كما استعملت فلاناً؟ فقال له: «إنكم ستلقون بعدي اثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٣).

وعن ابي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وائمة من بعدي

(١) مصابيح السنة، ج ٢، ص ٥٠، كتاب الامارة والقضاء، رواه في الاحاديث الصحيحة .

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١١٤، باب الصلاة على الشهيد، وذكره أيضاً في ج ٤، ص ٢٤٠، باب علامات النبوة .

(٣) صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٧٤، كتاب الامارة، صحيح الترمذي، ج ٤، ص ٤٨٢، كتاب الفتن،

كنز العمال، ج ٤، ح ١٠٩٧٩ .

يستأثرون بهذا الفيه ؟ قلت : اذن والذي بعثك بالحق اضع سيفي على عاتقي ، ثم اضرب به حتى القاك أو الحقك ، قال ﷺ : الا ادلك على خير من ذلك ؟ تصبر حتى تلقاني»^(١) .

وفهم من هذه الاخبار النبوية الغيبية ان دوافع الصراع على الخلافة دوافع دنيوية منشؤها الحرص على كرسي الحكم والتنافس على حطام المال الزائل ، الامر الذي ينتهي بالمغتصب للخلافة الى الندامة يوم القيامة . والصبر على الحق المغتصب ، هو التكليف الشرعي الذي عينه رسول الله ﷺ للمظلومين المطرودين عن حقهم ، كما يفهم من حديث النبي ﷺ لابي ذر وللصحابه من الانصار ، وقد اشار الى ذلك الامام علي عليه السلام في خطبة الشقشقية في قوله : «فرايت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده ...»^(٢) .

وصول ائمة الضلال للخلافة

ومن الطبيعي أن يصل ائمة الضلال الى كرسي الخلافة والحكم ويتسللوا الى مواقع السلطة في الدولة الاسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ مادام امر الخلافة أصبح مطمعاً للاهواء المريضة ، وهدفاً من أهداف الدنيا الرخيصة ، ومادام الامر أصبح عرضة للآراء المتضاربة ، بعيداً عن حكم القرآن وتوجيهات نبي الاسلام ، وهذا ما كان يتخوف منه رسول الله ﷺ على أمته

(١) سنن ابي داود ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، كتاب السنة ، كنز العمال ، ج ٤ ، ح ١٠٩٧٩ ، ح ١٠٩٧٦ .

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٢ ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح .

من بعده، يوم كان يقول لصحابته: «انما اخاف على امتي الائمة المضلين»^(١) وفي مرة قال لهم: «غير الدجال أخوف عندي عليكم من الدجال، ائمة مزلون»^(٢).

والمراد بأئمة الضلال هنا، هم اصحاب المطامع الدنيوية والاهواء السياسية المريضة الذين كانوا يخططون في حياة النبي ﷺ للوصول الى الخلافة من بعده، وهم على علم انهم ليسوا أهلاً لها، وقد حدد النبي ﷺ رموز ائمة الضلال في دائرة قريش، وفي الصحابة من قريش المتواجدين في المدينة خاصة فقال ذات يوم: «فساد أمتي على يد غلظة سفهاء من قريش»^(٣). وفي مرة قال لصحابته: «يهلك من أمتي هذا الحي من قريش»^(٤). ومَرَّ ذات يوم على بيت من بيوت ذلك الحي فقال: «إن في هذا البيت من فتنة على امتي اشد من فتنة الدجال»^(٥)، ووقف ذات مرة خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة وقال: «ها هنا الفتنة ها هنا الفتنة ها هنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(٦).

ويظهر من كل هذه الاحاديث ان النبي ﷺ قد حدد لامته القبيلة العربية التي تنتج رموز ائمة الضلال وعين أيضاً الحي والبيوت التي ستنتقل منها نيران الفتنة الكبرى والمؤامرة التاريخية الخطيرة على الخلافة من بعده، بل عين لهم اخطر بيت تحاك فيه المؤامرة على الخلافة.

(١) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٣٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المستدرک، ج ٤، ص ٤٧، صحيح وواقعه الذهبي. صحيح البخاري، الفتن، المناقب.

(٤) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٤٢، باب علامات النبوة، صحيح مسلم، ج ٤ ص ٢٢٣٦.

(٥) مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٤٢.

(٦) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٦، ح ٣١٠٤، طبع الريان.

وتدل هذه الاحاديث ان النبي ﷺ على علم بان هناك مؤامرة سياسية على الخلافة يخطط لها وراء الستار في حياته، كما انه على علم برجالها ورموزها من صحابته، وانه ايضاً سعى لفضح رجالها وتسليط الاضواء على بيوتهم وتحركاتهم واشخاصهم، ولكن المؤامرة على الحديث والتاريخ الاسلامي هي التي اسدلت الستار على ذلك كلها

ورثة ائمة الضلال

لم يقف النبي ﷺ في حدود تعريف امته برموز ائمة الضلال المغتصبين للخلافة، بل امتدت رؤياه المستقبلية الى أبعد من ذلك، حيث انطلق ليخبرها عن ورثة ائمة الضلال الذين سيستلمون الخلافة بالقهر والقوة وبالنار والحديد بعد قادة فتنة الخلافة ورموزها الاولى، فكان يقول ﷺ: «اذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دخلاً وكتاب الله دغلاً»^(١)، وأشار الى الرمز الاول من بني امية فقال: «ان أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية»^(٢)، وقال ايضاً: «ألا وان أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية»^(٣).

وبعد ذلك كان يتحدث رسول الله ﷺ عن مساحة أخرى من تاريخ الامة، تمتد فيها حركة ائمة الضلال ويكون رجالها ايضاً من قريش لكنهم من بني العباس أبناء عم النبي ﷺ، وهم المعنيون بقوله ﷺ: «مالي ولبني العباس شيعوا أمتي وسفكوا دماءها والبسوها ثياب السود، البسهم الله

(١) كنز العمال، ج ١١، ص ١٦٦، ح ٣١٠٠٨.

(٢) كنز العمال، ج ١١، ص ١٦٧، ح ٣١٠٦٢٩.

(٣) كنز العمال، ج ١١، ص ٣٦٥.

وهكذا ترى في مجموع هذه الاخبار الغيبية ان النبي ﷺ كان يحمل هموم امته ويتحدث عن مأساتها وآلامها المستقبلية وهي تحترق بنيران فتنة ائمة الضلال المتصارعين على الخلافة بعده وتتن تحت وطأة الحكم الاموي الظالم والعباسي المتعسف وكأنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يتحدث عن امر تاريخي قد وقع وانتهى وليس أمراً مستقبلياً!

وفي مرة نظر رسول الله ﷺ بعين الغيب الى رموز الظلم والضلال في فترة الخلافتين الاموية والعباسية فقال: «ويل لامتى من الشيعة بنى امية وشيعة بنى العباس راية الضلال»^(٢).

ومما يؤسف له انه مع كل هذه التحذيرات النبوية اختارت الاغلبية الساحقة من الامة السير على طريق الويل تحت سياط الارهاب بالنار والحديد، وفي ظل سياسة الاغراء بالمال والذهب والمناصب، وهكذا اصبح اكثر الناس شيعة لبني امية وبني العباس اي شيعة لانمة الضلال من سفهاء قريش، واصبح شيعة أهل البيت من ابناء رسول الله ﷺ غرباء في الامة لان من يوالي ابناء النبي ﷺ تلصق به مئات الاتهامات الباطلة.

وبهذه المسيرة الانحرافية الطويلة الامد التي أصبح فيها الموالي لابناء رسول الله ﷺ زنديقاً ورافضياً منحرفاً والموالي لشيعة بني امية وبني العباس من أهل الحق والصلاح تحقق ما أخبر به النبي ﷺ يوم تلا قوله تعالى:

(١) كنز العمال، ج ١١، ص ١٦٢، ح ٣١٠٤٢، مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٤٤، باب ائمة الضلال والجور.

(٢) الفتن، للحافظ نعيم بن حماد، ص ٥٣، مخطوط.

«ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا»^(١) فقال: «ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا»^(٢) لانه نظر الى هذه المسيرة الانحرافية التي تنظم ثلاثة فترات من حكم ائمة الضلال الذين قادوا الغالبية الساحقة من الامة الى طريق الانحراف والهاوية بعيداً عن طريق الحق والهدى المتمثل بنهج رسول الله وخلفائه الاثني عشر من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

أصحاب الحق المغتصب

لم يكف النبي ﷺ بالحديث عن الجانب السلبي من فتنه الخلافة فحسب، بل سلط الاضواء أيضاً على الجانب الايجابي المتمثل بمواقف اصحاب الحق المغتصب، فتعال معي قارئني العزيز لنرى ماذا تحدث عن اصحاب رايات الهدى في محنة الصراع على الخلافة والتنافس على حطام الدنيا الزائلة .

نظر النبي ﷺ لعلي عليه السلام يوماً فقال له: «ان الامة ستغدر بك بعدي»^(٣)، وقال لصحابته مرة: «انكم ستبتلون في أهل بيتي بعدي»^(٤) وقال لهم مرة: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وأن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»^(٥) .

(١) سورة النصر، الآية ٢.

(٢) تفسير الدر المنثور، رواه في أواخر تفسيره لسورة النصر. عن ابي هريرة وجابر بن عبد الله عن النبي ﷺ برواية ابن مردويه والحاكم الذي قال انه صحيح الاسناد.

(٣) ابن ابي الحديد، ج ١، ص ٨١٣، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢١٨، والحديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي بسند صحيح على ما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية.

(٤) فيض القدير للمناوي، ج ٢، ص ٥٥٣، كنز العمال، ج ١١، ص ٣٠٨٧٧.

(٥) مستدرک الصحیحین، ج ٤، ص ٤٨٧، الصواعق المحرقة، ص ٢٣٩، كنز العمال، ج ١١، ص ٣١٠٧٤، الفتن، لنعيم بن حماد، ص ٣٠، والحديث صحيح كما أخرجه الحاكم.

ولم يتوقف النبي ﷺ في حدود الاخبار عن مؤامرة الغدر بوليه وخليفته الشرعي وما يلاقيه أهل بيته من بعده من طرد وتشريد على أيدي المغتصبين لمنصبهم من أئمة الضلال ، بل استمر ليلقي الحجة على الأمة من خلال تحديد موقفها الشرعي من فتنة الخلافة فقال لصحابته : «ستكون بعدي فتنة ، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فانه أول من يراني ، وأول من يصفحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب الدين»^(١) . وأشار الى علي عليه السلام يوماً فقال : «تكون بين الناس فرقة واختلاف ، فيكون هذا وأصحابه على الحق»^(٢) وقال لعمار بن ياسر : «يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي فانه لن يدريك في سدى ولن يخرجك من هدى»^(٣) .

فإذا جمعنا بين مضمون هذه النصوص النبوية ، وبين قوله ﷺ في وصف أهل بيته : «اني تارك فيكم الثقلين - أو خليفتين - كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً»^(٤) . علمنا ان جميع الخلفاء الذين تصدوا لقيادة الأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ هم معتدون على حق أهل البيت ومغتصبون لمنصبهم القيادي الذي اختارهم الله وسوله له .

نهاية فتنة الخلافة في الدنيا

تقدم المغيبيات النبوية صورة واضحة لنهاية فتنة الخلافة في الدنيا ،

(١) أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٨٧، الاصابة، ج ٧، ص ١٦٧، الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٥٧ .

(٢) كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٧ .

(٣) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٨٦، كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٥ .

(٤) حديث الثقلين مخرج في الصحاح الستة باستثناء البخاري والنسائي وهو منواتر رواه اكثر من عشرين صحابي .

تربط فيها بين مأساة ائمة أهل البيت واتباعهم واضطهادهم وتشريدهم وقتيلهم، واغتصاب حقهم والحاق التهم الباطلة بهم من قبل اعدائهم المغتصبين لحقهم، وبين ظهور دولة المواطنين للمهدي عليه السلام المنتقمة من أعداء أهل البيت، والممهدة لدولتهم العالمية الموعودة التي تضع حداً لجميع معاناتهم ومأساتهم التاريخية.

ففي رواية ابن مسعود قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج الينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سأله عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رآهم التزمهم، وانهملت عيناه، فقلنا: يارسول الله! ما نزال نرى في وجهك شيئاً تكرهه فقال: «إنا أهل بيت اختار لنا الله الآخرة على الدنيا وأنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتى ترتفع آيات سود من المشرق... فانها آيات هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي...»^(١).

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر بلاء يلقاه أهل بيته، حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتيوا رجلاً اسمه كاسمي فيولوه أمرهم فيؤيده الله وينصره^(٢).

نهاية فتنة الخلافة يوم القيامة

لا غرابة أن نرى الصحابة في طليعة المتهمين بفتنة الخلافة يوم القيامة، ومن الطبيعي أن نرى ذلك من أبرز مشاهد يوم القيامة لاهمية هذه الفتنة، ولأن مجتمع الصحابة هو المجتمع الاول الذي ورط الامة بها وبتبعاتها الدموية العقائدية والسياسية، فالخيوط الاولى لهذه الفتنة كلها حيكت في المدينة

(١) راجع مصادر هذا الحديث في الفصل الثالث، ح٦.

(٢) راجع مصادر هذا الحديث في الفصل الثالث، ح٧.

ويعرأى ومسمع الجميع ، فكل واحد منهم له يد فيها بقدر ، أما سلباً أو ايجاباً ، وباختلاف الصحابة وتفرقهم اختلفت الامة ايضاً وتمزقت الى فرق ومذاهب متعددة ، فلا غرابة أن يكون اول مشاهد يوم القيامة وقوف رعييل الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ موقف المتهم المقاد امام محكمة العدل الالهي ، كما جاء في رواية البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : «بيننا انا قائم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، قلت أين ؟ قال : الى النار والله ! قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ، فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم»^(١) .

وقد مرت علينا الاحاديث النبوية الصحيحة التي قال فيها رسول الله ﷺ لصحابته بشأن الخلافة : «انكم ستلقون بعدي اثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» .

فمحاكمة المتآمرين على الخلافة والمستولين عليها بالقوة ستبدأ يوم القيامة على الحوض ، بحضور رسول الله ﷺ بل الظاهر من حديث ابي هريرة الذي يرويه البخاري ان الرجل الذي يقود الصحابة المتآمرين على الخلافة الذين ارتدوا على ادبارهم القهقري بعد رسول الله ﷺ هو علي بن ابي طالب صاحب الحق المغتصب ، وهذا ما نطقت به بصراحة الاحاديث التالية : «يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن حوضي»^(٢) وقال له مرة : «كأني بك وانت علي حوضي تذود عنه الناس»^(٣) وفي حديث ابي هريرة وجابر قالوا : قال رسول الله ﷺ : «علي بن ابي طالب صاحب

(١) صحيح البخاري ، باب الصلاة على الشهيد ، وباب علامات النبوة .

(٢) مجمع الزوائد ، ج ٩ ، ص ١٧٣ .

(٣) مجمع الزوائد ، ج ٩ ، ص ١٧٣ .

حوضي يوم القيامة» وكان علي عليه السلام يقول: «انا اذود عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الابل عن حياضهم»^(١).

تذكر عزيزي القارئ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري «فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم» وهي نوع من الابل وقارن بينه وبين كلام علي ابن ابي طالب في قوله: «كما تذود السقاة غريبة الابل عن حياضهم» لتعلم بل تقطع أن الرجل المذكور في حديث البخاري هو علي بن ابي طالب الذي يقود الصحابة الذين ارتدوا على اعقابهم القهقري عن خلافته - ويبعته يوم الغدير - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: موقف الصحابة من تطبيق الاسلام

من الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لنتنقض عرى الاسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة»^(٢).

وفي هذا الحديث صورة مختصرة لحركة الانحراف عن الاسلام في تاريخ الامة، منذ بدايتها حتى نهايتها، وتظهر قضية الخلافة والحكم في طبيعة عرى الاسلام المنتهكة في تاريخ الامة.

وكانت الطريقة الالهية المقررة في «الادارة والحكم» بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ان ترجع الامة في قيادة شؤونها وتنظيم حياتها السياسية والادارية في تطبيق الاسلام الى الكتاب والعترة كما جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن

(١) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣٥.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٨١، رواه احمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

تضلوا بعدي ابدا» وقد صرح النبي ﷺ بهذا القرار السياسي في خطبة الغدير يوم نصب علياً اول خليفة له من بعده وأخذ البيعة له من الصحابة في ذلك اليوم الخطير، لكن المتآمرون على الخلافة نقضوا هذه البيعة وارتدوا بعد الرسول عنها على أديارهم القهقري، ففرقوا بين القرآن والعتره في الخلافة والحكم ونقضوا اول عرى الاسلام، ونصبوا خليفة للامة غير الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»^(١) فتحقق ما تنبأ به رسول الله ﷺ يوم قال: «إن السلطان والكتاب سيفترقان»^(٢) اي سيأتي للخلافة بعدي من لم يكن مع القرآن ولا القرآن معه.

ان نجاح عملية تطبيق الاسلام في الامه بالشكل الذي يجنبها السقوط في مهاوي الانحراف والضلال مشروط بتحكيمةا للثقلين في حياتها السياسية والادارية وهما الكتاب والعتره كما قال رسول الله ﷺ: «ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي ابداً» لكن الامه لم تف بهذا الشرط فلا بد ان تفرق في بحر الضلال وتورط في انتهاك حرمت الاسلام وانتقاض مبادئه واحكامه.

ولم تكن صورة الانحراف التي بدأت في تاريخ مجتمع الصحابة بالصراع على الخلافة والاقتيال عليها، إلا نتيجة طبيعية لعدم تمسكهم بالثقلين وعدم تحكيمهما في حياتهم السياسية مما جرّ الامه الى محنة التمزق المذهبي التي فرقتهما الى اكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة كما جاء الخبر متواتراً عن النبي ﷺ .

ان جميع الانحرافات العقائدية والسياسية والفكرية والاخلاقية التي ابتليت بها الامه بعد وفاة نبيها الى يومنا هذا هي نتيجة حتمية للتداول على أقدس عروة من عرى الاسلام والتعدي عليها ومخالفة امر الله فيها وهي قضية

(١) الصواعق المحرقة، ص ٧٥.

(٢) المطالب العاليه، ج ٤، ح ٤٤٠٨، رواه احمد بن منيع ورواه ثقات.

«الحكم» التي تعتبر من أهم قضايا الدولة والمجتمع في تطبيق مبادئ النظام الالهي .

لقد صور الوحي جميع هذه الانحرافات التي ذكرها النبي ﷺ في حديث انتهاك عرى الاسلام في آية واحدة جاءت على شكل مأساة وزفرات يبثها الرسول ﷺ وهو يشكو إلى ربه ناظراً بعين المستقبل إلى قومه وصحابته وهم ينتفضون عرى الاسلام عروة عروة ويهجرون شريعة القرآن حكماً بعد حكم في قوله تعالى: «وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً»^(١).

لقد أخطأ بعض المفسرين في تفسيرهم لمعنى «القوم» في هذه الاية بالمشركين من قريش في عصر النبوة، لان اولئك لم يتصلوا بالقرآن ولم يؤمنوا به فلا يصدق عليهم عنوان الهجر لمبادئه لان الهجر لغة لا يصح الا بعد الوصال والاتصال!، واي صلة لكفار قريش بالقرآن حتى يشكوهم النبي ﷺ لربه، فالشكوى النبوية في هذه الآية هي من المغيبات القرآنية التي تحكي قصة انتقاض عرى الاسلام وهجر احكام القرآن حكماً بعد حكم في صورة انحراف المجتمع العربي - قوم النبي ﷺ - عن شريعته من بعده، ولهذا حينما كان يتلو قوله تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا»^(٢) كان يقول: «ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه افواجا»^(٣) وكان يقول بقلب حزين: «يوشك الإسلام أن يدرس، فلا يبقى إلا اسمه، ويدرس القرآن فلا يبقى إلا رسمه»^(٤).

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٠).

(٢) سورة النصر، الآيات ١-٢.

(٣) مستدرک الصحيحين، ج ٤، ص ٤٩٦، صحيح الاستاد وواقفه الذهبي.

(٤) كنز العمال، ج ١١، ح ٣١١٣٧.

أن كل ما اخبر به القرآن والرسول عن المستقبل أصبح واقعاً فعلياً في الأمة^(١) وهي تبتعد عن الاسلام خطوة خطوة ابتداء من قضية الخلافة والحكم وانتهاءً بقضية الصلاة التي تحولت في سلوك المسلم الى مجرد حركات عبادية بدون روح ولا مضمون ولا أثر لها في حياته الاجتماعية فلم تنهه عن الفحشاء والمنكر ولم تجعله يلتزم بالاسلام في حياته الفردية والاجتماعية .

ثالثاً: موقف الصحابة من فريضة الجهاد

ذكرنا سابقاً ان مجتمع الصحابة عامة تناقل عن اداء فريضة الجهاد يوم دعاهم النبي ﷺ لمواجهة جيوش الروم في معركة تبوك ، مما دعا الوحي لدمهم وتوبيخهم وتهديدهم بالطرد من موقع قيادة الامة والايان ببديل افضل منهم لقيادتها .

وقد تكرر منهم هذا الموقف الجبان المتخاذل عن الجهاد في بعثة اسامة ، حينما عصوا أمر الرسول ﷺ في تنفيذ هذه البعثة ، بالرغم من انه قد لعن المتخلفين عنها .

ومن الطبيعي ان تشكل تلك المواقف التاريخية المتناقلة عن الجهاد في مجتمع الصحابة منعطفاً تاريخياً خطيراً في حركة الامة وفي مستقبلها الجهادي وقد تنبأ الرسول ﷺ بتعطيل فريضة الجهاد في امته في عدد كبير من الاحاديث الغيبية التي رويت بطرق مستفيضة ومعتمدة . فعن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف أنت يا ثوبان ! اذا تداعت عليكم الامة كما تداعى الأكلة عن قصعتها ؟ فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! أمن قلة بنا ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكن يلقى في قلوبكم الوهن . قال : وما

(١) باستثناء احداث آخر الزمان المختصة بظهور المهدي ﷺ وعلامات الساعة .

الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا وكرهتكم القتال»^(١).
وعن ابي امامة، عن النبي ﷺ قال: «كيف بكم اذا طغى نساؤكم وفسق
شبابكم وتركتم جهادكم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟! قال: نعم،
والذي نفسي بيده واشد منه»^(٢).

المساحة الاجتماعية للاستبدال

في ضوء النصوص السابقة، نفهم ان المساحة الاجتماعية للاستبدال
الموعود تمتد من مجتمع الصحابة الى مجتمع عصر الظهور، لتشمل المجتمع
العربي المتمسك بمدرسة الصحابة المتأمرين على تحكيم الكتاب والعترة منذ
زمن رسول الله ﷺ الى يوم الثورة المهدوية.

والسؤال المطروح: هل يشمل الاستبدال بعقوبته افراد المجتمع العربي
الموالين لأهل البيت ﷺ والمتمسكين بالكتاب والعترة عقيدة وشريعة؟
الجواب: الظاهر ان الاستبدال كعقوبة الهية تخص بالدرجة الاولى
الطليعة الحاكمة في المجتمع العربي المستبدل والموالين لتهجها السياسي
والعقائدي، سواء كانوا من المقتدين بمنهج مدرسة الصحابة، أو من
المحسوبين على مدرسة أهل البيت.

اما ما يقع من ظلم واضطهاد وتقتيل وتشريد على الشريحة الاجتماعية
المقتدية بمنهج أهل البيت في المجتمع العربي المستبدل، فانه لا يصلح دليلاً

(١) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٨٧، رواه احمد والطبراني في (الاوسط) وإسناد احمد جيد، سنن ابي
داود، كتاب الملاحم رواه عن ثوبان، مصابيح السنة، ج ٢، ص ١٣٣، نهاية البداية، ج ١،
ص ٥٤، كنز العمال، ج ٣، ص ٦٣١٩، ج ١١، ص ٩١٦-٣٠٩١٦.
(٢) كنز العمال، ج ٣، ص ٨٤٧٠.

على كونها هي أيضاً مستبدلة، بل ان ما تعانیه هذه الشريحة الاجتماعية المجاهدة داخل المجتمع العربي المستبدل يكون من مصاديق قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾^(١).

فليس من الصحيح اذاً ان نعتبر هذه الثلة المجاهدة من المغضوب عليهم أيضاً بحجة أنها عربية وان المجتمع البديل ليس عربياً. بل دلت روايات عصر الظهور أن هذه المجموعات العربية سوف تشكل من خلال التزامها بمنهج أهل البيت الجهادي والسياسي القاعدة الثورية للمجتمع البديل لتصدير ثورته في العالم العربي، وهذه الثلة هي المعبر عنها في اخبار الثورة المهدوية بـ(أبدال الشام) و(عصائب العراق) و(نجباء مصر) و(ثوار أهل اليمن).

ذم المجتمع العربي المستبدل

في القرآن آيات كثيرة تمتدح المسلمين وتثني عليهم، وفي طليعتهم المؤمنون العرب، باعتبارهم القاعدة الاجتماعية الاولى، التي تحملت اعباء الرسالة الإلهية، وقامت بتكاليفها الثقيلة فقاتلت من اجلها الآباء والأبناء من كفار قريش، وقطعت صلتها بالأهل والاقرباء ورفعت راية الاسلام عالية خفاقة بعد أن قدمت من اجل المبدأ العالي والنفيس، وهجرت الاوطان، وتحملت الفقر والجوع، وشتى انواع الاذى والاضطهاد والتنكيل والتشريد، وكانت تتسابق الى ميدان الجهاد، وتتنافس في الحصول على الشهادة، لأنها اخذت على مسؤوليتها تحرير الشعوب المظلومة من عبودية العباد والاثان والاصنام، ففتحت بلاد المشركين وحررت بلاد فارس من عبودية الأكاسرة وبلاد الروم من استبداد القياصرة، واستطاعت أن توصل صوت

(١) سورة الانفال: الآية ٢٥.

الاسلام الى قلب العواصم والمجتمعات الشرقية والغربية النائية عن الجزيرة العربية. وكانت الجماعات المؤمنة الاولى في المجتمع العربي تتصف بالخشوع لله تعالى وكثرة عبادته والتقوى في حياتها الاجتماعية والسياسية، وكانت معروفة بالشدة والقساوة في معاملة الكافرين والمشركين والمنافقين، وبالتواضع والعطف والرحمة والمحبة في معايشة المسلمين ومعاملتهم، وقد وصف الله تعالى هذه الطليعة المؤمنة في المجتمع الإسلامي الاول بأروع الاوصاف في قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً﴾^(١).

وبالمقابل توجد آيات صريحة في ذم جماعات من المنافقين ومرضى القلوب في المجتمع الاسلامي الاول، في مدينة رسول الله ﷺ وفي عصره خاصة، وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم﴾^(٢)، ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾^(٣)، ﴿ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله أن يعذبهم في الدنيا وتزحق

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٠١).

(٣) سورة التوبة، الآية (٥٦).

أنفسهم وهم كارهون»^(١)، «وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون»^(٢)، «سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجز ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين»^(٣).

ومن الملاحظ عدم وجود تناسب بين الآية التي تخبر بوجود عدد من المنافقين في المدينة قد تمسوا على النفاق حتى أصبح حرقه لهم، ومع ذلك كانوا غير معروفين للمؤمنين، وبين الآيات التي تنهى عن قبول اعدارهم والانتفاع عليهم والرضى باعمالهم والصلاة على جنائزهم، فهذه الآيات صريحة في أنهم كانوا معروفين للمؤمنين تمام المعرفة فكيف نستطيع أن نوفق بينها وبين الآية السابقة؟

الظاهر أن الآية التي تخبر عن عدم معرفة المؤمنين للمنافقين في المدينة، نزلت قبل أن يحدد الوحي القواعد السياسية والايمانية التي تكشف حقيقتهم وتعرف شخصيتهم في قوله تعالى: «ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم»^(٤). فقد روى السيوطي في تفسير هذه الآية عن ابي سعيد الخدري في قوله: «ولتعرفنهم في لحن القول» قال: ببغضهم علي ابن ابي طالب. وعن ابن مسعود، قال: ما كنا نعرف

(١) سورة التوبة، الآيتان (٨٤ و ٨٥).

(٢) سورة التوبة، الآيتان (٨٦ و ٨٧).

(٣) سورة التوبة، الآيتان (٩٥ و ٩٦).

(٤) سورة محمد، الآية (٣٠).

المنافقين على عهد رسول الله ﷺ الأبيغضهم علي بن ابي طالب . وفي صحيح مسلم بسنده عن علي عليه السلام قال : «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الامي اليّ أن لا يحبني المؤمن ولا يبغضني الا منافق» . وعن ابن عباس قال : كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم لعلي بن ابي طالب . وعن جابر الانصاري قال : ما كنا نعرف المنافقين الا ببغض علي بن ابي طالب عليه السلام (١) . وعن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن» (٢) . وأخرج الطحاوي ، عن عمران بن حصين ، في عيادته لفاطمة عليها السلام مع رسول الله ﷺ قال : سمعته قال لها : «لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة ، لا يبغضه الا منافق» (٣) . وعن ابي ذر قال : ما كنا نعرف المنافقين الا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن ابي طالب (٤) . بهذا المبدأ كان يُعرف المؤمن والمنافق من الصحابة في زمن النبي ﷺ ، وكان حُساد علي عليه السلام ومناوئوه يحتاطون في اظهار بغضهم وحسداهم له في عصر النبوة ، وكان المؤمنون يعرفونهم بلحن القول ، وهو

(١) الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى : «إن الذين ارتدوا على أديبارهم» وايضاً في تفسير قوله تعالى : «ولتعرفنهم في لحن القول» من السورة نفسها وفي صحيح مسلم ، في كتاب الإيمان ، مستدرک الصحيحين ، ج ٣ ، ص ١٢٩ ، مجمع الزوائد ، ج ٩ ، ص ١٢٣ ، مشكل الآثار للطحاوي ، ج ١ ، ص ٥٠ ، صحيح الترمذي ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، وص ٣٠١ ، مسند الإمام احمد بن حنبل ، ج ٦ ، ص ٢٩٢ ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ص ٩٥ ، ص ١٢٨ ، صحيح النسائي ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، حلية الاولياء ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، بثلاث طرق وقال : «هذا حديث صحيح متفق عليه» .

ورواه ابن ماجة في سننه ، والمحِب الطبري في الرياض النضرة ، والخطيب في المتفق ، وابن عبدالبر في الاستيعاب ، والشبلنجي في نور الابصار .

(٢) مسند الإمام احمد بن حنبل ، ج ٦ ، ص ٢٩٢ .

(٣) مشكل الآثار ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٤) مستدرک الصحيحين ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

صرف معنى الخطاب عن ظاهره الى تعريض وفحوى (١).

وبما أن الله تعالى كرم علياً ﷺ وفضله على عامة الصحابة بمزيد من المديح والثناء في كتابه، وأمر نبيّه أن يتخذه أخاً ووزيراً، وينصبه على المسلمين ولياً وإماماً يقوم مقامه من بعده، ولطالما كان يقول له برأى ومسمع منهم: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، فكانت كلّ هذه المزايا منبأ لبغضه وحسده في صدور المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

وعن ابن عباس في تفسير قوله: «أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم» (٢). قال: اعمالهم، خبثهم والحسد الذي في قلوبهم (٣). وقد اظهر الله تعالى حسد المنافقين لعليّ ﷺ كما وعد في هذه الآية وكان ذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ حينما اعلنوا عداؤهم له بشكل مفضوح من دون أن يصدهم احد عن ذلك حتى غاظ هذا الأمر خواص الصحابة الذين لم يغيروا ولم يبدلوا فكان حذيفة يقول: «إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الايمان» (٤) وقال أيضاً: «إن المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون» (٥)، فكانوا في عهد النبي ﷺ يعرفون بلحن القول في عدائهم لعليّ إماً بعد وفاته فقد اخرج الله تعالى اضغانهم والحسد الذي في قلوبهم، وكشفهم للملأ على حقيقتهم، من خلال مواقفهم العدائية من خليفة رسوله وولي الأمة من بعده.

وهناك طائفة كبيرة من النصوص القرآنية والنبوية أيضاً تدم جماعة من

(١) المفردات في غريب القرآن: حرف اللام، مادة: لحن.

(٢) سورة محمد، الآية (٢٩).

(٣) الدر المنثور، ج ٧، ص ٥٠٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الفتن.

(٥) المصدر السابق.

المسلمين العرب، بسبب رفضهم لولاية اولياء الله تعالى، ومسارعتهم في ولاية اعداء الله تعالى، من اليهود والنصارى، وخضوعهم لسلطانهم وجبروتهم، بعد هجرانهم لشرية الله وتخاذلهم عن جهاد اعدائهم المغتصبين لاراضيهم المتسلطين على بلادهم وثوراتهم. وعند التأمل في مضمون هذه النصوص نجدها كلها مطبوعة بالطابع الفيصلي، وهي معنيّة بفترة آخر الزمان، ولا تشمل في ذمها المجتمع العربي بكل افراده، بل هي خاصة بالمنافقين والذين في قلوبهم مرض، وجميع المنحرفين عن منهج الثقلين الكتاب والعترة. واليك عرضاً لبعض المغيبات النبوية الصحيحة التي تدم الخط المنحرف في المجتمع العربي المسلم في آخر الزمان.

الوعيد بعقوبة العرب

عن طلحة بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ من اقتراب الساعة هلاك العرب»^(١). وعن زينب بنت جحش قالت: «استيقظ النبي ﷺ من النوم محرماً وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترّب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه -وعقد سفيان تسعين ومائة- وقيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»^(٢). وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ويل للعرب من شرّ قد اقترّب، موتوا إن استطعتم»^(٣) وفي لفظ

(١) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، مصابيح السنة، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن باب ويل العرب، صحيح مسلم كتاب الفتن باب اقتراب الفتن، موطأ مالك، ج ٢، كتاب الكلام، سنن ابن ماجه، ج ٢، كتاب الفتن، منصف عبدالرزاق، ج ١١،

ح ٢٠٧٤٩، صحيح الترمذي كتاب الفتن مسند الحميدي، ج ١، ح ٣٠٨.

(٣) مصابيح السنة، ج ٢، ص ١٣٦، برواه في الصحاح، مستدرک الصحيحين، ج ٤، ص ٤٢٩، وقال:

صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٩٠.

قال ﷺ: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب» وسكت ، وفي لفظ ثالث زاد عليه :
«أفلح من كف يده»^(١) .

أول العقوبة تحل بقريش

عن أيمن بن خزيم الأسدي قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا أيمن إن قومك أسرع العرب هلاكاً»^(٢) . وعن ابي هريرة ، عن النبي ﷺ : «أسرع قبائل العرب فناء قريش ، يوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول : هذه نعل قرشي»^(٣) . وعن عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ : «أول من يهلك من الناس قومك . قلت : جعلني الله فداك أبنو تيم ؟ قال : لا ، ولكن هذا الحي من قريش»^(٤) . وعن ابن عباس قال : «أول العرب هلاكاً قريش وربيعة ، قالوا وكيف ؟ قال : أما قريش فيهلكها الملك ، وأما ربيعة فتهلكها الحمية»^(٥) . وربيعة اكبر عشائر العراق والحمية هي العصبية للقومية .

يعاقبهم الله تعالى بالمهدي ﷺ

عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنّ هذا الحي من مضر ، لا يزال بكل عبد صالح يقتله ، ويهلكه ، ويفنيه حتى يدركهم الله

(١) مصابيح السنة ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، رواه في الصحاح ، مستدرک الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٤٣٩ ، وقال :

صحيح على شرط مسلم وواقفه الذهبي ، مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٢٩٠ .

(٢) كنز العمال ، ج ١٢ ، ح ٣٥٥٦٢ .

(٣) كنز العمال ، ج ١٢ ، ح ٣٣٧٩٦ .

(٤) كنز العمال ، ج ١٢ ، ح ٣٥٤٢٢١ .

(٥) كنز العمال ، ج ١١ ، ح ٣٦٣٩٥ .

بجنود من عنده فتقتلهم حتي لا يمنع ذنب تلعة»^(١). وعن حذيفة ايضاً قال :
 والله لا تدع ظلمة مضر عبداً لله مؤمناً ، ألا قتلوه ، أو فتوة ، حتى يضرهم
 الله والمؤمنون ، حتى لا يمنعوا ذنب تلعة ، فقال رجل : أتقول هذا وأنت رجل
 من مضر ؟ قال : لا أقول إلا ما قال رسول الله ﷺ^(٢) . وعن محمد بن علي بن
 الحسين ، حفيد رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم الناس ما يصنع المهدي اذا خرج
 لاحبّ اكثرهم أن لا يروه ، مما يقتل من الناس ، أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا
 يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من الناس ما هذا
 من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم»^(٣) . وعن سعيد بن سمعان قال :
 سمعت ابا هريرة يخبر ابا قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « يبايع لرجل بين الركن
 والمقام ، ولن يستحل البيت إلا أهله فاذا استحلوه فلا تسل عن هلكة
 العرب»^(٤) . فهذه الأحاديث كلّها تحكي طبيعة الموقف المنحرف لحكام
 العرب والقيادات والجماعات العربية المنحرفة عن ولاية أهل البيت
 والمالية لليهود والنصارى في آخر الزمان ، فهي لا تقصد الجماعات
 العربية المجاهدة المالية لأهل البيت ﷺ لان هذه الجماعات سوف تعيش
 اشد فترات الظلم والاضطهاد ، والتقتيل والتشريد من حكامها الظلمة ،
 وعلمائها الخونة ، المتآمرين على الاسلام والامة في الفترة القريبة من ظهور

(١) مستدرك الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ، صحيح علي شرط الشيخين وواقفه الذهبي بمجمع الزائد ،
 ج ٧ ، ص ٣١٣ ، رواه احمد باسانيد واليزار من طرق والطبراني في (الأوسط) باختصار ، واحد
 اسناد احمد واحد اسناد اليزار رجاله رجال الصحيح .

(٢) مستدرك الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ، وقال : صحيح علي شرط الشيخين ، وواقفه الذهبي .

(٣) عقد الدرر ليوسف الشافعي ، ص ٢٢٧ .

(٤) مجمع الزوائد ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ ، قال : قلت في الصحيح مثله ، رواه احمد ورجاله ثقات ، مستدرك

الصحيحين ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ ، كنز العمال ، ج ١٤ ، ص ٣٨٦٩٩ .

مدح المجتمع الفارسي البديل

الأخبار النبوية المروية في مدح أبناء فارس والتي ركزت على دورهم الرسالي والقيادي في آخر الزمان كثيرة جداً وجلها وردت بأسانيد صحيحة شارك في روايتها أئمة الصحاح الستة كلهم في طليعتهم البخاري ومسلم والملفت للنظر أنها كلها وردت بلغة المغيبات مما يؤكد اختصاصها بالدور السياسي المستقبلي لابناء فارس في قيادة الامة .
وسنقرأ هذه المغيبات في الفصل الثالث المخصص لدراسة القاعدة الاجتماعية لثورة الموطئين للمهدي التي ستنتقل من بلاد فارس .



القسم الثاني

الاستبدال في التاريخ الاسلامي

الاستبدال في التاريخ

انتهينا في البحوث السابقة، من دراسة قانون الاستبدال بابعاده السلبية والايجابية، على الصعيد النظري، أما الآن فزريد دراسته، على الصعيد التطبيقي، من خلال مواكبة التاريخ الاسلامي، منذ وفاة رسول الله ﷺ، حتى يومنا هذا، وسنكتفي بعرض مختصر جداً، لأهم الوقائع التاريخية، التي لا مجال لإنكارها إلا من مكابر متعصب عنيد. باعتبارها تحكي الجوانب التطبيقية لقانون الاستبدال في تجربة المجتمعين العربي المستبدل والفارسي البديل.

الاستبدال في تاريخ المجتمع العربي

تجسد التجربة السياسية الاسلامية، التي قادها المجتمع العربي بعد وفاة رسول الله ﷺ الواقع السلبي لقانون الاستبدال نتيجة لابتعادها عن منهج الله تعالى في القيادة والحكم، وفي تطبيق دين الله ومجاهدة اعدائه، ومن هنا لا بد من مواكبتها منذ انطلاقتها، حتى سقوطها وفشلها ونهايتها، ونحن نبحت عن

عوامل الاستبدال السلبية في واقمها التاريخي .

العامل الأول : رفض رموز الخلافة الالهية في الأمة بعد رسول الله ﷺ وقد ظهرت بوادر هذا العامل السليبي في عصر النبي ﷺ في لحن القول على السنة الصحابة ممن لم يرتاحوا لتفضيل علي عليه السلام ، وهم على ثلاث طبقات ، طبقة المناققين والذين في قلوبهم مرض ، وطبقة الطلقاء وأبناء الطلقاء من مسلمة الفتح ، وطبقة السابقين من كبار الصحابة الطاعنين بالسنن ، الذين لا يرضون بتقديم علي عليه السلام عليهم لصغر سنه ، التزاماً منهم بالعادات الجاهلية التي تتخذ من كبر السن مبدئاً ثابتاً في اختيار زعيم القبيلة قبل الاسلام ، وقد كشف الجميع اقنعتهم ، ومدوا اعناقهم واطلقوا الستهم ، يوم اراد النبي ﷺ - وهو في مرض موته - أن يكتب لامته كتاباً واضحاً صريحاً في امر الخلافة ، ينقذها من الضلال والاختلاف على القيادة بعده ، فقالوا : حسبنا كتاب الله ، لا نبتغي غيره ، ولا تكثرثوا لقول رسول الله ﷺ فإن الوجود قد غلبه فهو يهجر من شدته !

وبهذه الاعذار والحجج المزخرفة حالوا بين النبي ﷺ وبين كتابة وصيته السياسية لأُمته ، ولم يتعبدوا بكلامه ، الذي لو امتثلوه لأمنوا من الفتنة والضلال بعده ، بل لم يكتفوا بمعصيته وعدم امتثال امره وانما اوجعوا قلبه بقولهم : حسبنا كتاب الله ، وكأنه لا يعلم بمكان كتاب الله في امته ، أو أنهم اعلم منه بذلك ، ولينهم اكتفوا بهذا ولم يؤلموه بكلمتهم : إنه لهجر . واي كلمة كانت منهم وداعاً له ، كأنهم لم يسمعوا هتاف الوحي آناء الليل واطراف النهار في انديتهم قائلاً : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما

(١) سورة الحشر ، الآية (٧) .

صاحبكم بمجنون»^(١) وقوله: «إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين»^(٢)، وقوله: «ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى»^(٣)، الى كثير من هذه الآيات المحكمة، المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر^(٤).

ولنستمع الى البخاري ومسلم، وهما يرويان قصة هذا الحدث التاريخي الأليم: فقد أخرج مسلم بسنده عن ابن عباس قال: «يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه، حتى رؤيت على خديه، كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتوني بالكف والدواة - أو اللوح والدواة - أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله للهجر!»^(٥).

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس أيضاً قال: «لما احتضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. فقال عمر إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت، فاخصموا منهم من يقول: قريوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله ﷺ: قوموا».

فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ

(١) سورة التكويد، الآيات (١٩ - ٢٢).

(٢) سورة العاقبة، الآيات (٤٠ - ٤٣).

(٣) سورة النجم، الآيات (٢ - ٥).

(٤) الفصول المهمة، ص ١٠٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الوصية.

ويين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولنظهم^(١).

وأخرج البخاري عن ابن عباس أيضاً أنه قال: «يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله وجهه يوم الخميس، فقال: آتوني بدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً فتنزعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله، قال ﷺ: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصى عند موته بثلاثة: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم وقال الراوي؟ ونيست الثالثة»^(٢)!

ورزية الخميس من اشهر الأحداث التاريخية، وأكبر الرزايا التي حلت بالأمة الإسلامية، كما شهد لها ابن عباس حبر الامة ﷺ، وأخرجها عنه ائمة الصحاح والمسانيد والسنن ونقلها أهل السير والتاريخ جيمعاً، واللفظ الثابت لعمر: «إن النبي يهجر»، فاذا ذكروا اسمه لم يذكروا هذا اللفظ، وغيروا العبارة، تهذياً لها مما لا يناسب مقامه! كما فعل البخاري في روايته الاولى، واذا لم يذكروا اسمه، ذكروا اللفظ الثابت، كما فعل مسلم والبخاري في روايته الثانية. وشاهد ذلك ما أخرجه ابو بكر الجوهري في كتاب (السقيفة) بالاسناد الى ابن عباس، حيث ذكر الحديث كله وعندما وصل الى هذه الكلمة قال: فقال عمر كلمة معناها: أن الوجد قد غلب على رسول الله ﷺ^(٣)، وتراه صريحاً بأنهم إنما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا باللفظ عنه!

والملم بخبر هذه الرزية يعلم أن المعترض الوحيد على النبي ﷺ يومئذ

(١) صحيح البخاري، كتاب المرضى، وايضاً صحيح مسلم في كتابه الوصية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد.

(٣) الفصول المهمة، ص ١٠٥، تقرأ عن شرح النهج، ج ٢، ص ٢٠.

هو عمر ثم تابعه الآخرون ممن كانوا على رأيه، ويؤيد ذلك ما أخرجه الطبراني عن عمر نفسه حيث قال: لما مرض النبي قال: «أتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر! الأتسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟! قال عمر! فقلت إنكن صويحبات يوسف، إذا مرض رسول الله عصرتنّ أعينكنّ، وإذا صح ركبتنّ عنقه! قال: فقال رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهن خير منكم»^(١).

والثابت أيضاً فيما يرويه البخاري أن الحاضرين اختلفوا في تلبية طلب رسول الله ﷺ واكثروا النقاش واللغظ وعمت الضوضاء فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم نبيكم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، وفي هذا الجو الصاخب وجد خاتم المرسلين ﷺ أن وصيته السياسية قد فقدت مصداقيتها، وقيمتها المعنوية لاختلافهم عليها وهو ما زال حياً بينهم، فكيف يقبلونها ويعملون بها بعد وفاته، فعلم -بأبي وأمي- أنها لا تتقدمهم من الضلال والفتنة بعده، فأعرض عن كتابتها وقال لهم: «قوموا عني فلا ينبغي الاختلاف عندي». فلما هدأت اصواتهم وجد الفرصة مؤاتية لإلقاء الحجة عليهم، من دون كتابة ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾^(٢). (ولتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)^(٣)، فأوصاهم بثلاث وصايا -حسب رواية البخاري السابقة- وهي اخراج المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد بما كان يجيزهم ويكرمهم وأما الوصية الثالثة فقد ادعى الراوي بأنه نسيها، وليست هي في الواقع إلا الأمر الذي اراد النبي ﷺ أن يكتبه لامته حفظاً لها

(١) المراجعات، مراجعة رقم ٨٦.

(٢) سورة الانفال، الآية (٤٢).

(٣) سورة النساء، الآية (١٦٥).

من الاختلاف والضلال بعده، ولكن السياسة اضطرت المحدثين الى نسيانه .
 ومع هذا فقد وردت هذه الوصية المنسية في رواية لابن حجر في كتابه
 (الصواعق المحرقة) الذي صنفه للردّ على الشيعة الذين عبر عنهم : بأهل البدع
 والزندقة ! قال : وفي رواية أنه عليه السلام قال في مرض موته : «أيها الناس يوشك
 أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت اليكم القول معذرة لكم، الأني
 مخلف فيكم كتاب ربي عزوجل، وعترتي أهل بيتي، ثم اخذ بيد علي فرفعها
 فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض
 فاسألوهما ما خلفت فيهما»^(١).

وباعتبار هذا التصريح صادر عن النبي عليه السلام في مرض موته، مما يؤكد
 لنا انه الوصية الثالثة التي اوصى بها أمته قبل موته وهي الوصية المنسية في
 رواية البخاري .

والمتأمل في قوله عليه السلام : «أتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن
 تضلوا بعده ابداً». وفي قوله في غدير خم : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
 وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً وانهما لن يفترقا حتى
 يردا عليّ الحوض»، يعلم أن ما اراد أن يكتبه في وصيته السياسية التي
 اعترضوا عليها واختلفوا فيها، هو النص على خلافة اخيه ووصيه علي بن أبي
 طالب وأهل بيته عليهم السلام، وهم خلفاؤه الاثنا عشر، وهذا هو الذي كشفته واكدته
 الوصية الثالثة التي نسيها راوية البخاري وذكرها ابن حجر في (صواعقه) .

ومن الملفت للانتباه تقديم النبي عليه السلام للوصيتين العامتين على الوصية
 الثالثة الخاصة بأمر الخلافة، وكأنه يريد أن يقول للحاضرين : إنه بكامل
 وعيه، لا كما اتهموه بأنه فاقد الوعي قد غلبه الوجدع واسلمه للهجر والهذيان،

(١) الصواعق المحرقة، ص ٧٥.

أو كأنه اراد التمهيد بالوصيتين للوصية الثالثة الخطيرة ، ولكن دعاء الاجتهاد المخالف للنص النبوي اصروا على رفض الوصية الثالثة ، وإنكارها ونسيانها والاستجابة لرغباتهم فيها مع أن عمر نفسه طرد أهل الكتاب من نجران واجلاهم عن جزيرة العرب الى جبال الديلم وحينما سئل عن ذلك قال : تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ (١) .

ويذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب ، أعلن للملأ بعد وفاة النبي ﷺ بأنه لم يمت ، وهدد بقتل من يدعي أنه مات ، فلما حضر ابو بكر في سقيفة بني ساعدة ، تراجع عن رأيه بسرعه واعلن عن موته ، ودعا المسلمين لمبايعة ابي بكر (٢) ، فحدثت خلافات ونزاعات ، بين المهاجرين والانصار ، حتى كاد عمر أن يقتل سعداً ، وكل ذلك حدث والنبي ﷺ مسجئ في بيته وعلي ﷺ مشغول بتجهيزه مع بني هاشم ، ونفر من الصحابة الذين قاطعوا مسرحية السقيفة .

ان ايداء النبي ﷺ باتهامه بالهجر لمنعه من كتابة وصيته السياسية لأُمَّته وتوعيد القائلين بموته وتهديدهم بالقتل وتأجيل اعلان نبأ موته الى حين حضور أبي بكر مجتمع السقيفة كلها دلائل واضحة تعزز الاعتقاد بوجود مؤامرة مبيتة لاغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي ، كما عكست ذلك بوضوح الاحداث والمأساة السياسية المريرة التي حلت بعلي وفاطمة ﷺ بعد عملية تنصيب أبي بكر للخلافة .

(١) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ ، نجران .

(٢) راجع احداث السقيفة في الطبري والكمال وبقية التواريخ ، وتاريخ ابي الفداء ، ج ١ ص ١٦٤ ، وطيقات ابن سعد ، ج ٢ ، القسم ٢ ، ص ٥٧ ، والسيرة الحلبية ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ، وانساب الاشراف ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .

فكان من أولى سلبيات هذه الفتنة أن أسرع المعتصمون للخلافة الى اضهاد اصحابها الشرعيين من أهل البيت عليهم السلام، المعارضين لسياستهم، بعد أن سمعوا بتحصن جمع من الصحابة ممن تخلف عن بيعة ابي بكر، في بيت فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان منهم خالد بن العباس، والزيير بن العوام، والمقداد بن عمر، وابي بن كعب، وسلمان الفارسي، وابو ذر الغفاري واخرون.

ومن الواضح أن اضهاد المعارضين للحكم الجديد، سنة متواترة في تاريخ الحكومات المستولية على السلطة بالقوة، فلا غرابة أن يقع مثلها في امة خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته، ما دامت لم تقبل وصيته السياسية الالهية في حياته، وهذا هو الذي حدث بالفعل، كما يحدثنا التاريخ، حيث جمع عمر بن الخطاب تسعة من الصحابة وأمرهم باقتحام دار فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل يتقدمهم بمشعل من نار يهدد به المتحصنين من الصحابة باضرام البيت العلوي عليهم إن لم يخرجوا ويبيعوا صاحبه، فلقيته فاطمة عليها السلام وقالت له: «يا ابن الخطاب اجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة» فأتى بجماعته حتى هجموا على الدار، واقتحموا الباب وكسروه، وأخرجوا هارون محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بيته بالقوة^(١)، بعد أن كسروا جفن سيفه، واقتادوه

(١) المقدم الفريد، ج ٥، ص ١٣، الطبري، ج ٣، ص ٦١٩، وذكر قول ابي بكر في مرض موته: «وددت اني لم اكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو اغلقت على حرب». مروج الذهب، ج ١، ص ٤١٤، الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٨، تاريخ الذهبي، ج ١، ص ٣٨٨، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٢٠٢، ج ١، ص ١٣٠-١٣١، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٥-١١٥، الملل والنحل، ج ١، ص ٥٨٦. وقال البلاذري: إن ابا بكر ارسل الى علي يريده البيعة فلم يبيع فجاء عمر معه فنبلة فتلقته فاطمة عليها السلام على الباب فقالت: «يا ابن الخطاب أترك محرراً عليّ يا بني؟ قال: نعم وذلك اقوى فيما

بحمائل سيفه ، حاسر الرأس حافي القدمين ، حتى اوقفوه بين يدي ابي بكر وعمر ، والى هذا الخطب الجلل اشار عليّ في شقشقيته المتلوعة بقوله : «وظفقت أرثتي بين أن اصول بيد جذاء ، أو اصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، أرى ترائي نهياً ، حتى مضى الأول لسييله فأدلى بها الى فلان بعده»^(١) ، وفي شكوى اخرى كان يقول : «فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه ﷺ حتى يوم الناس هذا»^(٢) .

وقد حدثت لأهل البيت ﷺ مأساة وخطوب - بعد الهجوم على الدار - لا يطاوعني القلم على أيرادها ، فعلى إثره تمرضت فاطمة بنت المصطفى ﷺ لما لاقته من قساوة المهاجمين وغنهم بعد أن عصروها وراء

→ جاء به أبوك!

تاريخ ابي الفداء ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، كنز العمال ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، الرياض النضرة ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٠٠ . عبقرية عمر ، للعقاد ، ص ١٧٣ ، معالم المدرستين ، ج ١ ، ص ١٢٤ - ١٣٠ .

وفي رواية قالت فاطمة : «يا ابا بكر ما أسرع ما اغترم على أهل بيت رسول الله ﷺ والله لا أكلم عمراً حتى التقي الله» . شرح النهج ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ج ٦ ، ص ٢٨٦ .

وفي رواية خرجت فاطمة تبكي بعد هجومهم على الدار وهددت المهاجمين بكشف شعرها والضرع الى الله تعالى . شرح النهج ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، تاريخ يحيوي ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٣ ، صبحي الصالح ، والجزء : اليد المقطوعة كناية عن فقدان الناصر ، والطخية : الفتنة العظيمة ، واحجى : أزم ، والشجا : ما يمرض الحلق من الألم ، والترات : الميراث ، وادلى بها : التقي بها .

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٦ ، صبحي الصالح .

الباب واسقطوا جنيها^(١)، وادخلوا الرعب على أولادها الحسن والحسين وزينب، وهم يشاهدون أباهم الذي جندل الأبطال، وقتل صناديد المشركين، يقاد بالقوة باسم الإسلام الذي اعزّه بسيفه، ويؤخذ قهراً من بيته، ويسمعون أمهم الزهراء بنت المصطفى ﷺ تنادي خلف المهاجمين وهي مثقلة بالجراح: خلوا ابن عمي وأخا رسول الله^(٢).

وعلى اي حال ليس من غرضي عرض هذه المأساة التي حلت بآل محمد ﷺ بعد وفاته، وإنما يهمني أن اعرض الوقائع التاريخية الصريحة في الاعتداء على صاحب الحقّ الشرعي، لكي يعلم القراء أن مخطط إبعاد أهل البيت عن الخلافة وقيادة الامّة لم يؤخذ فيه بعين الاعتبار مصلحة الاسلام، ولم يكن بدافع الحرص على وحدة الامّة والخوف عليها من الفتنة بعد نبيّها، كما حاول ان يبرر ذلك ابو بكر لعليّ، حينما انكر عليه الاستئثار بالخلافة^(٣).

ولو كانت الدوافع سليمة كما يدعون فلماذا اخذوها لأنفسهم، ولم يأخذوها لصاحب الحقّ المشغول بتجهيز نبيّه، الذي طالماً سمعوا رسول الله ﷺ يقول له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» واذا كانت الدوافع بريئة من كل طمع وحقد، فلماذا لم يتركوا علياً وشأنه من دون أن يهتكوا حرمة، ويعتدوا على كرامته، ويروعوا أهل بيته ويهجموا عليهم في عقر دارهم؟ واذا كانت سياسة الوقت تتطلب مزيداً من الصلابة والحزم والقوة

(١) لسان الميزان، ج ١، ص ٦٨ في ترجمة احمد بن حمد السري المحدث ابي بكر الكوفي، والمملل

والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ٧٥، شرح النهج لابن ابي الحديد، ج ٦، ص ٥٠.

(٢) ولفاطمة وبنيتها مأساة وخطوب جمّة في هذه الرزية لم يذكرها اكثر المؤرخين، وعلى اثرها

تمرست وماتت بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة اشهر ودفنت ليلاً بأمر منها، وأمرت أيضاً أن يخفى

مكان قبرها وحتى اليوم لم يعرف قبرها.

(٣) مروج الذهب، ج ١، ص ٤١٤، الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٢.

في مواجهة المعارضين ، فهل تتوقف مصلحة الاسلام والامة على اقصاء علي وأهل بيته عليه السلام عن جميع المناصب في الدولة الاسلامية ، حتى من الدرجة الثالثة وأن ينصبوا من هم اقل منهم شأنًا وعلماً ومنزلة عند الله ورسوله ، مع اتفاق الجميع على أن علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة واشجعهم واعدلهم واقدرهم على القيادة والادارة والحرب ، وكذلك بنوه ائمة أهل البيت عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟!!

وإذا كان المسوغ لعملية اقصاء علي وأهل بيته عليهم السلام من الخلافة الالتزام بمبدأ الشورى فكيف تمت الشورى يوم السقيفة وعامة بني هاشم مشغولون بتجهيز سيدهم خاتم المرسلين ، وهم ثقل الامة ، وكانت معهم شريحة كبيرة من الصحابة ، ممن لم يعجبهم الدخول في فتنه الخلافة وترك خاتم المرسلين عليه السلام لأهل بيته عليهم السلام خاصة بجهزونه وحدهم من دون أن يجدوا احداً يعينهم ويقف معهم من الصحابة على تجهيزه ، بالاضافة الى عدد كبير من الانصار الذين انسحبوا من السقيفة بدون بيعة بقيادة سعد بن عبادة وعشيرته؟!!

وإذا كان مبدأ الشورى هو المقياس ، فلماذا نقضه ابو بكر واوصى بالخلافة لحميمه وصديقه عمر ، من دون أن يجعلها على طريقة السقيفة ولماذا حصرها عمر في ستة بعده ، وأوصى أن تؤخذ لاحدهم قسراً في فترة محدودة والأضربت اعناق الجميع ، واين هذا الاسلوب من اسلوب الشورى؟! واين الشورى في الحكم الاموي العائلي ، والعباسي الاسروي؟

وعلى اي حال ، فقد حقق الموقف المنحرف من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية في رزية الخميس أول شرط من الشروط السلبية لقانون الاستبدال في تاريخ الامة الاسلامية ، ولولا هذه الرزية التي كانت سبباً لاقتضاء أهل البيت عن الخلافة الظاهرية ، لم يعرف التاريخ الاسلامي بقية الرزايا ، ولم

تشهد الامة حالة الفرقة والضلال والافتتال والصراع على الخلافة طوال التاريخ، ولبقيت دائماً في خط الهدى والاستقامة والوحدة والخير والصلاح، كما اخبرها رسول الله ﷺ بقوله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً».

العامل الثاني: الانحراف عن نهج الشريعة، ولهذا العامل السلبي، بدايات كثيرة في تاريخ تجربة الاسلام السياسية بعد رسول الله ﷺ^(١)، وفي طبيعتها التخلي عن النص الإلهي في قضية الخلافة، وكان هذا أول حكم شرعي يعطل وينتقض في تاريخ الاسلام، ثم بدأت بعد ذلك عرى الاسلام وأحكامه تنتقض عروة بعد عروة، وتهزم من التطبيق حكم بعد حكم ابتداءً من الاحكام السياسية والاجتماعية، وانتهاءً بالأحكام العبادية والتكاليف الفردية، حتى اقصي اخيراً الاسلام كله عن التطبيق، فتحقق ما أخبر عنه رسول الله ﷺ في قوله: «لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة. فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهنّ نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»^(٢). وقوله أيضاً: «الأ وإن السلطان والكتاب سيفترقان»^(٣). وقوله: «ليخرجن منه أفواجا كما دخلوه افواجا»^(٤).

وكان من أخطر الانحرافات والريزايا التي منيت بها الأمة الاسلامية بعد رزية الخميس وصول ابناء الشجرة الملعونة في القرآن الى الخلافة واستيلاؤهم عليها بالقوة، وهم الذين رأهم رسول الله ﷺ في منامه ينزون

(١) للتوسمة راجع كتاب (النص والاجتهاد) للإمام شرف الدين فستجد فيه مجموعة كبيرة من الأحكام الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة قد عطلت بعد وفاة رسول الله ﷺ باسم الاجتهاد.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٨١، ورجال رجال الصحيح، مستدرک الصحيحين، ج ٤، ص ٩٢.

(٣) المطالب العالیه، ج ٤، ص ٤٤٠-٨، سنده صحيح وقد مر معنا.

(٤) مستدرک الصحيحين، ج ٤، ص ٥٦، صحيح الاسناد وواقفه الذهبي

على منبره كالقردة ، فما شوهد مبتسماً بعد ذلك . ولم يصل الحزب الاموي ، الى موقع القيادة في الامة الا بدعم مباشر من قائد الرزيتين^(١) ، عمر بن الخطاب الذي مكّن لسيدهم معاوية في بلاد الشام ، وجعلها خالصة له ، وتركه والياً عليها طيلة خلافته . ثم اوصى عمر بالخلافة لسته من بعده ، وجعلها بطريقة حتمية تنتهي الى عثمان بن عفان شيخ الأمويين .

ولا يسعنا أن نؤرخ في هذا الكتاب المختصر لحركة الانحراف الخطيرة عن منهج الشرع المبين ، التي قادها الحزب الاموي الحاكم تحت عباءة الخليفة الثالث ، على الصعيد الإداري والسياسي والمالي والفساد الخُلقي ، الأمر الذي أدّى في النهاية الى انفجار شعبي عارم ، في كافة الأمصار الاسلامية ، وإعلان الثورة المسلحة على شخص الخليفة انتهت بقتله في عقر داره .

ولا نريد هنا أيضاً أن نؤرخ للفتنة السياسية الظالمة التي اشعل فتيلها بنو أمية على خليفة رسول الله ﷺ وأخيه تحت غطاء الطلب بدم عثمان تلك التي راح ضحيتها مئات من الصحابة والتابعين في حرب الجمل وصفين والنهروان^(٢) ، من غير الغارات الإرهابية التي كان يشنها الجيش الاموي على الامصار الاسلامية الخاضعة للخلافة العلوية ، وما عدا الذين قتلهم معاوية بالسم والغدر والاعدام من اصحاب علي وأهل بيته ﷺ من امثال الإمام الحسن سبط النبي ﷺ ، ومحمد بن ابي بكر ، وحجر بن عدي الكندي وغيرهم .

(١) اعني رزية الخميس ورزية الهجوم على الدار .

(٢) روى ابن حجر في الاصابة عن عبد بن عبد الرحمن قال : شهدنا مع علي ﷺ ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمائة نفس في صفين فقتل منا ثلثمائة وستون . الاصابة ، ج ٤ ، ص ١٤٩ ، الاستيعاب ، ج ٢ ، ص ٤١٣ .

ويذكر التاريخ انه ما ان استتب الحكم لمعاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام معه حتى اشعل حرائق الفتنة على أهل البيت عليه السلام ورفع على رؤوسهم سوط الظلم، فكتب نسخة واحدة لعماله، بعد عام الجماعة - كما يسمونه وهو عام الفرقة كما نسميه - وذكر لهم في هذه النسخة: أن برئت الذمة ممن يروي شيئاً من فضل ابي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل بلد، وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته^(١). وكأنهم لم يسمعوا كتاب الله تعالى وهو يتلى في أنديةهم ويصرخ فيهم: ﴿قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى﴾^(٢). ويقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٣). وكأنهم لم يعرفوا منزلة علي ومكانته في تشييد أركان الدين والدفاع عن شريعة سيد المرسلين، وكأنهم على جهل بقرابة علي وأهل بيته من رسول الله ﷺ، وكأنهم ليسوا من هذه الامة ولا يعلمون من أمرها ورجالها وتاريخها شيئاً.

وقد ختم معاوية حياته بارتكاب اكبر جريمة في تاريخ الاسلام السياسي عندما عهد بالخلافة من بعده لولده يزيد الخمار الخليع المهتك المولع باللعب مع الكلاب والقردة^(٤)، فنقض عهد الصلح الذي قطعه على نفسه مع سبط النبي الأكبر^(٥)، بعد أن دس له السم عن طريق زوجته فقتله. وبعد ذلك ركب بنو أمية الصعب والذلول، للنيل من أهل البيت عليه السلام.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.

(٢) سورة الشورى، الآية (٢٣).

(٣) سورة الاحزاب، الآية (٣٣).

(٤) الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢٠٠، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٥) وكان من بنود هذا العهد أن تكون الخلافة للإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية، إن كان حياً ولأخيه الحسين عليه السلام إن كان ميتاً.

والحطّ من منزلتهم في الامة ، وامعنوا في تشريدهم وتقتيلهم والتضييق عليهم ومطاردة اتباعهم وكانت على ايديهم مجزرة كربلاء الدامية الحزينة ، التي انتهت بقتل سبط النبي الاصغر الإمام الحسين عليه السلام مع ثلثة من آل محمد عليهم السلام وبنى أبيه ، وكوكبة من الصحابة والتابعين من علماء الامة وصلحائها ، وقد مثلوا بجثثهم كلهم ، وسحقوها بحوافر خيولهم ، وقطعوا رؤوسهم وحملوها هدية لخليفة المسلمين ! في بلاد الشام ! ناهيك عما ارتكبه من وحشية لا توصف مع نساء وبنات واطفال الشهداء من آل محمد عليهم السلام بعد نهاية المجزرة ، فحرقوا خيمهم وتركوهم في العراء ، يهيمون على وجوههم بالبيداء ، قد قتلهم الظمأ وجيوش السفاكين مسرعة وراءهم تلاحقهم بالسياط حتى انتزعوا حلقتهم وسلبوهم كل ما يملكون ، ثم اقتادوهم اسرى من العراق الى الشام في الحر الشديد على الجمال من غير غطاء ولا وطاء ، كما تقاد اسرى المشركين ، وكان من جملتهم زين العابدين ، وزينب بنت فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم اجمعين ^(١) .

وليس لهذه الثلثة المحمدية الكربلائية ذنب يذكر ، غير خروجهم للاصلاح في الامة ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ومن هذا المنطق اعلنوا رفضهم لسلطان بني أمية المفارق لكتاب الله ، المغير لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، المستعبد لعباد الله ، العامل فيهم بالظلم والعدوان والفسق والفجور . كما يفهم من خطاب الإمام الحسين عليه السلام : «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على

(١) للتوسعة راجع كتاب ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين وكتاب الامام الحسين لعبدالله العلابي .

الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة
الرحمان واطهروا الفساد وعللوا الحدود، واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله
وحرموا حلاله، وأنا أحتق من غيري»^(١).

ولم تشفِ الحقد الاموي دماء الأبرياء في كربلاء، حتى عاد مرة أخرى،
ليرتوي منها في مدينة النبي ﷺ بشكل أكثر وحشية وبشاعة على يد قائد
الخلافة الاموية - مسرف بن عقبة - في ذلك الهجوم الوحشي على أهل المدينة
في وقعة الحرة، فقتل المئات من الصحابة والتابعين، واغتصب المئات من
الفتيات والنساء وسلبهن حليهن، واخذ البيعة منهم ليزيد على أن يكونوا عبيداً
له يحكم في دمائهم واموالهم واعراضهم واهليهم كيف يشاء^(٢).

وهل بعد هذا الانحراف عن نهج الشريعة انحراف، وهل بعد هذا الظلم
ظلم، وهل بعد هذه الجرائم جرائم، وهل بعد هذه الصفحات السوداء في
تاريخ الامة الاسلامية ما هو اكثر سوءً وفساداً وظلماً وضلالاً ووحشية مما
ارتكبه ابناء الشجرة الملعونة في القرآن؟!

ثم جاء بعد بني امية، بنو العباس، أهل الغش والخداع والالتباس،
الذين تسللوا الى الخلافة باسم أهل البيت، وتحت غطاء الدعوة لأصحابها
الشرعيين المظلومين المشردين، فكانت محنة الامة عامة ومحنة ابناء
محمد ﷺ خاصة، في ظل سلطانهم وجبروتهم اشد عذاباً وظلماً وانحرافاً
وفساداً من سلطان بني امية، فملأوا من آل الرسول ﷺ السجون، وبنوا

(١) الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٨٠، الطبري، ج ٤، ص ٣٠٤.

(٢) راجع احداث هذه الجريمة والوقعة التاريخية الأليمة، في تاريخ الكامل والطبري والمسعودي
واليعقوبي وسائر كتب التاريخ وستطلع في هذه الكتب على عدد فتيات الصحابة والتابعين اللاتي
اعتدى عليهن جنسياً جيش ابناء الشجرة الملعونة في القرآن في مدينة الرسول ﷺ، وستعرف
عدد اللواتي حملن منهم - بأولاد الزنا - في هذه الوقعة.

عليهم الاسطوانات ، وهم احياء واحرقوهم فيها كما تحرق المزابيل ، وشردوهم في البلدان الى اقاصي آسيا وافريقيا ، ففرع ابناء محمد ﷺ خوفاً ورعباً من ظلمهم وجورهم في البراري والوديان والغابات وكهوف الجبال ، يقتاتون من حشائش الارض ونفايات الناس ، حتى قال الشاعر في ظلم بني العباس لهم :
والله ما فعلت امية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس^(١)

ومما يندي له الجبين أن ترتكب كل هذه الجرائم بحق ابناء محمد ﷺ باسم الإسلام ، وبأمر من يدعي أنه خليفة رسول الله ! يباركها علماء البلاط وفقهاء من الامة ، يدعون بأنهم حماة السنة وحملة الكتاب ، وتلامذة مدرسة محمد ﷺ ! وكان يكفي احدهم لإصدار الفتوى بالحكم المؤبد أو الإعدام على أبناء أهل البيت ﷺ واتباعهم أن يقال له بأنهم روافض ، أو من شيعة علي وفاطمة !!

ودع عنك ذكر مفاسد بني العباس الخلقية ، وإحيائهم لسهرات الغناء والرقص ، ومجالس اللهو والخمر الخلية ، في قصر الخلافة في مكة والمدينة ، وسائر الأمصار الاسلامية مآ هو مفصل في كتاب (الاجاني) لأبي الفرج الاصفهاني^(٢) .

فاذا كان خليفة المسلمين هو الذي يقود عملية الانحراف عن نهج الشريعة ، ويمارس الفسق والفساد في قصر الخلافة ويتصدر مجالس اللهو واللعب ، بين جموع المفسدين في الامة ، ويخطط للظلم والجور والاعتداء

(١) يمكنك للاطلاع على كل ما ذكرناه من جرائم العباسيين أن تقرأ كتاب (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الاصفهاني مؤلف كتاب (الاجاني) .

(٢) راجع ايضاً الإمام الحسين للعلابي .

على ابناء صاحب الرسالة ، باسم الدين فأى وجود لشريعة الدين يبقى في الحياة ؟ وكيف يتوقع من عامة الناس الالتزام الصحيح باحكام الاسلام ؟

العامل الثالث : التخلي عن النهج الجهادي في حماية أهداف الرسالة والأمة ، وظهرت بوادر هذه الحالة في المجتمع العربي على عهد رسول الله ﷺ عندما استنفرهم لمعركة (تبوك) فأنزل الله تعالى قرآناً يندد بموقفهم الجبان المتناقل عن جهاد اعداء الله ، ويهددهم بعقوبة الاستبدال والطرده من موقع قيادة الأمة إن استمروا على هذه الحال ، فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ألا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ (١) .

وقد تكررت حالة التخاذل عن الجهاد مرة ثانية منهم ، في حياة النبي ﷺ أيضاً ، يوم عبأهم لمواجهة الروم في بعثة أسامة ، مما اضطره لترك الفراش مع ما به من شدة الوجد ، فخرج اليهم معصب الرأس ، يتكيء على عمامة العباس ، فخطب بهم وحشهم على اللحوق ببعثة أسامة ، وردّ على من طعن منهم بكفاءته وقيادته ، ولعن المتخلفين عنه ، ومع ذلك لم ينفذوا بعثة أسامة (٢) ، وانشغلوا في التخطيط لما بعد وفاة النبي ﷺ ! وهذه هي غيرتهم على الاسلام في حياة النبي ﷺ كما شهد بها الوحي . فكيف تتصور غيرتهم عليه في تاريخهم الجهادي بعد وفاته ؟

وهل يعني سقوط الخلافة بيد المنافقين وأئمة الضلال من مسلمة الفتح ، وابناء الطلقاء ، والشجرة الملعونة في القرآن ، الأظهراً من مظاهر التخاذل عن

(١) سورة التوبة ، الآيتان (٣٨ و ٣٩) .

(٢) الطبقات الكبرى ، ج ٤ ، ص ٣ - ٤ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

الجهاد الذي شرعه الله تعالى لتطبيق دينه وسيادته في الحياة، وحماية أهدافه واتباعه من الأعداء الداخليين والخارجيين؟ وهل يعني النيل من أبناء صاحب الرسالة، ولعنهم على منابر المسلمين، واضطهادهم وحرمانهم من أقل الحقوق الإنسانية وتقتيلهم وأسرههم وتشريدهم باسم شريعة جدّهم، الآكونه من اوضح مظاهر التخاذل عن الجهاد في سبيل الله؟ وهل تساوي الفتوحات الاسلامية في الميزان الجهادي منزلة المجاهدين الذين يقفون بوجه خليفة القاتحين اذا كان من المفسدين الجائرين؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «افضل درجات الجهاد عند الله تعالى، كلمة عدل عند سلطان جائر»؟ وهل هناك من قيمة للفتوحات الاسلامية عند الله تعالى، اذا كانت اموالها وثرواتها تصب في قصر الخليفة المترف المفسد العامل في عباد الله بالاثم والعدوان، ثم تتسرب منه الى عشيرته، فيقضمونها قضم الابل نبتة الربيع؟

عوامل التخاذل عن الجهاد

لابد من البحث عن العوامل الأساسية التي أدت الى موت ارادة المجتمع العربي المسلم، وشل الروح الثورية في حياته الدينية، وعدم شعوره بالمسؤولية الرسالية والجهادية. وهي في تصوري ترجع الى سببين:

الأول: اعتماد الخلفاء لسياسة الإرهاب والتجوع لقمع الثوار المعارضين لسياستهم، وشل الروح الثورية المناهضة لهم في الامة. وبدأت هذه السياسية القمعية من يوم الهجوم على دار فاطمة عليها السلام، وتجوع أهل البيت عليهم السلام بمصادرة (فدك) منهم، وابعاد ابي ذر الغفاري الى الشام ثم نفيه الى الريزة، حتى مات غربياً وحيداً هناك، الى تصفية الثائرين من الصحابة المجاهدين امثال محمد بن ابي بكر، والإمام الحسن عليه السلام، وحجر بن عدي الكندي، الى مجزرة كربلاء الأليمة، ووقعة الحرة الحزينة ... الخ.

الثاني: اعتماد الخلفاء الفطاء الديني لتبرير وصولهم الى الخلافة والتستر على اخطائهم وانحرافاتهم وممارساتهم الظالمة، واستخدم هذا النهج لتخدير الامة باسم الدين في حياتها السياسية لأول مرة في رزية الخميس، فاتخذوا القرآن غطاءً لرفض وصية رسول الله ﷺ السياسية، وقالوا: «حسبنا كتاب الله»، وكأنما كان رسول الله ﷺ جاهلاً - وحاشاه ذلك - بأهمية كتاب الله في أمته!^(١) وبحجة الخوف على الامة من الفتنة بعد نبياها، أخذت الخلافة من اصحابها الشرعيين^(٢)، وبحجة أن أنبياء الله لا يورثون صادرها فذكاً من فاطمة الزهراء^(٣). ثم جاء بنو امية وبنو العباس فوجدوا الطريق معبداً أمامهم لاعتماد الدين غطاءً لضرب المعارضين لهم، والقضاء على الروح الثورية في الأمة، ولم يكتفوا باختلاق الاحاديث وتحريفها^(٤)، بل استطاعوا السيطرة على مراكز العلوم الاسلامية، وتسخير علماء الاسلام لمصالحهم السياسية ومنافعهم الذاتية^(٥).

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب المرضى، وكتاب الجهاد والسير باب جوائز الوفاء، وصحيح مسلم كتاب الوصية.

(٢) مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٤، والامامة والسياسة، ج ١، ص ١٢، قال المسعودي: «لما بيع ابو بكر في السقيفة وجددت له البيعة يوم الثلاثاء خرج علي عليه السلام فقال: افسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً. فقال ابو بكر: بلى ولكنني خشيت الفتنة».

وقريب من هذا الكلام ذكره أيضاً ابن قتيبة في الإمامة والسياسة.

(٣) لسعة الاطلاع يجدر بالباحث المتتبع أن يقرأ كتاب (فدك في التاريخ) للشهيد الإمام محمد باقر الصدر.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦١ و ٦٧-٦٩، و ج ١١، ص ٤٤، ص ٦٠، ص ٤٦، ذكر أساليبهم في الوضوح واستخدام الدين للانتصار على الخصوم.

(٥) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦١، راجع أسماء الصحابة والتابعين الذين حملهم معاوية على رواية احاديث قبيحة في علي عليه السلام وقد جعل لهم على ذلك راتباً شهرياً.

فكانت الأحاديث الموضوعية التي تدعو الى طاعة الحاكم والأمير يرأ
كان أم فاجراً ، وكانت الأحاديث التي تنهي عن الثورة والخروج على سلطة
الحاكم الظالم ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فلا عليك إلا الصبر والطاعة له ،
فان مت مظلوماً خيراً لك من أن تموت ظالماً^(١) !

ومن الطبيعي أن يكون نصيب أهل البيت عليهم السلام واتباعهم من الاحاديث
الموضوعية كبيراً جداً^(٢) ، لأنهم وحدهم يتصدرون جبهة الرفض للظلم في
حياة الامة ، ويقودون الخط الجهادي الثائر على سياسة الخلفاء المنحرفين عن
نهج الشريعة ، فمن دون معاداتهم وتشويه حقيقتهم وفصل الامة عن نهجهم ؛ لا
يمكن أن تنام للظالمين المغتصبين لحقهم عين .

ومن هذا المنطلق كانت تصدر الفتاوى المزيفة من فقهاء البلاط الحاكم ،
مبررة لهم قتل ابناء الرسول صلى الله عليه وآله وقمع الثوار الموالين لهم والقضاء على الثورات
السائرة على خطاهم ، وبطريقة التخدير الديني استطاع الامويون والعباسيون
العمل على موت الإرادة الايمانية في ضمير الامة ، وشل الحالة الثورية في

(١) راجع هذه الاحاديث في صحيح مسلم ، ج ٦ ، باب الأمر بلزوم الجماعة ، وصحيح الترمذي ،
كتاب الفتن ، وكنز العمال ، ج ١١ ، ح ٣١٣٧٠ ، ورواية الكنز هكذا : «سأل رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال :
أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعوننا حقنا ويسألون حقهم ؟ فقال : اسمعوا واطيعوا . ورواية مسلم
هكذا : «تسمع وتطيع للأمير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» . ورواية الترمذي هكذا :
«لو أن الناس إذا ابتلوا من سلطانهم بشيء صبروا ودعوا لله لم يلبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم ، ولكنهم
يفزعون الى السيف فيؤكلون اليه والله ما جاوزوا بيوم خير قط تم تلا هذه الآية : ﴿وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾» .

(٢) قال ابن ابي الحديد عن شيخه : إن معاوية وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار
قبيصة في علي عليه السلام تقتضي الظلم فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ،
فاختلفوا ما ارضاه ، منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة ابن
الزبير . شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ، ص ٦١ .

حياتها السياسية، وخلق جو عام من الاستسلام والطاعة العمياء في قطاع كبير منها.

ومن خلال هذه الممارسات الدينية المنحرفة، ترسخت المفاهيم الدينية الخاطئة في التصور الاسلامي وبمرور الزمن. وولدت فكرة فصل الدين عن السياسة في المجتمع الاسلامي، فاصبح ابتعاد المسلم الملتزم عن العمل السياسي والجهادي يمثل قمة الصلاح والتدين والاستقامة، وتدخله بهما انحراف عن هدي الاسلام وسيرة السلف الصالح من العلماء، الذين لم يخرجوا على طاعة الخليفة -براً كان أم فاجراً- بل عملوا كموظفين في مساجد الدولة، ووعاظ في دوائر السلطة من دون أن يعترضوا على سياستها، وان خرجت عن نهج القرآن والسنة بشكل صريح^(١).

إن ما يعاني منه العالم العربي اليوم من ظلم وجور حكامه، ومن مأساة الفقر والجوع والحرمان، ومن الاعتداء على الحريات والكرامات، ومن تفسخ في الاخلاق والعلاقات في ظل سياستهم المنحرفة الظالمة، ومن اغتصاب اعدائه لأرضه، وهيمته اعدائه على بلاده، وسيطرتهم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً على حياته، عن طريق وكلائهم واوليائهم من الحكام الخونة. كل ذلك من النتائج الحتمية للسياسة الاموية والعباسية المنحرفة عن نهج الاسلام المحمدي الاصيل. فهي التي عملت في طول تاريخها على قتل الروح الثورية في الامة، والقضاء على إرادتها اليمانية، ووعيتها الديني، وابعادها عن رسالتها الجهادية، وفصلها عن قيادتها الشرعية، التي كانت تدعوها للثورة على الظالمين وعدم الرضوخ لسلطة الجبارين والمفسدين. وما زالت السياسة

(١) وهذه الممارسات المنحرفة باسم الدين هي التي ركزت في شعور الامة المفهوم المنحرف عن الدين الداعي الى فصله عن السياسة وليس الفكر الشيوعي كما يدعي بعض الكتاب الاسلاميين.

الحاكمة في العالم العربي اليوم تسير على خطى الامويين والعباسيين في تصفية الثوار ومطاردة المجاهدين ، من المؤمنين حيث أضحى الالتزام بالدين تهمة ، والحالة الجهادية عمالة ، والهداية الى دين الله جريمة في معظم أرجاء العالم العربي .

ومن منطلق الاقتداء بسيرة السلف الصالح ! والاقتداء بالنهج الاموي في مواجهة المجاهدين والثوار من ابناء الامة تقوم دولة آل سعود بطبع كتاب : (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) ، بالاضافة الى طبعها مئات الكتب وتوزيعها سنوياً في العالم الاسلامي ، بعد أن تشحنها بالاكاذيب والافكار الدينية المسمومة ضد مذهب أهل البيت عليهم السلام لتشويه حقيقته وخلق الحواجز الدينية بين الامة الاسلامية بهدف فصلها عن الثورة الخمينية الموالية لمذهب أهل البيت عليهم السلام .

المجتمع العربي على سفن الماضين

انتهينا في الموضوع السابق من دراسة تاريخ تجربة الاسلام السياسية الاسلامية ، في اطار المجتمع العربي ، في ضوء العوامل السلبية للاستبدال . والآن نريد دراستها في ضوء المفهوم القرآني الثاني ، وهو : اتباع سنن الماضين ، قال تعالى : ﴿فهل ينتظرون الاّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ (١) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى قال : فمن !؟» (٢) .

فإن هذه النصوص تشعر بحتمية مرور الأمة الاسلامية بنفس التجارب

(١) سورة يونس ، الآية (١٠٢) .

(٢) صحيح الترمذي ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل .

التي مرت بها الأمم السابقة، سواء في هداها وضلالها، أم في انتصارتها وهزائمها، وان تغير شكلها وطريقة ممارستها. وإذا نظرنا الى تجارب الأمم الماضية، نجد تجربة بني اسرائيل من اثرى التجارب الرسالية دروساً، ولهذا أهتم القرآن بالتركيز عليها أكثر من غيرها.

وطبقاً للمبدأ الإلهي في اتباع سنن الماضين، لا بد أن تمر الأمة الإسلامية بمثل الفتن والتجارب السياسية والاجتماعية والفكرية نفسها التي واجهت بني اسرائيل، ابتداءً من هارون محمد ﷺ المعتدى على حقه، المظلوم من أمته، وانتهاءً بالمواقف الجبانة المتخاذلة عن تحرير فلسطين.

وإذا مرّت محنة هارون في بني اسرائيل كسحابة صيف لأن موسى ﷺ بمجرد أن رجع من ميقات ربه وضع لها حداً في أمته، وعاقب الله تعالى على يديه المتآمرين على أخيه والمعتدين على منصبه وخلافته من عبدة العجل واتباع السامري، فانزل عليهم عقوبة الاقتال، حتى قتل الأخ أخاه والأب ابنه والابن أباه فتاب الله عليهم^(١). فإن محنة هارون محمد ﷺ بقيت تشتعل لوعتها في صدره، وتتسع عليه مأساتها يوماً بعد يوم في خلافته، وقد عانى منها ابناؤه واتباعه من مناوئيه واعدائه، من الظلم والتشريد والتقتيل والانتهاكات الباطلة، ما تهون أمامه جميع مأساة هارون وموسى ﷺ واسباطه واتباعهم.

ومأساة هارون محمد ﷺ ما زالت باقية مستمرة يشتعل لهيبها كل يوم في الأمة، ما دامت الاقلام المأجورة تكتب والعمائم المتاجرة بالدين تخطب، وستبقى هكذا حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، فيصبح اعداء أهل البيت ﷺ على ما اسروا في انفسهم نادمين.

(١) انظر الآية (٥٩) من سورة البقرة.

وقد لاقى اسباط محمد ﷺ من الاذى والتشريد والظلم والجور من قوم رسول الله ﷺ اضعاف ما لاقاه أسباط موسى ﷺ من قومه، واذا كان بنو اسرائيل قد قتلوا يحيى ابن النبي زكريا ﷺ، وقدموا رأسه هدية الى بغيتهم في ليلة زفافها، فان قوم رسول الله ﷺ قدموا رأس سبطه وابن ابنته مع كوكبة من رؤوس أهل بيته الى خليفتهم الخليل الخمار المتهتك يزيد بن معاوية أمير الفاسقين .

وكما كان خلفاء موسى ﷺ واسباطه، هم مقياس الهدى والضلال في امته من بعده، فمن تبع هارون كان ناجياً ومن لحق السامري وعجله كان خاسراً، فان هذه الحكاية ذاتها قد تكررت في خلفاء محمد ﷺ واسباطه من أهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الدنس، وقرنهم بكتابه حيث قال عنهم رسول الله ﷺ لأمته: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ» .

وكما افترق بنو اسرائيل بعد نبينهم الى احدى وسبعين فرقة كلها في ضلال والى النار الآ واحدة، افترقت ايضاً الامة الاسلامية بعد نبينا الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في ضلال والى النار الآ واحدة، ومن الطبيعي أن تلاقي الفرقة المحمدية الناجية من فتنة الخلافة بعد رسول الله ﷺ من الاذى والتكذيب والاضطهاد والتقتيل اضعاف ما لاقته الفرقة الناجية من بني اسرائيل التي لم تعبد العجل ولم تطع السامري، وبقيت متمسكة بخلفاء موسى ﷺ بعد هارون .

واذا اقتصر بنو اسرائيل في عملية التحريف والتزييف لقيم الدين ومبادئه ولنصوص التوراة وآياته على حدود المتاجرة بها لحساب مصالحهم الدنيوية؛ ليشتروا بها ثمناً قليلاً، فإن قادة المسلمين من المنافقين ومرضى القلوب وحكامهم الخونة فاقوهم في ذلك فحرّفوا سنة رسول الله ﷺ ليقتلوا بها أبناءه

ويعتدوا عليهم باسم شريعة جدهم .

وكما يرّر بنو اسرائيل الجبناء تخاذلهم عن تحرير فلسطين لموسى ﷺ بخشيتهم من قوة الجبارين الذين يفوقونهم عدة وعدداً ، يتمسك اليوم الحكام الجبناء المتآمرون على الامة الاسلامية لتبرير تخاذلهم عن مواجهة اليهود الفاصبين لفلسطين بقولهم : «نخشى أن تصيبننا دائرة» . فالقوم الذين حلت بهم عقوبة التيه من بني اسرائيل هم الذين رفضوا خلافة هارون ، وتمردوا على وزارته ، واطاعوا السامري المنافق وعبدوا عجله ، ولم يستجيبوا لموسى ﷺ يوم دعاهم لتحرير فلسطين من الجبارين ، وهؤلاء هم الذين حلت بهم عقوبة الاستبدال .

وتمثلت الفرقة الناجية في الجماعة البديلة عن المرتدين من بني اسرائيل لانها لم تطع السامري المنافق ولم تعبد عجله الصنم بل بقيت متمسكة بولاية اوصياء موسى ﷺ ، فهذه الجماعة التي كانت تمثل حزب الله في تاريخ بني اسرائيل ، هي التي فتح الله تعالى على يديها فلسطين بقيادة (يوشع بن نون) بعد نهاية التيه ، وبقيادتها استطاع بنو اسرائيل إقامة الدولة التوراتية الصغيرة الممهدة لدولتهم الكبرى التي أقام صروحها وبني كيانها داوود وسليمان ﷺ .

وهذه التجارب نفسها ستتكرر في تاريخ الأمة الاسلامية ، كما تؤكد انباء الغيب القرآنية والنبوية . فلن يحرر فلسطين من اليهود الفاصبين الا المقاومون من اتباع أهل البيت ﷺ ، من اصحاب الرايات السود الموطنة للمهدي ﷺ وانصارهم في بلاد الشام . فالخطى ذات الخطى ، والتجارب عين التجارب ، وان تغيرت في شكلها واختلفت في اساليبها ، ولقد كان الصحابي الكبير حذيفة بن اليمان ناقب الرؤية واسع الفهم ، حينما فسر بعض الصحابة بمحضره قوله تعالى : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» فقال : إنَّ المعنيين بهذه الآية هم بنو اسرائيل فاجابه حذيفة قائلاً : «نعم الاخوة بنو

اسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المرّ، كلاً والذي نفسي بيده ، حتى تحذوا السنّة
بالسنّة والقذّة بالقذّة» (١) .

الاستبدال في تاريخ المجتمع الفارسي

يعمل قانون الاستبدال وفقاً لمتغيرات عقائدية وسياسية واجتماعية
تظهر تدريجياً في حركتين اجتماعيتين متعاكستين تماماً :

الحركة الاولى : يمثلها واقع المجتمع الاسلامي المستبدل ، حينما يبدأ
يتراجع عن مسؤوليته الرسالية وقيمته الخلقية والتزاماته الدينية ، وهو ينحدر
ساقطاً في مجالات الانحراف المختلفة .

الحركة الثانية : يمثلها واقع المجتمع الاسلامي البديل في حركته
التصاعدية المتنامية في وعيها السياسي والتزامها الديني وجهادها المقدس ،
وهو يحاول أن يتحدى مختلف اجواء الظلم السياسي والفساد الخُلقي
والانحراف الديني ، التي يواجهها في مسيرته الرسالية الواعية . وتحاول أن
تضغط عليه وتصدّه عن نهج الحق في صراعه مع اعداء الاسلام في داخل
مجتمعه وخارجه .

وقد تحدّثنا عن الحركة الاولى - في ضوء الكلام عن عوامل الاستبدال
السلبية - التي ظهرت تدريجياً في تجربة الإسلام السياسية ، والتي قادها
المجتمع العربي بعد وفاة النبي ﷺ ، بعد اقصاء قادتها الشرعيين خلفاء
الرسول ﷺ الاثني عشر من أهل بيته .

أما الآن فزريد أن نتحدث عن العوامل الايجابية لقانون الاستبدال في
تاريخ المجتمع الفارسي البديل ، المختار لقيادة الامة في صراعها العقائدي

(١) مستدرک الصحيحين ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، صحيح على شرط الشيخين وواقفه الذهبي .

والسياسي مع اعداء الامة من أهل الكتاب في آخر الزمان ، ومع طابور النفاق
ومرضى القلوب الموالين لهم في العالم الاسلامي .

اسلام فارس

دخل الإسلام بلاد فارس في عصر الخليفة الثاني ، وأكمل تحريرها من
الحكم الكسروي في خلافة الثالث ، وكان الفرس قبل ذلك يسمعون عن الدين
الجديد الذي بزغ نوره في بلاد العرب بأنه دين العدالة والمساواة والأخوة
والمحبة ، وأنه جاء لتحرير الإنسان من ظلم الإنسان ، ومن عبادة الاصنام
والاوثان ، وجاء لتحرير الشعوب المستضعفة من حكوماتها الظالمة الجائرة
المستبدة . وقد شاع هذا التصور عن الإسلام في بلاد فارس قبل إسلامها عن
طريق ابنائها المتواجدين في المستعمرات العربية الخاضعة للأمبراطورية
الكسروية في بلاد اليمن ، واليمامة والحيرة ، والمدائن ، والبصرة ، والنعمانية ،
وميسان ، وواسط ، وغيرها من البلدان العربية التي خضعت للإسلام مع أعوان
كسرى ووكلائه من حكامه .

وما ان اعتنق ابناء فارس الإسلام ، حتى اكتشفوا المفارقات الكبيرة بين
ما سمعوه عنه قبل اسلامهم ، وبين ما شاهدوه فعلاً على الأرض في ظل دولة
الخلافة التي اقصت أهل البيت عليهم السلام عن قيادة الأمة .

فبينما سمعوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد ساوى بين المسلمين كافة في
الحقوق والمعاملة - حيث لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى - فلم يقدم
جماعة على أخرى ، ولا قبيلة على أختها ، ولا اسود على ابيض ، ولا قوماً
على آخرين ، بل ساوى بين الجميع ؛ فانهم وجدوا الخليفة الثاني قد خرج عن
هذا المبدأ العادل في المعاملة والحقوق ، ففضل السابقين على غيرهم ، وفضل
المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين ، وفضل المهاجرين كافة

على الأنصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على الموالي، وفضل مضر على ربيعة، ففرض لمضر ثلاثمائة، ولربيعة مائتين، وفضل الأوس على الخزرج مع أن القبيلتين من الأنصار^(١).

وقد ادرك عمر خطأ هذا النهج الطبقي في العطاء، ولمس آثاره السلبية في المجتمع الاسلامي، واعترف في آخر حياته بوجود الرجوع للسيرة النبوية العادلة، لكنه قُتل قبل ذلك^(٢)، وسار عثمان الأموي على النهج العمري في العطاء، وزاد عليه انحرافاً آخر فمنح اقرباءه امتيازات مالية خاصة، وقدمهم على الصحابة والتابعين وعلى جميع المسلمين، وحينما عاب عليه بعض كبار الصحابة ذلك اجابهم قائلاً: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء، وإن رغمت أنوف أقوام^(٣).

وأول من تضرر من هذه السياسة المالية الطبقية في المجتمع الاسلامي، هم الفرس والموالي عامة، لأنها لم تضعهم في اسفل الطبقات الاجتماعية في الدولة الاسلامية فحسب؛ وإنما حرمتهم نهائياً من العطاء - في ظل الحكم الاموي - إلا الجند منهم فكان عطاؤهم على قدر قوت يومهم.

وقد عانى المسلمون من غير العرب ضغوطات نفسية واجتماعية واقتصادية مؤلمة، وهم يشاهدون ثرواتهم تجبى من بلادهم الغنية وترسل الى صحراء الجزيرة العربية القاحلة المجدية، ومع ذلك لا يُساوى بين أبنائهم وبين المسلم العربي في المعاملة والعطاء داخل الامصار الاسلامية العربية، ولولا

(١) ابن ابي الحديد، ج ٨، ص ١١١، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٠٦، فتوح البلدان، ص ٤٣٧، تقياً عن ثورة الحسين لشمس الدين، ص ٢٨.

(٢) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٠٧، ابن ابي الحديد، ج ٢، ص ١٣١، تقياً عن المصدر السابق.

(٣) ابن ابي الحديد، ج ٣، ص ٤٩، عن المصدر السابق.

توفر عاملين مهمين في افتتاح الفرس على الإسلام لحصلت حالة من الارتداد عن الاسلام في مجتمعاتهم لا تحمد عواقبها :

العامل الأول: توفر التجربة النموذجية للإسلام في الإدارة والحكم بقيادة خليفة رسول الله ﷺ وأخيه، وهي على الرغم من قصرها استطاعت أن تقدم صورة ناصعة عن عدالة الإسلام وعظمة تشريعاته، وتمكنت من إعادة ذكريات القيادة النبوية للأمة، وكان شعار السياسة العلوية وواقمها الموضوعي واحداً، لأنها وضعت المجتمع الاسلامي بجميع طبقاته وفتاته على قدم المساواة، كما عبر عنها الإمام علي عليه السلام بقوله: «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه». وحينما امر كاتبه عبيدالله بن ابي رافع أن يوزع المال على المسلمين قال له: «ابدأ بالمهاجرين فنادهم، واعط كل رجل مئة من حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالانصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن حضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك». فقال له سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين! هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم، فقال عليه السلام: «نظيه كما نظيتك» فاعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير^(١)، مع أن سهل بن حنيف من اصحابه، وخواصه وكان له والياً على البصرة قبل حرب الجمل.

العامل الثاني: نزعة حب العلم والمعرفة، التي جُبل عليها ابناء فارس، وقابلية التحمل والصبر المنقطعة النظر، التي يتصفون بها في طلب العلم بين شعوب العالم، ولواقعية هذه الصفة وبروزها فيهم، اتخذها النبي ﷺ عنواناً للتعريف بهم وتمجيدهم في دلائل نبوته في قوله: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من ابناء فارس».

وكان كثيراً ما يبشر بإسلامهم، ويستوصي اصحابه وأمتة بهم خيراً،

(١) ابن ابي الحديد، ج ٧، ص ٣٧، نقلاً عن ثورة الحسين لشمس الدين، ص ٥٩.

ويروي عنه انه كان يقول لاصحابه: «يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون فاذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً» فكان الصحابي ابو سعيد الخدري اذا رأى احدهم قادماً الى الدرس، أو جالساً في حلقة شيخه قال له: «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ»^(١).

واقدم نص يدل على توجه أبناء فارس لطلب العلوم الاسلامية، ما روي بشأن احتشادهم حول منبر أمير المؤمنين ﷺ وهو يخطب في مسجد الكوفة، مما اغضب شيخ المنافقين الاشعث بن قيس فاستنقصهم، وهو يتخطى رقابهم فردّ عليه الإمام علي ﷺ بكلمات موجعة، ووبخه توبيخاً عنيفاً، دفاعاً عنهم. وسنقرأ هذه الحادثة التاريخية بكاملها بأسانيد صحيحة في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

وبانفتاح ابناء فارس على اللغة العربية، وطلب العلوم الاسلامية، اكتشفوا حقيقة الأمر، وعلموا أن ما يلاقونه من ممارسات ظالمة بحقهم، في ظل حكومة الخلافة الاسلامية، إنما هي حالة انحرافية طارئة في المجتمع الاسلامي، لا تمت لمبادئه الالهية الأصيلة بصله، وهي نتيجة طبيعية لجهل الخلفاء بالاسلام. بعد اقصائهم للخلافة الشرعية الكفوءة عن قيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ^(٢).

(١) صحيح الترمذي، ج ٤، ح ٢٨٧٩.

(٢) وهذا هو الذي يفسر استنجد الخلفاء الثلاثة بالإمام علي ﷺ فيما يواجهون من ازمان مستعصية في الإرادة والحكم، فكان دائماً يتصدى وحده لحلها وعلاجها، وإنفاذ الموقف، حتى اشتهرت كلمتهم فيه: «لا بقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن»، واشهر منها كلمة الخليفة الثاني: «لولا علي لهلك عمر». فيض القدير، ج ٤، ص ٣٥٦، الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٤، اسد الغابة، ج ٢، ص ٤٦١، كنز العمال، ج ٣، ص ١٧٩ طبع حيدرآباد.

دور الفرس في النهضة الثقافية

ومنذ عصر الإمام علي عليه السلام بدأت الحركة العلمية تتشط في أوساط الفرس، وفي أواخر القرن الأول الهجري تحول اهتمامهم بالمعارف الإسلامية الى حركة علمية متميزة في الأمة، يقودها علماء بارزون منهم، ويتصدى أكثرهم لمقام الإفتاء والقضاء كما يفهم من الحوار الذي جرى بين أبي ليلى وعيسى بن موسى بشأن علماء الإفتاء والقضاء المبرزين في الامصار الإسلامية.

قال ابو ليلى: سألتني عيسى بن موسى - وكان دياناً شديد العصبية - فقال: مَنْ كان فقيه العراق؟ قلت: الحسن بن ابي الحسن. قال: ثم مَنْ؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: موليان. قال: فَمَنْ كان فقيه مَكَّةَ؟ قلت: عطاء بن رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسلمان بن يسار. قال: فما هم؟ قلت: موال. قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن نجيع. قال: فَمَنْ هؤلاء؟ قلت: موال. فتغير لونه ثم قال: فمن فقيه أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأي، وابن ابي الزناد. قال: فَمَنْ كانا؟ قلت: من الموالي. فاريد وجهه، ثم قال: فَمَنْ فقيه اليمن؟ قلت: طاووس وابنه، وابن منبه. قال: فمن هؤلاء؟ قلت: من الموالي! فانتفضت أوداجه وانتصب قائماً، وقال: فَمَنْ كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبدالله الخراساني. قال: فَمَنْ كان عطاء هذا؟ قلت: مولى! فازداد وجهه تربداً واسود اسوداداً، حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول. قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت مولى! فتنفس الصعداء، ثم قال: فَمَنْ كان فقيه الكوفة؟

فوالله لولا خوفه، لقلْتُ الحكم بن عتبة، وحماد بن سلمان، ولكن رأيت فيه الشرَّ فقلْتُ: ابراهيم النخعي والشعبي. قال: فما كانا؟ قلت:

عربيين . فقال : الله اكبر وسكن جأشه (١) .

ومثل هذا الحوار جرى أيضاً ، بين هشام بن عبد الملك الأموي وعطاء حتى قال هشام في نهايته : كادت تخرج نفسي ولا يقول عربي (٢) .

وفي منتصف القرن الثاني الهجري الذي شهد فيه ائمة أهل البيت عليهم السلام وتلامذتهم ورواة حديثهم اعنف حملات الاعتقالات والمطاردة والتضييق ، من قبل بني العباس ، كان لعلماء الفرس مكانة علمية كبيرة في سائر الامصار الإسلامية وخاصة بعد أن تبنت الدولة العباسية آراء كبار ائمتهم وعلماهم في الفقه والقضاء ، امثال الإمام ابي حنيفة ، والإمام مالك (٣) ، وفي مطلع القرن الثالث الهجري ، حيث كان يرقد إمام أهل البيت علي الهادي عليه السلام في سجن المعتمد العباسي ، ومن بعده ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانت الدولة العباسية قد بثت الجواسيس لمطاردة تلامذة أهل البيت ورواة حديثهم ، بينما اطلقت العنان لعلماء وفقهاء الفرس ورواة حديثهم ، ومنحتهم مطلق الحرية (٤) ، حتى احتلوا موقع الصدارة في إمامة الفقه والقضاء والحديث ، وامامة المساجد في كافة الامصار الاسلامية .

وكان في طليعة فقهاء وعلماء الفرس الإمامان الشافعي وأحمد بن

(١) المقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، الطبعة الازهرية ، ابو حنيفة حياته وعصره ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) مناقب ابي حنيفة ، للمكي ، ص ٦ ، طبع استانبول .

(٣) نص علي فارسية ابي حنيفة كل من ترجم له . راجع ترجمته في (تاريخ المذاهب الاسلامية) محمد ابو زهرة ، و (مناقب ابي حنيفة) للموفق بن احمد .

(٤) منح الحرية الفكرية لعلماء الفرس لا يتعارض مع الروح القومية العنصرية التي عرفت بها سياسة الدولة الاموية والعباسية تجاههم ، لأنهم لا يمنحون مثل هذه الحرية إلا للعلماء والفقهاء والرواة الذين يسرون في ركابهم .

حنبل^(١)، والإمام البخاري، والإمام مسلم النيسابوري، والإمام الترمذي، والإمام النسائي، والحافظ ابن ماجة القزويني، وابو داوود السجستاني^(٢).
ومنهم: الحافظ نعيم بن حماد المروزي شيخ الإمام البخاري^(٣)،
والحاكم ابو عبدالله النيسابوري مصنف (المستدرک علی الصحیحین)،
والحافظ البيهقي مؤلف (السنن الكبرى)، وابو نعيم الاصفهاني صاحب (حلية
الاولياء).

ومنهم أيضاً في العصور المتأخرة: ابن حزم الفارسي الملقب
بالأندلسي، وابن تيمية وغيرهما. ولم تقتصر إمامة علماء الفرس على الفقه
والحديث، بل شملت نواح شتى من العلوم والفنون الإسلامية والإنسانية،
وخاصة في علوم اللغة، والطب، والفلسفة، والتاريخ. واليك شريحة ممن
اشتهر منهم ويحضرني على هذه العجالة.

فمنهم: الفراء النحوي وهو أول من ألف في (مجازات القرآن)، وسهل

(١) الشافعي جده شافع طلب من عمر بن الخطاب أن يجعله من موالي قريش فامتنع لموقفه الخاص
من الموالي، فطلب بعدها من عثمان ففعل فهو من موالي قريش، ذكر ذلك الرازي في كتابه (مناقب
الشافعي) وابو زهرة في كتابه (الإمام الشافعي).

والإمام احمد بن حنبل من أسرة خراسانية كان جده لأمه والياً للأمويين على سرخس، وكان
ابوه احد الجنود المقرين للقيادة الاموية في خراسان، ومع أن احمد ولد في بغداد فان الثابت عند
المؤرخين أنه كان يجيد اللغة الفارسية بطلاقة وهذا يعني أن أسرته تتكلم الفارسية في البيت لأن
الإمام احمد لم يسافر الى خراسان، ولم ينقل عنه أنه تعلم الفارسية من احد، راجع ترجمته في
تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة.

(٢) مسلم وابو داوود عربيا الأصل، فارسيا المولد والنشأة تماماً.

(٣) كما أن معظم رواة الأحكام والاعخبار في الصحاح الستة هم من الفرس ومنهم على سبيل المثال،
مجاهد، وعطاء بن ابي رباح، وعكرمة، ومجاهد وعكرمة ممن يعتمد عليهم البخاري ويوثقهم
ويأخذ بمروياتهم جملة وتفصيلاً، راجع مجمع المؤلفين لرضا كحالة ج ١٢، ص ١١٥.

السجستاني مؤلف كتاب (اعراب القرآن)، والزمخشري اللغوي والمفسر، والحافظ الطبري مؤلف (جامع البيان في تفسير القرآن)، والفخر الرازي الفيلسوف والمفسر، والنيسابوري مؤلف (غرائب القرآن)، والبيضاوي مؤلف (التفسير) المعروف باسمه، وابو الفرج الاصفهاني مؤلف (الاعاني)، وابن خلكان صاحب (وفيات الاعيان)، واحمد الثعالبي صاحب (التفسير)، والشهرستاني مؤلف (الملل والنحل)، وابن سينا والقارابي وغيرهم ممن لم اذكرهم اكثر واكثر.

فلو نظرنا الى أبرز ائمة أهل السنة في الفقه والحديث واشهر علمائهم في التفسير والعلوم الاخرى لوجدناهم كلهم ينحدرون من اصل فارسي، ولهذا كانت بلاد فارس قاطبة تدين بالإسلام على طريقة المذاهب الأربعة حتى نهاية القرن التاسع الهجري^(١). والواقع التاريخي يؤكد بكل وضوح وصراحة أن الفكر الاسلامي في نطاق المذاهب الاربعة بجميع مجالاته عالة على علماء وفقهاء الفرس ومدین لهم. فلهم وحدهم الفضل الأكبر في وضع أسسه وتشديد صروحه عقائدياً وفقهياً وسياسياً وثقافياً، على العكس تماماً منه في نطاق مذهب أهل البيت عليهم السلام حيث بقي يستمد ينابيعه واصوله ومناهجه، من مهبط الوحي العربي المبين، عن طريق ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاثني عشر، واستمر على هذه الحالة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث بدأت الغيبة التامة للمهدي المنتظر عليه السلام وتصدى لقيادة الامامية علماء وفقهاء من اصل عربي في تلك الفترة حتى مطلع القرن الخامس الهجري حيث توفي الشيخ المفيد

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ٢، ص ٥٤٠، الفكر الشيوعي والنزعات الصوفية للدكتور مصطفى الشبيبي، ص ٤١٥.

كيف دخل التشيع بلاد فارس؟

من المتفق عليه أن التشيع دخل بلاد فارس مبكراً عن طريق الدعوة العرب من أتباع أهل البيت عليهم السلام وتلامذتهم، وأول قافلة دخلت بلاد فارس منهم كانت مؤلفة من مجموعة قبائل يمانية، أمر الخليفة الأموي باجلائها من ضواحي الكوفة الى خراسان، لأنهم كانوا يشكلون مصدر قلق وخطر دائمين على الخلافة الأموية في بلاد العراق، وقد نفذ عملية الاجلاء والي الأمويين على الكوفة زياد بن ابيه^(٢)، ولحقت بها قافلة أخرى صغيرة، كانت تضم جمعاً من قبيلة الاشاعرة، انطلقت من العراق أيضاً في عصر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، ودخلت بلاد فارس من ناحية الاهواز وشقت طريقها على الجمال والخيول، واجتازت المساحات الواسعة والجبال العالية، حتى انتهت الى منطقة تتوسط الطريق الرابط بين الري واصفهان في قلب بلاد فارس، واستقرت فيها وسكنتها وعرفت فيما بعد بمدينة قم، وهي مدينة عربية خالصة لا أثر للاعاجم فيها كما يقول ياقوت الحموي^(٣).

وقد عانى أهل قم من ظلم العباسيين ما لم تعرفه بقية المدن الشيعية في الدولة الاسلامية، ولو أراد الباحث المتتبع أن يتطرق لمعاناتهم ويسرد قصص مأساتهم، والمصائب التي حلت بهم من اعدائهم لاحتاج الى عشرات

(١) راجع موضوع (مبدأ اتباع سنن الماضين).

(٢) تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٦، عن هوية التشيع للدكتور الوائلي، ص ١١٤.

(٣) معجم البلدان، مادة «قم»، تاريخ قم، ص ١٤، للحسين بن علي القمي، تاريخ مذهبي قم، ص ٤٠، فارسي، رجال النجاشي، ص ٢٢٨، المسالك والممالك للاصطخري، ص ٢٠١.

المقالات والفرق، لسعد بن خلف انظر (مقدمة الكتاب).

المجلدات ، ومع ذلك كانوا عنوان الصمود على المبدأ ، والثبات على الحق ، والولاء لآل محمد ﷺ وكانت الشهادة على حب أهل البيت ﷺ عندهم احلى من العسل ، فلم يكثرثوا لجيروت الظالمين ، واستبداد المتسلطين ، وقساوة الجلادين .

وقد احرق المعتصم العباسي بيوتهم ، وخرَّب منازلهم ، وألحق بهم وبأموالهم اضراراً كبيرة ، وقتل المئات من رجالهم وابنائهم ؛ بسبب إخراجهم عامله عليهم علي بن عيسى . وكذلك فعل بهم خلفه المستعين ، فأرسل اليهم جيشاً بقيادة مفلح التركي فأغار عليهم ، وسحق نساءهم وأطفالهم بحوافر الخيول ، وغنم أموالاً كثيرة منهم ، وبقيت قم تعاني من اضطهاد بني العباس وظلمهم وجور الحكام والملوك الذين جاؤوا من بعدهم ، حتى بلغت مأساة أهل قم ذروتها على يد قوات الديالمة الحاقدة على مذهب أبناء الرسول ﷺ ، فسحقتهم عن بكرة أبيهم ولم تبق لهم الآ بيوتاً معدودة خاوية على عروشها^(١) ، بعدما قرَّ عدد منهم خارجها ، مختفين بالجبال والوديان التي تحيط بها ، حتى انسحب منها الغزاة التواصب اعداء آل محمد ﷺ .

ولم تكن الجالية العربية الشيعية في خراسان أفضل حالاً من اختها في قم ، وخاصة انها كانت منذ البداية من الجماعات المقضوب عليها من قبل السلطة ، فلم تستقر ركابها وتلقِ رحالها في بلاد خراسان الآ بعد أن استلم واليها من مبعوث الخليفة الاموي - المرافق للقافلة - ما يؤكد خطورتها على الدولة الاموية ، وضرورة وضعها تحت المراقبة الدائمة ، ومع ذلك فما كان يتوقمه ويتوقاه خلفاء بني امية منها قد حدث فعلاً ، حيث كانت انطلاقا الثورة العباسية للاطاحة بهم من بلاد خراسان .

(١) تاريخ قم ، ص ٤٧ وما بعدها .

كيف انتشر التشيع في بلاد فارس ؟

يتفق المؤرخون أن بلاد فارس كانت غالبيتها العظمى تدين بالاسلام على طريقة المذاهب الأربعة حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، ثم بعد ذلك تخلى غالبيتهم عن مذاهبهم السنية واعتنقوا مذهب أهل البيت عليه السلام بشكل ملحوظ في مطلع القرن العاشر أيام الحكم الصفوي .

والسؤال المطروح: كيف يمكن أن نتعلل هذا التحول العقائدي الساحق الذي نقل غالبية المجتمع الفارسي من مذاهب التسنن الى مذهب أهل البيت عليه السلام بفترة قصيرة من الزمن ، مع اتفاق علماء النفس والتربية والاجتماع على القول: بأن من أصعب التحولات الاجتماعية في تاريخ الانسان التغير والتبدل في المعتقد والانتقال من عقيدة الى أخرى، وخاصة عندما ترسخ في النفس والمجتمع قروناً طويلة .

ومن هنا تضاربت آراء الباحثين في تحديد الاسباب الموضوعية والدوافع الحقيقية في تفسير هذه الظاهرة الفريدة في تاريخ التحولات العقائدية في المجتمع البشري ، لان علاقة المجتمع الفارسي بالمعتقدات والتشريعات السنية تتجاوز الأيام والأشهر والسنين لتصل الى تسعة قرون ، كان المجتمع الفارسي بحكامه وعلمائه يحارب التشيع خلالها بسيوفه واقلامه بكل قساوة وعنف ، كما قرأنا صفحات من تاريخهم ونحن نتحدث عن ظلمهم لشيعه أهل البيت في مدينة قم العربية آنذاك .

ومما يزيدنا غرابة واستعجاباً ، ويجعل الباحث المتأمل يقف مندهشاً حائراً في تفسير هذا التحول التاريخي العقائدي في بلاد فارس ، ان جميع فقهاء وعلماء أهل السنة في ذلك العصر كانوا من الفرس ، في حين ان ائمة التشيع جميعهم من العرب ، وكان المرجع الأعلى للشيعه في فترة اعتناق بلاد فارس للتشيع هو العلامة الحلبي الأسدي ، وبنو أسد قبيلة عربية جنوبية من

فرع كهلان بن سبأ ، وهذه الأرقام والحقائق يجب الوقوف عندها كثيراً ، وخاصة إذا أضفنا إليها رقماً سبباً آخر ، وهو شدة تعصب أبناء فارس لقوميتهم واقوامهم ، وعقائدهم وشدة حقدهم على مذهب أهل البيت آنذاك .

لقد حاول بعض الباحثين - عثاً - أن يفسر التشيع بالنزعة الفارسية الوافدة الى العالم الاسلامي من بلاد العجم بواسطة الفرس الموالي ، وانطلق - ليلبس آراءه مسوح البحث العلمي - يفسر المنعطف التاريخي الكبير في تحول اكثر ابناء فارس من المذاهب الاربعة الى مذهب أهل البيت عليه السلام ببعض المعتقدات العقائدية والسياسية الموروثة في المجتمع الفارسي من الحضارة المجوسية ، التي يزعم انها تنسجم مع بعض المعتقدات الشيعية .

لقد غفل هذا الباحث ان التشيع هو الذي غزا بلاد فارس عن طريق الدعاة العرب اليمانيين المواليين لمذهب أهل البيت عليه السلام الذين استوطنوا في مدينة خراسان ومدينة قم في العصر الاموي ، وكان الامام الصادق عليه السلام على صلة دائمة بهم حيث عين لهم وكلاء من تلامذته لينوبوا عنه في حل خصوماتهم وادارة امورهم وتعليم ابنائهم وعلاج مشاكلهم وهكذا كان يفعل أئمة أهل البيت عليهم السلام من بعده ، بالاضافة الى ذلك فان هذا الباحث يجهل حقيقة تاريخية اخرى وهي أن المدن الفارسية التي رفضت التشيع آنذاك وبقيت على مذاهبها السنية حتى يومنا هذا كانت في عصر ازدهار الامبراطورية الفارسية مهد الحضارة والثقافة والمعتقدات المجوسية الوثنية التي تزعم انها تنسجم مع المعتقدات الشيعية فلماذا تعصبت لمذاهبها السنية ولم تقبل بالتشيع وقبلت به المدن الفارسية الأخرى؟!

وفي عقدي ان السبب الاعمق ، وراء هذا المنعطف العقائدي الكبير الذي حدث في تاريخ بلاد فارس يعود في الواقع الى رغبة أبناء فارس في طلب العلم وطبيعتهم المتميزة - بين الأمم الاخرى - في حب المعرفة ومحاولة الوصول الى الحق ، عن طريق الدليل والحجة البرهان القاطع ، مهما كانت

الصعوبات التي تعترضهم .

وقد تجلت هذه الرغبة بكل وضوح في العصر الأول من تاريخهم الاسلامي ، فهاجروا من اجل ذلك من بلادهم الجبلية الجميلة الخضراء ، الى بلاد الجزيرة الصحراوية القاحلة ، فكانوا ينتقلون بين امصارها المتباعدة وفي اجواء مناخها الحار بحثاً عن الصحابة والتابعين وتلامذتهم ، وتلامذة تلامذتهم ، لغرض رواية الحديث عنهم وكتابته والعمل به ، بالرغم مما كانوا يلاقونه من مشاق السفر وصعوبة نفقاته وقلة وسائله ، بالاضافة الى عدم احاطتهم باللغة والعادات والتقاليد العربية .

ومع كل هذه المعاناة استطاع تلامذة ابناء فارس أن يتعمقوا في العلوم الاسلامية ويحتلوا موقع الصدارة بين علماء المسلمين من أهل السنة ، ويكونوا في الطليعة القيادية في مختلف مجالات الثقافة الاسلامية ، وكان لهم الدور الأكبر في ازدهار النهضة الثقافية التي شهدها العالم الاسلامي في العصر العباسي .

وظهرت رغبتهم الصادقة ، في البحث عن الحق والحقيقة في الخلافات المذهبية التي عمت بلاد فارس عام ٧١٠هـ أيام الملك المغولي (أولجايتو) وهو يعتبر من كبار المفكرين المبرزين في الاسرة المغولية التي حكمت بلاد فارس ، أنذاك لشدة تعمقه وتعلقه بالفلسفة ، وعلم الكلام ، وسائر الابحاث العقلية والعلمية الدقيقة . وكان يتصف أيضاً بالنزعة الحرة في التفكير ، والميل الشديد لمطالعة الكتب العلمية لمختلف المذاهب والاديان السماوية . وكان مولعاً بحب البحث والمناظرة ، وعن هذا الطريق اهتدى الى الاسلام ، وتخلّى عن المسيحية واعتنق المذهب الحنفي ، وتزوج بفتاة مسلمة ، ولقب نفسه (خدابنده) اي عبدالله .

فتح خدابنده أبواب بلاطه لاستقبال كبار العلماء والمفكرين من علماء

المذاهب الأربعة، وكان له معهم جلسات وسهرات مطولة، يحاورهم في الكثير من المسائل العقائدية والكلامية والفلسفية والفقهية، وكان يعتقد أن الدين الاسلامي عالج جميع مشاكل الحياة بدقة وحكمة متناهية، فكان يطلب من الفقهاء لكل قضية من قضايا الحياة المستجدة ومشاكلها المستعصية حكماً شرعياً واضحاً بأدلته لعلاجها، وكان يرفض التعصب لمذهب دون آخر، لأنه كان يؤكد كثيراً على حرية التفكير والمعتقدات، فمع أنه كان يعتقد المذهب الحنفي، كان وزيره الخواجه رشيدالدين فضل الله من كبار علماء المذهب الشافعي .

ونتيجة لتعمق خدابنده في المسائل الخلافية، وقع ذات مرة في حيرة وهو يبحث عن علاج احدى المشاكل الاجتماعية فقهاً، حينما طلق زوجته على طريقة المذهب الحنفي، ثلاثاً بكلمة واحدة، فلما جمع القضاة والفقهاء من المذاهب الأربعة يشاورهم في الامر، كان الرأي الفقهي المتفق عليه بينهم ثبوت الطلاق وأن لا يراجعها حتى تنكح زوجاً غيره، ثم يطلقها ذلك الزوج باختياره، فاذا انقضت عدتها ترجع الى زوجها الأول إن وافقت، والتزاماً بهذا الرأي اعترل خدابنده زوجته، لأنه كان شديد الالتزام بالاحكام الفقهية، ولكن كان لهذا الرأي وقع مزعج على مشاعر الملك، وزوجته، واولاده، وبناته، وافراد عشيرته، ووزرائه، واران دولته .

حاول بعض العلماء علاج المشكلة ببعض الآراء الفقهية الشاذة، لكنه ردّ بأدلة فقهية قوية من العلماء المعارضين لمذهبه، وانتقل الخلاف المذهبي بين علماء المذاهب الأربعة من البلاط الملكي الى الشارع الايراني، واصبح مدار بحث ومناظرة في مدارس المشايخ الدينية .

اشتد الخلاف المذهبي بين اتباع المذاهب الاسلامية واخذ يجر الامة الفارسية الى صراعات وفتن ومعارك فكرية ودموية داخلية، انعكست سلباً

على جميع أجهزة الحكم وكبار قادة الدولة المغولية في إيران وجعلت الملك يقع في حيرة مطبقة، لأنه لم يستطع الاhtداء لتشخيص المذهب الحق، واصبح خطر الفتنة يهدد مستقبل الاسلام في بلاد فارس، وخاصة بعد ارتداد عدد من رؤساء المغول وجنودهم عن الاسلام، ورجوعهم للمسيحية، واحتقارهم لعلماء المسلمين. واخذت الفتنة ابعاداً كبيرة، بعد أن شاع خبر رسالة خدابنده التي بعثها لرئيسهم الأكبر في بلاد المغول يخبره بتفاصيل المشكلة، ويعدّه بعلاجها من اساسها بالرجوع الى المسيحية، ان لم يهتدي الى علاج صحيح يقنع ضميره أمام الله تعالى، ويرضى افراد اسرته.

فوصل الخبر الى المرجع الأعلى للشيعة في بلاد العراق وهو العلامة الحلبي الاسدي عن طريق وفد من علماء قم اكدوا له بأن الاسلام مهدد بخطر الزوال في بلاد فارس، من قبل زعماء المغول، وحركة التبشير المسيحية التي تقف وراءهم، واخبروه بحجم الخلاف الواقع في داخل اسرة الملك، وبين كبار مستشاريه ووزرائه واركان دولته، وقدموا له صورة كاملة عن حجم الفتنة المذهبية بين علماء المذاهب الأربعة وآخر حلقاتها الخلافية على الصعيد الفقهي والاجتماعي والسياسي.

قيل كان العلامة يستمع لكلامهم ودموعه كاللؤلؤ تجري على وجنتيه وتنساب على لحيته وهو يبيت الزفرات تلو الزفرات، والتهنيدات تلو التهنيدات، وما أن اكملوا كلامهم استأذنهم ودخل الى مكتبته وبقي فيها اياماً ساهراً لا يخرج منها الا للوضوء، وقيل كان طيلة نهاره في تلك الايام يردد هذا الدعاء باكياً: «يا من خضع الوجود لسلطان توحيدِهِ. اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة، ووحّد قلوب الموحدين على المشركين، وحصن حوزتهم من المناقنين بحق معاقل عرك وحصون توحيدك محمد وآله الطاهرين».

قرر العلامة التدخل مباشرة لانقاذ الموقف، فأرسل مبعوثاً لوالي

المغول في بغداد ، يطلب منه اخبار الملك بالبريد السريع بقدمه الى عاصمة الدولة المغولية في بلاد فارس .

ولما سمع وزير الملك الشيخ رشيد الدين فضل الله الشافعي بوصول مبعوث والي بغداد يحمل رسالة العلامة الحلبي للملك - ويطلب منه فيها أن يتحلى بالحكمة والصبر . ويخبره بقدمه الى ايران ، لحسم الخلافات المستشرية في البلاد - اتصل مباشرة بكبار علماء وفقهاء المذاهب الأربعة واخبرهم على عجل بالأمر وحثهم على الاستعداد علمياً لمواجهة مرجع الرافضة ، ودعاهم للبلاط الملكي لاستقباله في الموعد المقرر ، وكان في طليعتهم ، اعلم علماء أهل السنة على الاطلاق الإمام المراغي ، والمولى قطب الدين الشيرازي ، والخواجه عمر الكاتبي القزويني ، والشيخ احمد بن الكشي ، والفاضل السيد رشيد الدين الهاشمي الموصلبي ، والقاضي ناصر الدين البيضاوي ، والقاضي عقدالدين الايجي ، والشيخ محمد بن محمود الآملي ، والمولى بدرالدين الشوشتري ، والمولى عزالدين الايجي ، والسيد برهان الدين العبري .

دخل العلامة الحلبي الى بلاد ايران مع مترجميه في قافلة عليها حراسة مشددة ترفع أعلام الدولة المغولية بأمر من والي المغول في بغداد ، لكي لا يتعرض لها احد بسوء . وخاصة أن الامة كانت تعيش في اجواء عواصف الصراعات المذهبية التي اجتاحت المدن والقرى الايرانية قاطبة .

وما أن استقر العلامة الحلبي بالمجلس ، حتى اظهر الوزير الأول للملك رغبته في تحديد موضوعات البحث المقارن ومنهاجه واوقاته .

وقيل إن العلامة شرع في الحوار من أول لحظة من وصوله ، وبدأ بمزاح كان يستبطن فيه توجيه الإهانة لمقام الملك وللمجلس بشكل عام ! لكي يشير فضول الحاضرين من علماء أهل السنة لينتقدوه ، وكان قد اعد مسبقاً لكل انتقاد متصور منهم جواباً عليه من الكتاب والسنة والتاريخ .

بدأ الحوار بين علماء السنة والعلامة الحلبي ، في اطار المسائل الخلافية موضع الفتنة ، وانتهى الحوار باعجاب الجميع بآراء العلامة وأدلته على أحقية مذهب أبناء رسول الله ﷺ وكان في طليعة المعجبين به والمذعنين لأدلته ومذهبه الإمام المراغي أعلم علماء بلاد فارس آنذاك .

والمتفق عليه بين المؤرخين في رواية هذه القصة ان العلامة كان يعتمد في حوارهِ مع علماء المذاهب الاربعة في هذا اللقاء الفكري ، على مرويات الصحاح الستة وعلى البخاري ومسلم خاصة ، ولم ينتصر للآراء الفقهية الخاصة بمذهب أهل البيت إلا على كتب أهل السنة ، فاذا حاول احد التهرب من الدليل ، والتأول على النص والخروج عن الموضوعية في البحث الى المناقشات الجانبية ، ناقشه بالادلة الصريحة والنصوص الفصيحة ، وحاوره بالحجج المنطقية ، وواقفه على مداليل الكلمة في المعاجم اللغوية ، فيقف الى جانبه الجميع ويذعنون لأدلته الواضحة القوية .

وبعد نهاية الجلسة الأخيرة ، وقف العلامة خطيباً بحضور الملك ، وخطب خطبة بليغة برسم الشكر ، فحمد الله تعالى واثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ، فلما انتهى اعترض عليه احد علماء أهل السنة ، وهو السيد الموصلي الهاشمي النسب ، فقال له : ما الدليل على جواز الصلاة على غير الانبياء حتى أنك ذكرت أهل البيت بالصلاة مع النبي ﷺ ؟ فقال العلامة : الدليل قوله تعالى : ﴿الذين اذا اصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾^(١) .

فقال السيد الموصلي : أي مصيبة اصابت علياً وأولاده ليستوجبوا بها الصلاة مع النبي ﷺ ؟ فذكر العلامة مصائبهم المشهورة ، ثم قال له : وأي مصيبة اعظم عليهم من كونك وأنت من ابنائهم تفضل عليهم من لا يستحق

(١) سورة البقرة ، الآيتان (١٥٦ و١٥٧) .

التفضيل مع أنهم باب علم النبي ﷺ وخزان علم الوصي واصحاب آية التطهير وآية المودة والقربى وسفينة النجاة في الامة، فضحك الحاضرون وخجل السيد.

ثم التفت العلامة للجميع واعتذر منهم أن يكون قد جرح مشاعر احدهم، وذكرهم بأنه لم يحذ عن الدليل، فاذا قسى على احد منهم فكان ذلك مقتضى الدليل، ثم التفت الى الملك ليستأذنه بالانصراف، فطلب الملك منه أن يولف له كتاباً مختصراً جامعاً لكل الخلافات الاساسية بين المذاهب الخمسة، مع بيان وجه الصواب بالدليل، فاستجاب العلامة لمطلبه وبعد ثلاثة أيام اكمل كتابه الشهير (نهج الحق وكشف الصدق)^(١)، ووضعه بخدمة الملك وانصرف راجعاً الى العراق.

وقد انتشر صيت هذه المناظرة في شيراز، واصفهان، وكابل، وسمرقند، وبخارى، وبلخ، واشهر مدن العالم السنّية، بالاخص مدن القفقاز، وتوجه عدد كبير من علماء أهل السنة، لغرض مناقشة العلامة، وهو ما يؤيد الرأي القائل بأن العلامة لم ينصرف الى العراق بل بقي اشهرًا كثيرة بأمر الملك بعد أن وضع بخدمته مدرسة ومكتبة سيارة. مع خدم وحراس يعدون بالعشرات.

وعلى اي حال فإن هذه المناظرة أوجدت هزة عنيفة في تفكير وثقافة المسلمين المذهبية في ذلك التاريخ، فالملك اعلن تشيعه قبل أن يستلم كتاب (نهج الحق وكشف الصدق) وأمر بطبع اسماء خلفاء الرسول الاثني عشر من أهل بيته عليه السلام على السكة الذهبية التي كانت هي العملة المتداولة في بلاد فارس. وبما أن الملك لم يكن متعصباً وكان يؤمن بحرية التفكير والمعتقد لذا

(١) طبع اخيراً ولأول مرة في ايران بمقدمة مختصرة تعرّف بالكتاب وبقصته الشهيرة والمقدمة كتبها العلامة السيد رضا الصدر شقيق الامام موسى الصدر.

لم يفرض مذهبه حتى على افراد اسرته .

وهكذا استطاع العلامة الحلي الاسدي بعلمه وإيمانه وقوة جنانته وصبره واعتصامه بالله تعالى ، أن ينفذ الامة الفارسية المسلمة من محتتها ، ويحفظ اسرة الملك من الارتداد والتفكك ، ويحصن الإسلام من خطر هذه الفتنة ، كما استطاع ايضاً أن يحطم جدران السجن الحديدية عن مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد أن حاصرته الحكومات الظالمة في مدينة قم ، وحي صغير في خراسان طيلة القرون السابقة الى عهد خدابنده^(١) .

وفي اجواء الحوار والافتتاح الفكري بين علماء الاسلام على مختلف مذاهبهم ، أخذ مذهب أهل البيت عليهم السلام ينتشر بقوة ادلته تدريجياً في بلاد فارس ، خلال ثلاثة قرون فلما جاء الشاه اسماعيل الصفوي في مطلع القرن العاشر الهجري وجد الأجواء الاجتماعية والسياسية والدينية ملائمة لاعلان مذهب أهل البيت ، مذهباً رسمياً للدولة في بلاد فارس .

وهكذا يتضح أن رغبة ابناء فارس في طلب العلم والبحث عن الحق بدليله هي التي جعلتهم يهتدون الى مذهب أهل البيت عليهم السلام ولو لم تتوفر هذه الرغبة الصادقة عند الاكثرية من ابناء فارس ، وخاصة عند علمائهم وفقهائهم ، لم تستطع اجواء الحوار الفكري الموضوعية ، الحرة الهادفة التي اوجدها خدابنده بينهم ، أن تنفذهم من اسر العصبية المذهبية الموروثة ، بل لبقوا على

(١) اعتمدت في سرد قصة العلامة الحلي مع الملك خدابنده على أجزاء متفرقة من كتاب أعيان الشيعة بالأخض المجلد رقم ٥ ، ترجمة العلامة ، ومقدمة العلامة السيد رضا الصدر لكتاب العلامة (نهج الحق وكشف الصدق) ، وعلى مطالعاتي العامة المتفرقة لكتب مختلفة وخاصة كتب التراجم ، المعنية برجال القصة .

وقد استقصيت بعض جوانب القصة من بعض العلماء والمؤمنين من كبار السن في مدينة الحلة ايام اقامتي في النجف الاشرف .

حالهم وصراعاتهم ، ولبقي مذهب ابناء الرسول ﷺ سجيناً في خراسان وفي قم ، يعاني من ويلات وجنبايات التاريخ وظلم سجانیه ، وسياط الحكام الجلادين ، وأراجيف النواصب الحاقدين على آل محمد ﷺ وأتباعهم الى يومنا هذا .

هذا هو التفسير الصحيح لاعتناق ابناء فارس لمذهب أهل البيت ﷺ ، وتركهم المذاهب الاخرى التي تعبدوا بها تسعة قرون ، وكل تفسير غيره ، هو جريمة بحق المسلمين من قوم سلمان المحمدي ، وجناية على مذهب آل محمد ﷺ ، وهذا التفسير ليس اجتهاداً شخصياً ولا تحليلاً تاريخياً ، وإنما هو ترجمة أمينة لما جاء في كلمات رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن مستقبل الدين والايمان والعلم في بلاد فارس فيقول : « لو كان العلم بالثريا لثاله رجال من فارس » وقوله : « لو كان الدين بالثريا لثاله الفرس » وقوله : « لو كان الايمان بالثريا لتناوله أهل فارس » .

وفي تصوري أن كل هذه الالفاظ ، قد صدرت عن النبي ﷺ لأنه لا فرق في الواقع بين معانيها ، فالدين الحق لا يهتدى إليه إلا بوسائل العلم والمعرفة الصحيحة ، والايمان الخالص من كل شائبة ، لا يُنال إلا عن طريق العلم والمعرفة الالهية المستمدة من منابع الدين الاصيله ، وكل هذه المعاني تجمعت في أهل الولاية من أهل البيت ﷺ فهم عدلاء القرآن ، وتراجمة وحيه ، وخزان علمه ، وقرنائه في هداية الامه من الضلال ، وعصمتها من الانحراف والفساد ، لذلك كان رسول الله ﷺ يؤكد دائماً لأتمه أن تتمسك باهل بيته وتتبع هداهم كما تتمسك بالقرآن وتتبع هداه ، بقوله : « ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي » .

أما لماذا تأخر ابناء فارس عن الاهتداء الى مذهب أهل البيت ﷺ ؟
فهذا ما يكشف عن ضخامة وكثرة وشدة الحواجز والعوائق الموضوعية التي

كانت تشكل أمامهم غيوماً كثيفة تمنعهم من رؤية نوره والتعرف على حقيقته .
 فهناك الحواجز اللغوية ، والجغرافية ، والقومية ، والحضارية . بالإضافة الى
 الحواجز المذهبية والسياسية ، التي كانت اخطر الحواجز على مذهب أهل
 البيت عليهم السلام ، حيث وصل الأمر في كافة الأمصار الاسلامية الى اعتبار الشيعي
 والعلوي كافراً لا يجوز مخالطته والتعامل معه ، ومن يسمى ولده باسم علي أو
 حسن أو حسين فهو زنديق ، وكان من الضروري لحفظ السلطة وحكامها
 الظالمين من خطر السقوط أن تبت هذه الافكار المسمومة ضد اتباع أهل
 البيت عليهم السلام ، لأنهم كانوا دائماً مصدر خطر وقلق لجميع الحكومات الاموية
 والعباسية الظالمة ، في بلاد فارس طيلة قرون ستة ، فكان قول
 رسول الله ﷺ : « لو كان الدين بالثريا لثاله ابناء فارس » المروي في
 الصحيحين أدق تعبير يصور رحلة ابناء فارس الشاقة وهم يبحثون عن
 المذهب الحق في الاسلام من بين اكثر من سبعين مذهباً في وقت تصدهم عن
 الوصول اليه مئات الحواجز . ومع ذلك تمكنوا من تحطيمها وتجاوزها
 والوصول الى منابع الدين الاصيله : الكتاب والعترة ، اللذين قال فيهما رسول
 الله ﷺ : « ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » .

فارس على خطى كربلاء

من أهم العوامل التي أدت الى تعاطف الأمة الاسلامية مع أهل
 البيت عليهم السلام واتباعهم المظلومين ، هو تنكيل الامويين بهم وافرطهم في
 تشريدهم وتقتيلهم . وكان تعاطف قوم سلمان المحمدي معهم كبيراً جداً . وان
 لم يفتحوا عقائدياً على مذهبهم . وهذا هو السبب الذي جعل بلادهم تتحول
 الى منطلق وقاعدة للثورة على الخلافة الاموية تحت شعار : (الرضا من آل
 محمد) . وحينما نريد أن نقيّم هذه الثورة الخراسانية بحساب اهدافها ودوافعها

الشعبية الصادقة، فإننا حتماً سنضعها في قائمة الثورات الموالية لأهل البيت عليهم السلام. أما إذا أردنا أن نقيّمها بحسب نتائجها النهائية ومكاسبها السياسية المسروقة من قبل بني العباس، فمن الطبيعي أن تختلف النظرة إليها كلياً.

وعلى كل حال ان هذه الثورة استطاعت أن تضع ابناء فارس على خطى كربلاء، تحت شعار الانتقام من الحكم الاموي الظالم، والثأر لدماء الحسين وآله واصحابه عليهم السلام، وهو ما يؤكد دخولهم في المرحلة الايجابية الاولى من قانون الاستبدال على الصعيد الجهادي.

وقد تعمقت وترسخت الروح الجهادية في قوم سلمان المحمدي، بعد اعتناقهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام، باعتباره المذهب الوحيد الذي كان يقود المعارضة - داخل الأمة - ضد الحكام المتسلطين عليها بالنار والحديد في طول التاريخ، ولهذا كان الجلادون دائماً يعبرون عنه بمذهب الرفض لأنه يرفض التحاكم لغير كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يقبل أن يلين أمام قساوة المتجبرين، ولا يعطي اليد الذليلة للمفسدين من حكام الامة الخونة، المنحرفين عن نهج الشرع المبين. بالإضافة الى أن الزخم الثوري والجهادي المستمد من عطاء كربلاء عند أتباع أهل البيت عليهم السلام، لا يتوفر عند غيرهم ممن خسروا هذا العطاء، لأنهم اعطوا الحاكم الظالم آذاناً صاغية، وتعاملوا معه على اساس أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فحسروا كربلاء في قضية فثوية مذهبية ضيقة، مع أن خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد لها مدرسة لكل التائرين على الظلم والانحراف في امته، وهذا هو معنى قوله: «حسين مني وانا من حسين»^(١).

(١) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، سنن ابن ماجة باب فضائل الصحابة، مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١٧٧، مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ١٧٢، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٩، وج ٥، ص ١٣٠.

لقد أزعجت كربلاء اللثام عن الوجه القبيح المفسد في الارض،
والمستتر بالإسلام وباسم خليفة رسول الله يزيد، العامل في عباد الله بالاثم
والعدوان، وانكشف الحكم الاموي للامة على حقيقته بعد أن قتل أسباط
رسول الله وابناءه وأهل بيته عليهم السلام واقتادهم أسرى لعاصمة الدولة الاموية كما
تقاد أسرى المشركين !!

وكان من أهم اهداف الثورة الحسينية في كربلاء هو إيقاظ الامة من
غفوتها لتتعامل معها بصفة رسالية لا تنفصل في اهدافها عن اهداف الرسالة
المحمدية، ولكن الاحاديث الموضوعية، وفتاوى فقهاء السلاطين الخونة،
التي يراد منها حفظ كراسي الخلفاء المفسدين، والحكام الظالمين من غضب
التائرين الاحرار، ونقمة المؤمنين المجاهدين، كان لها السبب الأكبر في
حرمان أكثر الامة من عطاء كربلاء.

ومنذ يوم الحسين عليه السلام الذي بكت له ملائكة العرش والسماء دماً^(١)، ما
زالت الدماء المحمدية تصرخ في ضمائر أتباع أهل البيت عليهم السلام وتدعوهم في
كل عصر للثورة على الظالمين والمنحرفين، وتمنحهم الحرية والعزة والشعور
بالمسؤولية والشموخ أمام كل جبار مترف، وظالم متعسف، وامير مسرف.

والمجتمع الشيعي في بلاد فارس، وان كانت تشاركه المجتمعات
الشيعية الاخرى بهذا المخزون الثوري، من عطاء كربلاء الدائم، ولكنه بالتأكيد
كان يختلف عنها في التعامل معها، لأنه لم ينفعل بعبراتها ومأساتها بقدر انفعاله
بعبرها وعظاتها، ولم يتعامل مع مأساتها بقدر تعامله مع مبادئها واهدافها، وقد
حقق على طريقها خطوات ثورية وجهادية عظيمة جداً، قد لا تجد لها نظيراً
في المجتمعات الاسلامية الاخرى، وكان من ابرز خطواته الحسينية التي

(١) اقرأ مقتل الحسين، للخوارزمي.

حققتها في القرون الأخيرة من تاريخه، تلك النهضة الإسلامية المعروفة بـ(الثورة الدستورية) بقيادة علمائه ضد الحكام (القاجاريين) وفرض عليهم سنة ١٩٠٦م مادة تنص على رقابة خمسة من الفقهاء على دستور الدولة، يكون لهم حق نقض القوانين وتعديلها، إذا كانت منافية للشريعة الإسلامية. وقد تحقق هذا الانجاز في المجتمع الإيراني المسلم على يد علمائه الثوار، في عصر كان علماء المسلمين في المجتمعات العربية العوية بيد حكامهم الظلمة، ويستخدمونهم كموظفين في المساجد والمراكز العلمية، لدعم سياستهم المنحرفة عن القرآن والسنة ولا يحق لهم أن يتكلموا ولو بكلمة واحدة تعارض سياسة الدولة المعادية للإسلام.

وتلت الثورة الدستورية ثورات حسينية عديدة لا تقل عنها أهمية، وكان من أبرزها الثورة الإسلامية الشعبية المسلحة ضد الاحتلال البريطاني للعراق، المعروفة بـ(ثورة العشرين)، والتي قادها المرجع الإيراني الكبير الشيخ محمد تقي الشيرازي، بعد أن شكل مجلساً قيادياً لها، وعين ممثلين له في كافة مدن العراق وخوزستان وأمرهم أن يقودوا العشائر العربية في العراق وإيران لمواجهة الغزاة المحتلين بالرصاصة لا بالحوار.

ثم تلتها (ثورة التبناك) التي سببت خسارة فادحة للاقتصاد البريطاني، وأعطت السياسة الغربية درساً بليغاً كشفت من خلاله عن دور الدين في قيادة الحياة وموقع العلماء في قيادة الأمة.

ومنها ثورة (فدائيو اسلام) بقيادة المجاهد السيد نواب صفوي أحد الثائرين من احفاد الحسين عليه السلام وبدأت حركته الجهادية حينما قرر الشاه احياء النزعة الفارسية المجوسية والتراث الكسروي، من خلال تمجيد تقاليده واعادة ذكرياته في المجتمع الإيراني حينئذٍ تخلى السيد نواب عن درسه في النجف الاشرف، ورجع من العراق الى ايران، وقام بعمله الجهادي لمقاومة سياسة الشاه المنحرفة. وقد استطاعت هذه الحركة الإسلامية الحسينية

المجاهدة أن تشل نشاط حكومة الشاه في هذا الاتجاه . وتمنعها من تنفيذ مشروعها القومي المعادي للإسلام ، بعد أن نجحت في تصفية بعض الوزراء وابرز أركان النظام البهلوي المنفذين لمخطط احياء الفكر والنزعة المجوسية الوثنية .

ثم ظهرت بعد ذلك تيارات اسلامية ثورية جديدة على الساحة الايرانية تدعو المسلمين للعودة الى الإسلام المحمدي الاصيل ، وتستنهضهم لقطع دابر القوم المفسدين من ابناء الاسرة الحاكمة . وكان من ابرز رجال هذا التوجه الديني الجديد واكثرهم صلابة وحكمة وشجاعة واصراراً في قيادة الامة الايرانية على خطى كربلاء ، الإمام الخميني رحمه الله . ومنذ مطلع الخمسينات اخذ الثائر الايراني الحسيني الجديد ينازل سياسة الشاه بشكل واضح وصريح ، ويكشف عيوبها ومساوئها للأمة ، في دروسه العلمية ، وخطاباته الشعبية ، وبياناته السياسية المعلنة والسرية . ويفضح علاقة الشاه الخفية باليهود والنصارى ، وبالاستكبار العالمي ، ويسلط الاضواء على جرائم حكومته وتلاعبها بثروات الامة ومقدراتها ، وممارساتها الظالمة بحق المسلمين ، في رسائله التي كان يبعثها لوكلائه واصدقائه ، ومقلديه ، ومريديه ، مما سبب مصادمات دموية متكررة بينه وبين حكومة الشاه ، دخل في احداها السجن شامخ الرأس ، احد عشر شهراً . ثم ابعده الى تركيا ، ومنها الى العراق ، بجوار أبيه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام . ومع كل ذلك لم يتراجع ولم يترك مسؤوليته الإلهية ، بل واصل جهاده ولم يرجع الى وطنه الآ بعد أن أخرج منه الطاغوت الذي اضطهده ونكل به ونفاه عن ساحة جهاده .

عودة فارس الى الاسلام

عاد الإسلام من جديد الى بلاد فارس بعد أن اقصي عن قيادة الحياة ،

على يد الغزاة الصليبيين بعد سقوط الدولة العثمانية . عاد الإسلام الى بلاد فارس في عصر تن فيه الامة الاسلامية في العالم العربي -بالخصوص- من ظلم وجبروت انظمتها العميلة للاستكبار . عاد الإسلام ليحكم بلاد ايران في ظروف تاريخية تواجه فيها الحركات الاسلامية المجاهدة في الدول العربية اعنف أساليب الابداء والتصفية الجماعية ، واشد انواع الاضطهاد والظلم السياسي ، من حكام العرب المواليين لليهود والنصارى . عاد حكم القرآن والسنة لبلاد فارس ليحكم تحت راية مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ويعلن حربته على اليهود المقتصبين لفلسطين الاسلامية ، من بلاد ايران الشيعية ، التي يسميها (احمد امين) وغيره من كتاب المسلمين المأجورين بلاد الشيعة الذين يستمدون مبادئهم ومعتقداتهم من المجوسية واليهودية . نعم عاد الاسلام الى ايران في عصر يتجاوز التقارب بين السياسة العربية واليهودية من مرحلة العلاقات السرية الى مرحلة العلاقات الدبلوماسية المكشوفة . فأين الحكومات العربية من الإسلام ؟ وأين فارس من اليهودية يا أحمد أمين !

عاد الإسلام بالقبضات الموالية لأهل البيت عليهم السلام الى بلاد ايران . وجاء الثوار من أبنائه الى مكة ليعلنوا براءتهم من المشركين كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ، فحرقوا العلم الأمريكي الصليبي والاسرائيلي اليهودي ، وقدموا ضحاياهم على الطريقة الابراهيمية من اجل التوحيد الخالص . وسقط ابناءؤهم بالرصاص الأمريكي الذي اطلقته عليهم البنادق السعوري ، وكان لشهادتهم وقعٌ عظيمٌ في ضمير الأمة يوم الحج الأكبر ومؤتمر الإسلام العالمي . وحسرت دماؤهم المقدسة القناع عن وجه الحقيقة المخفية ، واصبح واضحاً لدى المسلمين جميعاً أن الوهاية هي التي تستمد مبادئها من اليهودية وتناصرها على حساب الإسلام ، وليس مذهب أهل البيت عليهم السلام كما يدعي كتاب الحركة الوهاية وعملاء آل سعود .

ومن الطبيعي أن لا نتوقع من عودة الإسلام من جديد الى بلاد فارس الإسلامية، أن تطبيق شريعته بكل حذافيرها، بل لا بد أن تمر تجربته السياسية بمراحل متعددة من الصراع بين القوى السياسية المريضة، والقوى الإسلامية الثورية التي تريد تغيير المجتمع الإيراني المسلم نحو الإسلام الصحيح، وتستهدف القضاء على جميع عوامل انحرافه في مختلف مجالاته ومؤسساته، وانتهاء تبعيته الذليلة لدول الاستكبار العالمي اليهودية والنصرانية.



الفصل الثالث



ثورة المواطنين للمهدي عليه السلام
تجسد الجانب التطبيقي للاستبدال

العلاقة بين الاستبدال والمواطنين

في ضوء البحوث السابقة، اصبح واضحاً أن قضية الاستبدال السياسي الموعودة في تاريخ الامة، هي مجرد فكرة مجملة طرحها القرآن، وترك إيضاحها واعطاء التفاصيل الكاملة عنها للحديث النبوي، باعتباره المتكفل ببيان جوانب الغموض والايهام في كلمات القرآن، وايضاح المتشابه من آياته، وهذه هي مسؤولية الرسول ﷺ في أمته كما حددها الله تعالى له بقوله: ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم﴾^(١).

وبالمقارنة بين ما جاء في القرآن وما جاء في السنة بشأن الاستبدال الموعود، نجد القرآن طرح هذه الفكرة على نحو القضية المعلقة التي لا ترى النور في الحياة، ما لم تتحقق جميع مسوغاتها الموضوعية وشروطها السلبية والايجابية - في واقع المجتمعين المستبدل والبديل، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾^(٢). ﴿الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(٣).

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٩.

فالاستبدال مشروط بتوليهم عن الشريعة وانحرافهم عن مبادئها وعدم استجابتهم لأوامرها الجهادية .

أما السنة النبوية، فقد تصدت لبيان هذه القضية الغيبية بأسهاب وتفصيل، فأوضحت الكثير من أحداثها التاريخية المستقبلية وسلّطت الأضواء على أهدافها السياسية، وملاحمها الجهادية وكأنها تعرض تفاصيل أحداث ثورة اسلامية، قد تحققت على ارض الواقع بعد أن توفرت جميع عوامل قيامها وشروط نجاحها .

لقد بذلتُ قصارى جهدي - بحثاً وتحقيقاً - لدراسة وتفسير انباء الغيب القرآنية المستقبلية، فلم اجد فيها ما يمثل التفسير الصحيح لآيات الاستبدال غير الاحاديث النبوية الغيبية التي بشرت بثورة المواطنين للمهدي عليه السلام في بلاد فارس، وسيكتشف القراء الاعزاء هذه الحقيقة بكل وضوح، من خلال مطالعتهم لاجبار المواطنين للمهدي عليه السلام في هذا الفصل .

ظهور راية المواطنين للمهدي عليه السلام

عرض موضوعي وثائقي لاحاديث ثورة المواطنين
للمهدي عليه السلام منذ انطلاقتها حتى تسليم رايته له

أخبار ثورة الموطنين

يتناول هذا الموضوع كل ما يرتبط بثورة الموطنين من أخبار غيبية، سواء كانت مسندة لرسول الله ﷺ أو لم تسند إليه، كالمسندة لأهل بيته أو صحابته أو التابعين لهم، لان الأخبار الغيبية كلها بنظرنا صادرة عن رسول الله ﷺ، وان لم تسند إليه في بعض الاحيان، لأنه لا يعلم الغيب الا الله تعالى او من ارتضى من رسول: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول﴾^(١).

نعم ما كان من هذه الأخبار الغيبية معارضاً للقرآن، أو للسنة النبوية الصحيحة، أو مخالفاً لبعض مفاهيم العقيدة أو احكام الشريعة أو قواعد العقل، فانتا لا نرتضيه ولا ندخله في هذه البحوث، بل نرمي به عرض الجدار، حتى لو كان مسنداً لرسول الله ﷺ بأوثق الرواة، وهذا هو الطريق الصحيح الذي يضمن لنا عدم تسرب الأخبار الموضوعة من الاسرائيليات وغيرها الى هذه الدراسة.

تقسيم أخبار الموطنين

تقسم اخبار ثورة الموطنين من حيث مصادرها ومنابعها الى قسمين:

(١) الجن: آية ٢٦ - ٢٧.

(الاول): ما روي بشأنها في مصادر الحديث عند الشيعة الامامية .

(الثاني): ما روي بشأنها عن طريق أهل السنة .

وسنكتفي في هذا الكتاب بعرض ودراسة أخبار الموطئين المروية عن طريق أهل السنة فحسب ، وتوَجَّل دراسة ما روي بشأنها من طرق الشيعة الامامية الى حلقة مستقلة من هذه الدراسات المهدوية . ومن هنا لا يحق لعلماء الشيعة ومثقفهم تضعيف أو انتقاد أو ردأي حديث من هذه الاحاith بحجة عدم انسجامها مع قواعد علم الحديث الخاصة بمذهبهم .

عرض اخبار الموطئين

اتبعنا هنا طريقة خاصة في عرض ودراسة اخبار ثورة الموطئين للمهدي عليه السلام ، فبعد أن صنفناها الى مجموعات متعددة ، واعطينا لكل مجموعة منها عنواناً خاصاً بها مستمداً من مضمونها ، قمنا بعرضها مرقمة مع مراعاة ترتيبها حسب التسلسل الزمني لاحداث الثورة ، منذ انطلاقتها حتى تسليم امرها وقيادتها الى المهدي المنتظر عليه السلام . وفي الغالب نعقب كل مجموعة من أخبار الثورة بشرح مختصر في المتن او الهامش ، يوضح معانيها الخفية ويبين علاقتها بموضوع البحث . وكثيراً ما نضطر لتكرار بعض الأخبار في اكثر من موضوع في هذا الفصل ، لاحتوائها على موضوعات متعددة ، وبما أننا قد قمنا الاحاديث منذ البداية ، فاتنا لم نعط المتكرر منها رقماً جديداً بل نكتفي بالاشارة الى رقمه الاول في هامش الكتاب .

وتحتل الأخبار النبوية بشورة الموطئين للمهدي عليه السلام في اخر الزمان ، مساحة واسعة من مصادر الحديث عند أهل السنة ، بالاخص في كتبهم المصنفة في أخبار الملاحم والفتن ، وفي الامام المهدي المنتظر عليه السلام خاصة .

وستعرض أكثرها هنا في ضوء التصنيف الموضوعي لمضامينها .

ظهور راية الموطنيين

١ - عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسول الله ﷺ :
« يخرج قوم من المشرق يوطنون للمهدي سلطانه » .

٢ - عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد ، وضرة بن حبيب ومشايخهم
قالوا : « بيعت السفيناني خيله وجنوده ، فيبلغ عامة المشرق ، من أرض خراسان ،
وأرض فارس فيثور بهم ، أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعات في غير
موضع ^(١) ... ويخرج شعيب بن صالح متخفياً إلى بيت المقدس ، يوطن للمهدي
منزله ، إذا بلغه خروجه إلى الشام » .

٣ - عن محمد بن الحنفية قال : « تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم
تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسهم سود وثيابهم بيض ، على مقدمتهم
رجل يقال له : شعيب بن صالح - أو صالح بن شعيب - من تميم ، يهزمون
أصحاب السفيناني ، حتى تنزل بيت المقدس ، توطن للمهدي سلطانه ، يمد إليه
ثلثمائة من الشام » .

١ - سنن ابن ماجه ج ٢ ح ٤٠٨٨ ، البدء والتاريخ ج ٢ ص ١٧٤ ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٨ ،
الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٠ ، ونهاية البداية ج ١ ص ٤١ ، الفتاوى الحديثية ص ٤٠ ،
المنار العنيف ص ١٤٥ ، البيان ص ١٠٥ ، فرائد السمطين ج ٢ ص ٣٣٣ ، كنز العمال ج ١٤
ح ٣٨٦٥٧ ، المعجم الاوسط للطبراني ج ١ ح ٢٨٧ .

٢ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٨ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧٠ ، عقد الدر ص ١٢٨ ، سنن أبي
تفاهيل معارك الموطنيين مع السفيناني ابتداء من حديث رقم ٤٣ إلى حديث رقم ٦٤ .
(١) أي ليس في مكان واحد .

٣ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٤ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٧ ، سنن الداني ص ٩٨ ، الفتاوي
الحديثية ص ٤٢ ، البرهان باب ٧ ح ١٧ .

٤ - عن عباس بن عبدالمطلب أنه قال : «إذا اقبلت الرايات السود، من المشرق، يوطيء اصحابها للمهدي سلطانه».

٥ - عن هلال بن عمرو قال : سمعت علياً يقول : قال النبي ﷺ : «يخرج رجل من وراء النهر، يقال له : الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له : منصور، يوطئ أو يمكّن لآل محمد، كما مكنت قريش لرسوله الله ﷺ، وجب على كل مؤمن نصره، أو قال اجابته».

تحدد هذه الاخبار الموقع الجغرافي لانطلاق الثورة الموطنية للمهدي في بلاد المشرق، وفي بعضها في بلاد فارس، او من بلاد ما وراء النهر وهي أيضاً جزء من بلاد خراسان، على الخارطة القديمة، وبعد حمل العام على الخاص تكون النتيجة إنطلاق الثورة من بلاد ايران.

وجوب نصره الراية الموطنية

٦ - عن عبدالله بن مسعود قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذا اقبل فتية من بني هاشم، فلما رأهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه، وتغير لونه، قال : فقلت له : مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟! قال : إنا أهل بيت أختار لنا الله الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً

٤ - خريدة العجائب ص ٢٥٧.

٥ - سنن ابي داود ج ٤ ح ٤٢٩٠ مصابيح السنة ج ٣ ص ٤٩٤، الملاحم والفتن لابن المنادي ص ٤٢، جامع الاصول ج ١٢ ح ٨٨٥١.

٦ - سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٠٨٢، مستدرک الصحيحين ج ٤ ص ٤٦٤، الفتن، لابن حماد ص ٨٤، نهاية البداية ج ١ ص ٤١، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٠، كنز العمال ج ١٤ ح ٢٨٦٧٧، مصنف ابن ابي شيبة ج ١٥ ح ١٩٥٧٣، ذخائر العقبى، ص ١٧، المنار المنيف ص ١٤٩ ح ٣٤١، الدر المنثور ج ٦ ص ٥٨، الكنى والاسماء ج ٢ ص ٢٦، ملاحم ابن المنادي ص ٤٤.

حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها الى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج».

٧- عن الحسن ان رسول الله ﷺ: «ذكر بلاءٌ يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتوا رجلاً اسمه كأسمي فيولونه أمرهم فيؤيده الله وينصره».

٨- عن ابن الطفيل ان علياً قال له: «يا عامر اذا سمعت الرايات السود مقبلة من خراسان، فكننت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل، وذلك الصندوق حتى تقتل تحتها، فان لم تستطع فتدحرج حتى تقتل تحتها».

٩- عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا رأيتم الرايات السود اقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبواً على الثلج فان فيها خليفة الله المهدي».

راجع مناقشتنا لكلمة: (فيها خليفة الله المهدي) في حديث رقم ٨١ فقد أثبتنا عدم صحة ورود هذه الكلمة في هذا الحديث.

١٠- عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الرايات السود من قبل المشرق، كأن قلوبهم زير الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً

٧- الفتن، لابي حماد ص ٨٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨، عقد الدرر ص ١٣٠، البرهان باب ٧ ح ١٠.

٨- كنز العمال ج ١١ ح ٣١٥١٤، جمع الجوامع ج ٢ ص ٢١٢.

٩- مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٠٢، الفتن، لابن حماد ص ٨٤، مسند الامام احمد ج ٥ ص ٢٧٧، دلائل النبوة ج ٦ ص ٥١٦، الجامع الصغير ج ١ ح ٤٦٨، كنز العمال ج ١٤ ح ٢٨١٥١، سنن الدانني ص ٩٣، مشكاة المصابيح ج ٣ ح ٤٦١.

١٠- الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٤، عقد الدرر ص ١٢٩، البرهان (باب ٧ ح ٥).

على التلح» .

* - عن هلال بن عمرو قال : سمعت علياً يقول : قال النبي ﷺ : « يخرج رجل من وراء النهر... يوطيء او يمكن لآل محمد، كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره، أو قال اجابته»^(١) .
وتوجد احاديث كثيرة نصت على وجوب نصره الوطنين ستأتي في الموضوعات القادمة ان شاء الله تعالى .

المواطنون مؤيدون بنصر الله وكلمته

١١ - عن معاذ قال : بينما أنا وابو عبيدة الجراح ، وسلمان جلوس ، ننتظر رسول الله ﷺ اذ خرج علينا في الهجير مرعوباً متغير اللون فذكر فتنة السفياي ، ثم قال : « ... وانما ذلك حمل امرأة ثم يقبل الرجل التميمي شعيب بن صالح ، سقى الله بلاد شعيب بالراية السوداء المهدية بنصر الله وكلمته ، حتى يبايع المهدي بين الركن والمقام» .

١٢ - عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ في فتنة السفياي : « ... فيبعث جيشاً الى العراق ، فيقتل بالزوراء مائة الف ، وينحدرون الى الكوفة ، فينهبونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من تميم يقال له : شعيب بن صالح ، فيستنقذ ما في ايديهم من سبي أهل كوفان ويقتلهم ... ثم أن الله عزوجل ينزل النصر على أهل المشرق» .

(١) راجع : حديث رقم ٥ .

١١ - الملاحم والفتن ، لابن طاووس ص ١٣٧ ، نقلاً عن كتاب فتن السليبي .

١٢ - سنن الدائي ص ١٠٤ ، التهذيب لابن عساكر ج ١ ص ١٩٦ ، مجمع الزوائد ج ٨ ص ٦ ،

رواه ناقصاً ، جامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١٧ .

١٣ - عن تبيع قال : «تخرج الرايات السود من خراسان معها قوم ضعفاء ،
يجتمعون فيؤيدهم الله بنصره» .

١٤ - عن علي عليه السلام ، في حديث طويل ذكر فيه معارك الرايات السود مع
السيفاني فقال : « ... فبيعت عليه - اي على السفياي - فتى من قبل المشرق
يدعو الى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم أصحاب الرايات السود ، المستضعفون ،
فيعزهم الله وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم احد الا هزموه ... شعارهم أمت ،
أمت ، اكثر قتلاهم فيما يلي المشرق» .

١٥ - عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «اذا وقعت الملاحم بعث
الله بعثاً من الموالي هم اكرم [من] العرب فرساً واجود سلاحاً يؤيد الله
بهم الدين» .

١٦ - عن ابي جعفر قال : « ... تقبل الرايات السود من خراسان ، على
جمع الناس شاب من بني هاشم ، بكفه اليمنى خال ، يسهل الله أمره وطريقه» .
* - عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله : «ذكر بلاء يلقاه أهل بيته ، حتى يبعث
الله ، راية في المشرق سوداء من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله ، حتى
يأتوا رجلاً ، اسمه كأسمي فيولونه أمرهم فيؤيده الله وينصره»^(١) .

١٣ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٤ .

١٤ - كنز العمال ج ١٤ ح ٣٩٦٨٠ .

١٥ - سنن ابن ماجة ج ٢ ح ٤٠٩ ، مستدرک الصحيحين ج ٤ ص ٥٤٨ ، كنز العمال ج ١١
ح ٣١٧٦٦ ، عقد الدر ص ١٢٢ ، الفتن بن حماد ص ١٣٢ ، جمع الجوامع ج ١ ص ٩٤ .
تنبيهه : كل ما تذكره من كلمات بين المعرفتين من هذه الاحاديث ، فهي من عندنا ،
حيث لا يستقيم معنى الحديث بدونها في نظرنا .

١٦ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٦ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩ ، البرهان ص ١٢٠ .

(١) راجع : حديث رقم ٧ .

الجنان تستقبل شهداء المواطنين

١٧ - عن ابي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «إنه سيكون في آخر الزمان قوم ينزلون مكاناً يقال له : قزوين يكتب لهم فيه قتال في سبيل الله» .

١٨ - عن جابر عن النبي ﷺ قال : «ما من قوم احب الى الله تعالى ، من قوم حملوا القرآن ، وركنوا الى التجارة التي ذكرها الله : ﴿تنجيكم من عذاب اليم﴾^(١) . قرأوا القرآن وشهروا السيوف ، يسكنون بلدة يقال لها : قزوين ، يأتون يوم القيامة ، واوداجهم تقطر دماً ، يحبهم الله ويحبونه ، تفتح لهم ثمانية ابواب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا من ايها شئتم» .

١٩ - عن انس عن النبي ﷺ قال : «بابان مفتوحان في الدنيا للجنة : عبادان وقزوين» .

٢٠ - عن علي عليه السلام قال في خطبة مطولة : «... نعم السكن حينئذ عبادان ، النائم فيها كالمجاهد في سبيل الله ، وهي أول بقعة أمنت بعيسى عليه السلام وليأتين على الناس زمان يقول احدهم : يا ليتني كنت تبنة في لبنة ، من بيوت عبادان» .

٢١ - عن علي عليه السلام قال : «أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا : الاسكندرية وعسقلان ، وقزوين ، وعبادان ، وفضل جدّة علي هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت» .

١٧ - كنز العمال ج ١٢ ح ٣٥٠٩١ .

١٨ - كنز العمال ، ج ١٢ ح ٣٥١٠٥ .

(١) الصف : آية رقم ١٠ .

١٩ - كنز العمال ، ج ١٢ ح ٣٥١١٤ .

٢٠ - كنز العمال ، ج ١٤ ح ٣٩٧٠٩ .

٢١ - كنز العمال : ج ١٢ ح ٣٥١١٣ .

(الاسكندرية)^(١) مدينة مصرية، وميناء يقع على البحر المتوسط، و(عسقلان)^(٢) مدينة على ساحل فلسطين، وكانت موقعاً عسكرياً في الحروب الصليبية، و(قزوين)^(٣) مدينة إيرانية تقع بين العاصمة طهران، وجبال الطالقان، و(عبادان) من مدن خوزستان، تقع في غربي إيران على الخليج، وهي اليوم مركز تكرير النفط الإيراني ومرفاً تصديره. وأما (جدة)^(٤) فهي مدينة حجازية، تقع على البحر الأحمر على مقربة من الحدود اليمنية، تدعى لجمالها (عروس البحر) وفيها منازل ممثلي البعثات الدبلوماسية للدول الاجنبية لدى الحكومة السعودية.

وهذه المدن المذكورة في هذه الاحاديث هي المرشحة، لخوض معارك التمهيد للثورة المهدوية، فيفتح الله تعالى لشهدائها ابواب الجنان في آخر الزمان، ولا تُعرف منزلة المجاهدين والشهداء فيها عند الله تعالى، إلا بعد ظهور المهدي وعندما يخبر الامة عن ذلك، وهو معنى قول اميرالمؤمنين عليه السلام: «ولياتين على الناس زمان يقول احدهم: يا ليتني كنت تبنة في لبنة من بيوت عبادان».

وأما مدينة جدة فانما يكون لها هذا الفضل الأكبر على سائر هذه المدن لانها سوف تكون معقلاً لجيش اليماني ومنطلقاً لتحرك قواته، وانصاره نحو بلاد الحجاز لتطهيرها من العملاء والاجانب، تمهيداً للثورة المهدوية.

المواطنون وعودة الدين الى قيادة الحياة

٢٢- عن علي عليه السلام قال: «وان لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله اذا

(١) (٢) (٣) (٤) راجع هذه المدن في كتاب معجم البلدان وفي كتاب المنجد قسم الاعلام.

٢٢- شرح نهج البلاغة ج٧ ص٤٨، وفي الاصل قال: (دعاؤه حق)، وهو تصحيف.

شاء ، دعاة حق يقومون بأذن الله فيدعون الى دين الله» .

٢٣ - عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على ابواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى ابواب الطائفتان وما حولها ، ظاهرين على الحق ، لا يبألون من خذلهم ، ولا من نصرهم حتى يخرج الله كثره من الطائفتان ، فيحيي بهم دينه كما اميت من قبل» .

* - عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي ... يؤيد الله بهم الدين»^(١) .

٢٤ - عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « ... قيل يا رسول الله! ما قزوين ؟ قال قوم يكونون بأخر [الزمان] يخرجون من الدنيا زهداً فيها ، يرد الله بهم قوماً من الكفر الى الايمان» .

٢٥ - عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « صلاة الله على أهل قزوين فان الله ينظر اليهم في الدنيا فيرحم بهم أهل الارض» .

٢٦ - وفي خطبة للامام علي عليه السلام في الملاحم والفتن قال : « ... وليكونن من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله ، قوي يحكم بحكم الله ، وذلك بعد زمان مكلح مفضح ، يشتد فيه البلاء ، وينقطع فيه الرجاء ويقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعث الله عزوجل رجلاً من شاطي دجلة لأمر حزبه ، يحمله الحقد على سفك الدماء ، قد كان في ستر وغطاء ، فيقتل قوماً وهو عليهم غضبان ، شديد الحقد حران ، في

٢٣ - كنز العمال ج ١٢ ح ٣٥٠٥٤ ، عقد الدرر ص ١٢٢ .

(١) راجع : حديث رقم ١٥ .

٢٤ - كنز العمال ، ج ١٤ ح ٣٨٨٢٠ .

٢٥ - كنز العمال ، ج ١٢ ح ٣٥١٠١ .

٢٦ - كنز العمال ، ج ١٤ ح ٣٩٦٧٩ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧٦ ، الملاحم والفتن لابن المناوي ص ٦٤ .

سُنَّة بخت نصر [خ ل يحتضر] يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً، مصيرة [مصبرة] سوط عذاب وسيف دمار».

والشاهد هنا هو قوله: «وليكونن من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله، قوي يحكم بحكم الله... فعند ذلك يبعث الله عزوجل رجلاً من شاطئ دجلة لأمر حزه، يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر وغطاء»^(١).

ولاء المواطنين لأهل البيت

٢٧- عن عمار بن ياسر، قال: «... ويخرج أهل المغرب، فينحدرون إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك امارة السفياني، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد».

أهل المغرب هم أهل الرايات الصفر، وقبل خروج الرايات المغربية وراية السفياني تخرج الراية الموطنة للمهدي داعية لامر آل محمد ﷺ.

٢٨- عن عمار بن ياسر قال: «إن لأهل بيت نبيكم أمارات... ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيدعون له وينصرونه».

في الحديث المروي عن عمار بن ياسر في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي قال: «إن لدولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان إمارات...» وذكر باقي الحديث إلى أن قال: «ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح»^(٢).

(١) وسيأتي في الموضوعات القادمة من الفصل الثالث شرح وبيان معاني هذه الخطبة وعلاقتها بموضوع ثورة المواطنين للمهدي في الحديث عن المعركة الأولى من معارك المواطنين في عصر الظهور.

٢٧- سنن الداني ص ٧٨، عقد الدرر ص ٤٦.

٢٨- الفتن لابي حماد ص ٥٩ و ص ٨٢، كنز العمال ح ١١ ح ٣١٤٩٧.

(٢) كتاب الغيبة للطوسي، طبع مؤسسة المعارف الاسلامية قم المقدسة ص ٤٦ ح ٤٧٩.

وعلى كل حال أن هذا الخبر ينص على مجموعة من العلامات تسبق قيام دولة الامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، ومن هذه العلامات خروج أهل خراسان بالدعوة لآل محمد وبشعار النصر لمهدي آل محمد عليهم السلام بقيادة شعيب بن صالح التميمي .

* - عن علي عليه السلام قال : « ... فيبعث عليه فتى من قبل المشرق ، يدعو الى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم اصحاب الرايات السود المستضعون ، فيعزهم الله ، وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم احد الا هزموه ... »^(١) .

* - عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يخرج رجل من وراء النهر ... يوطيء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ... »^(٢) .

* - عن علي عليه السلام قال : « وان لآل محمد عليهم السلام بالطاقان لكنزاً سيظهره الله اذا شاء ، دعاة حق يقومون باذن الله فيدعون الى دين الله »^(٣) .

* - عن عبدالله بن مسعود قال : « اتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الينا مستبشراً ، يعرف السرور في وجهه ، فما سأناه عن شيء الا أخبرنا به ، ولا سكننا الا ابتدأنا ، حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين ، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه ، فقلنا : يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ؟! فقال : إنا أهل بيت ، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وانه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد ، حتى ترفع رايات سود من المشرق ، فيسألون الحق فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، ثم يسألونه فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون ، فمن ادركه منكم أو من اعقابكم ، فليأت امام أهل

(١) راجع : مصادره في حديث رقم ١٤ ، والضمير في (عليه) يعود للسفياي .

(٢) راجع : مصادره في حديث رقم ٥ .

(٣) راجع : مصادره في حديث رقم ٢٢ .

بيتي ولو حبواً على الثلج ، فانها رايات هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي
يواطيء اسمه اسمي ، واسم ابيه اسم ابي فيملك الارض ، فيملأها قسطاً وعدلاً
كما ملئت جوراً وظلماً»^(١) .

يعرف هذا الحديث عند المحدثين بـ (حديث الرايات) ، واكثر الرواة
ذكروه مختصراً واسقطوا منه جملة : فهم الحسن والحسين ، ولعل حديث
الحاكم أتم لفظاً من غيره ، ومع ذلك فقد تلوعب بالزيادة والنقيصة والتقديم
والتأخير فيه ، ومن الزيادات التي ادخلت فيه ولم تكن موجودة في طرقة
الآخرى قوله : اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي . والحديث مضطرب في الفاظه ،
لوقوع التقديم والتأخير فيه من قوله : «فيقاتلون ... إلى آخره» . ويمكن إعادة
ترتيب الفاظه لتصبح مستقيمة المعنى على هذا الشكل : «فيقاتلون فينصرون ،
فمن ادرك ذلك منكم أو من اعقابكم ، فليأتهم ولو حبواً على الثلج فانها رايات
هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت
ظلماً وجوراً»^(٢) .

والمقطع به ان الحذف والزيادة في حديث الرايات هي من رواية بني
العباس لأن عنوان بني هاشم عام ينطبق عليهم وعلى أهل البيت عليهم السلام ، لذلك
حذفوا جملة : (فهم الحسن والحسين) لأنها تخصص هذا الحديث بأهل البيت

(١) راجع : حديث رقم ٦ . وهذا اللفظ غير المذكور هناك بل هو لفظ الحاكم في مستدرک
الصحيحين ج ٤ ص ٤٦٤ .

(٢) هذه الالفاظ التي اعتمدنا عليها في إعادة ترتيب حديث الحاكم ليست من اختراعنا بل هي
مستخرجة من الفاظ حديث الرايات الموجودة عند بقية الحفاظ ، وان اردت التأكد من ذلك
راجع كتابنا : (الصحيح من احاديث المهدي عند أهل السنة) ، فاننا أرجعنا هذه الالفاظ الى
مصادرها ، بعد أن قمنا بدراسة علمية موسعة لهذا الحديث في اربعين صفحة ، وحققتنا
بمصادره واسانيد ومتونه والفاظه .

دون غيرهم من بني هاشم . و اضافوا له جملة : (يواطى اسمه اسمي واسم ابيه
أسم ابي) لتتطبق على مهديهم العباسي ، واسمه محمد وهو ابن عبدالله ثاني
خلفاء الدولة العباسية الملقب بابي جعفر المنصور الدوانيقي .

وهذه الزيادة في الواقع غير موجودة الأفي حديث الحاكم وإن
شئت راجع كتب الحفاظ الذين خرّجوه ، بما فيها كتاب (الفتن) للحافظ نعيم
بن حماد المروزي شيخ الامام البخاري ، فان كتابه اقدم كتاب في
موضوعه ، وليس لهذه الزيادة من اثر فيه . ولا توجد هذه الزيادة أيضاً في
مسند أحمد على سعة اطلاعه بالحديث وكثرة تعدد طرق احاديث المهدي في
مسنده .

تحرير الموطئين للقدس

٢٩ - عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «تخرج من خراسان
رايات سود ، فلا يردا شيء حتى تنصب بايلياء» .

٣٠ - عن كعب بن علقمة ، قال : «يخرج على لواء المهدي غلام حدث
السن ، خفيف اللحية ، اصفر ، لو قاتل الجبال لهداها حتى ينزل إيلياء» .

* - عن محمد بن الحنفية قال : «تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم
تخرج من خراسان اخرى سوداء ، قلاتسهم سود ، وثيابهم بيض على مقدمتهم
رجل يقال له : شعيب بن صالح من تميم ، يهزمون اصحاب السفيناني ، حتى ينزل
بيت المقدس يوطيء للمهدي سلطانه يمد اليه ثلاثمائة من الشام»^(١) .

٢٩ - سنن الترمذي ج ٤ ح ٢٢٦٩ ، القول المسدد في الذب عن مسند الامام احمد ص ٥٩ ح ١٣ ،
الفتن ، لابن حماد ص ٥٦ ، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٨٦٥٢ .

٣٠ - الفتن ، لابن حماد ص ١٠١ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨ ، البرهان باب ٢١٧ .

(١) راجع : مصادره في حديث رقم ٣ .

٣١ - عن علي عليه السلام قال: «يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل به، ويتوجه إلى بيت المقدس، فلا يبلغه حتى يموت».

* - عن شريح، وراشد، وضمرة قالوا: «بعث السفيناني خيله وجنوده فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان... ويخرج شعيب بن صالح متخفياً إلى بيت المقدس، يوطيء للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام»^(١).

٣٢ - عن أبي هريرة قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمه العباس، وإلى علي بن أبي طالب، فأتياه في منزل أم سلمة فقال لهما فيما قال: فإذا غيرت سنتي، يخرج ناصرهم من أرض يقال لها: خراسان برأيات سود فلا يلقاهم احد، الا هزموه، وغلبوا على ما في أيديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس».

* - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على ابواب بيت المقدس وما حولها، وعلى ابواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يباليون من خذلهم، ولا من نصرهم، حتى يخرج الله كنزهم من الطالقان، فيحيي بهم دينه كما أميت من قبل»^(٢).

٣٣ - عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل

٣١ - الفتن، لابن حماد ص ٨٨، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٩٦٦٩.

(١) راجع: حديث رقم ٢.

٣٢ - ابراز الوهم المكنون: ص ١٠١ وأيضاً ص ١٤٠ ح ٥٩، رواه عن أبي الشيخ في كتاب الفتن.

(٢) راجع: حديث رقم ٢٣.

٣٣ - سنن المدائني ص ١٤٢، صحيح مسلم ج ١ ح ٢٤٧ من كتاب الايمان، لكنه لم يذكر اسم المهدي، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٨٣، عقد الدرر ص ٢٣٠.

على المهدي فيقول: تقدم يا نبي الله فصل بنا، فيقول: هذه الامة امرء بعضهم على بعض».

٣٤- عن مرة البهزي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة [من أمتي] على الحق ظاهرين على من ناوهم، وهم كالاناء بين الاكلة، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك، قلنا يا رسول الله! وأين هم؟ قال: باكناف بيت المقدس».

٣٥ - عن ابي هريرة عن النبي ﷺ: قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على ابواب دمشق وما حوله وعلى ابواب بيت المقدس، وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم: ظاهرين على الحق الى أن تقوم الساعة».

٣٦ - عن ابي امامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم، لا يضرهم من جابههم، إلا ما اصابهم من لواء، حتى يأتي امر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله! وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، واكناف بيت المقدس».

٣٧ - عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق قائمين بأمر الله، لا يضرهم خلاف من خالفهم، كلما ذهب حزب نشأ آخرون حتى تقوم الساعة».

ان معارك ثورة الموطنين للمهدي عليه السلام حول بيت المقدس بهدف تحريرها من اليهود المغتصبين، من العلامات المحتم وقوعها قبل ظهور المهدي المنتظر عليه السلام بل هي وعد الهي كما جاء في سورة الاسراء في قوله تعالى: ﴿وكان

٣٤ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨٨، كنز العمال ج ٢ ح ٣٥٠٥٣.

٣٥ - مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٠، رواه ابو يعلى ورجاله ثقات.

٣٦ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨٨، رواه عبدالله وجادة عن خط ابيه، والطبراني ورجاله ثقات.

٣٧ - الفتن، لابن حماد، ص ١٦٨.

تعالى: ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾^(١).

معركة الموطنين مع المغربيين

٣٨- عن عبدالله بن عمر قال: «إذا اقبلت الرايات السود من المشرق، والرايات الصفرة من المغرب، حتى يلتقوا في سرة الشام - يعني دمشق - فهناك البلاء هنالك البلاء».

٣٩- عن كعب قال: «إذا التقت الرايات السود والرايات الصفرة في سرة الشام، فبطن الأرض خير من ظهرها».

٤٠- عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إذا اقبلت فتنة من المشرق وفتنة من المغرب فالتقوا ببطن الشام فبطن الارض يومئذ خير من ظهرها».

٤١- عن اوطاة قال: «إذا اصطكت الرايات الصفرة والسود في سرة الشام، فالويل لساكنها من الجيش المهزوم، ثم الويل لها من الجيش الهازم، ويل لهم من المشوّه الملعون».

الجيش المهزوم هو جيش الرايات السود كما سيأتي في الاخبار القادمة، والجيش الهازم هو جيش السفيناني، وهو المشوّه الملعون.

٤٢- عن ابي قبيل قال: «ان صاحب المغرب، وبني مروان وقضاة

(١) الاسراء: الآية ٥. ولما سئل الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية قال ثلاث مرات: «والله هم

أهل قم» البحار ج ٥٧، ص ٢١٦ ح ٤٠.

٣٨- الفتن، لابن حماد، ص ٧٢، كنز العمال ج ١١ ح ٣١٤٢٢.

٣٩- الفتن، لابن حماد ص ٧٣.

٤٠- الفتن، لابن حماد: ص ٧٣.

٤١- الفتن، لابن حماد، ص ٧٣.

٤٢- الفتن، لابن حماد ص ٧٠.

تجتمع على الرايات السود في بطن الشام» .

صاحب المغرب هو قائد الرايات الصفراء، وبنو مروان هم حكام الشام قبل السفيناني، وقضاة هم حلفاء المروانيين والسفينانيين ضد الرايات السود الموطنية للمهدي عليه السلام .

وتقع هذه المعركة داخل بلاد الشام، بعد معارك اصحاب الرايات السود مع اليهود، وبعد دخولهم الى بيت المقدس، اي المسجد الاقصى، فتكون قوات جيوش بلاد المغرب العربي - المعبر عنها في هذه الاحاديث بالرايات الصفراء - قوات تدخل سريع لحماية الكيان السياسي لليهود، من خلال محاصرة قوات الموطنين للمهدي، في بلاد الشام. وتوجيه الضربة الموجهة لهم، والضغط عليهم لسحب قواتهم من فلسطين، وعلى اعقاب هذه المعركة يخرج السفيناني فينتصر على الجميع .

اختلاف الموطنين فيما بينهم

٤٣ - عن علي عليه السلام قال : «اذا اختلفت الرايات السود، خسف بقرية، من قرى إزم ويسقط جانب مسجدها الغربي ثم يخرج بالشام ثلاث رايات، الاصب، والابقع، والسفيناني، يخرج الاصب في الشام، والابقع من مصر، فيظهر السفيناني عليهم» .

٤٤ - عن علي عليه السلام قال : «اذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم، كان خسف قرية بإزم يقال لها حرستا وخروج الرايات الثلاث بالشام عندها» .

٤٣ - الفتن، لابن حماد ص ٧٧، كنز العمال ج ١١ ح ٣١٥٣٦، ذكر بتفاوت يسير .

٤٤ - الفتن، لابن حماد ص ٥٧، كنز العمال ج ١١ ح ٣١٥٣٦ .

إرم ذات العماد هي دمشق^(١). وحراستا: قرية من قرى دمشق على طريق حمص^(٢). والرايات الثلاث هي راية المرواني، وراية أهل المغرب، وراية السفياي.

٤٥- عن الزهري قال: «إذا اختلف [اصحاب] الرايات السود فيما بينهم، أتاهم [اصحاب] الرايات الصفر، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً، ثم تكون الديرة على أهل المشرق، حتى ينزلوا الرملة^(٣)، فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء فيغضب أهل المغرب، فيقولون أنا جئنا لننصركم، ثم تفعلون ما تفعلون والله لتخلين بينكم، وبين أهل المشرق، فينهبونكم - لقلّة أهل الشام يومئذٍ في اعينهم - ثم يخرج السفياي، ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل المشرق».

السفياي يخرج المواطنين من فلسطين

٤٦ - عن الزهري قال: «يبايع السفياي أهل الشام، فيقاتل أهل المشرق، فيهزمهم من فلسطين».

٤٧ - عن الزهري قال: «يلتقي اصحاب الرايات السود اصحاب الرايات الصفر، عند القنطرة، فيقتلون، حتى يأتوا فلسطين فيخرج على أهل المشرق السفياي».

(١) راجع: معجم البلدان ج ١ ص ١٥٥.

(٢) راجع: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤١.

٤٥ - الفتن، لابن حماد ص ٧١-٧٢.

(٣) الرملة: مدينة فلسطين تقع شمال شرقي بيت المقدس.

٤٦ - الفتن، لابن حماد ص ٧٩.

٤٧ - الفتن، لابن حماد ص ٧١.

٤٨ - عن كعب قال: «يخرج بفلسطين رجل يظهر على من ناواه، على يديه هلاك أهل المشرق، يملك حمل امرأة».

٤٩ - عن أرتاة بن المنذر قال: «يجيء البربر^(١) حتى ينزلوا بين فلسطين والاردن، فتسير اليهم جموع المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية^(٢)، ويخرج رجل من ولد صخر، في ضعف فيلقتي جيوش المغرب على ثنية بيسان فيردعهم عنها. ثم يعطف الى جموع المشرق والشام، فيدال عليهم ما بين الجابية والخربة حتى تخوض الخيل في الدماء».

بيسان: مدينة بالاردن بين حوران وفلسطين، كما في معجم البلدان.
الجابية: من قرى دمشق من ناحية الجولان بالقرب من فلسطين ايضاً.
٥٠ - عن محمد بن الحنفية قال: «يدخل اوائل أهل المغرب مسجد دمشق بينما ينظرون في اعاجيبه، اذا رجفت الارض فانقعر غربي مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها: حرستا، ثم يخرج عند ذلك السفيناني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم الى العراق».

٥١ - عن أرتاة قال: «السفيناني الذي يموت [هو] الذي يقاتل أول شيء الرايات السود والرايات الصفرة في سرّة الشام، مخرجه من المنذرون شرقي بيسان على جمل أحمر، عليه تاج، يهزم الجماعة مرتين، ثم يهلك، وهو

٤٨ - الفتن، لابن حماد ص ٧٧.

٤٩ - الفتن، لابن حماد ص ٧٣، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٤٩.

(١) البربر: قبائل كثيرة متحصنة في جبال بلاد المغرب العربي راجع معجم البلدان ج ١ ص ٣٦٨. وهم أهل المغرب أصحاب الرايات الصفرة في أحاديث الملاحم.

(٢) الجابية: قرية من قرى دمشق من ناحية الجولان راجع معجم البلدان ج ٢ ص ٩١.

٥٠ - الفتن، لابن حماد ص ٧١، عقد الدرر ص ٥٣.

٥١ - الفتن، لابن حماد ص ٧٤.

يقبل الجزية ، ويسبي الذرية ويقر بطون الحبالى» .

المندرون لم اجد له ذكراً في (معجم البلدان) . لكن الرواية حددته في شرقي بيسان ، وهي مدينة في الاردن ، ولعل المندرون تصحيف المدارة وهو اسم لواد ذكره (ياقوت) في معجمه ولم يحدد مكانه ، ولعله الوادي اليابس ، المذكور في حديث (٥٤) ومنه يخرج السفيناني .

ومعنى قوله : «يهزم الجماعة مرتين» ، اشارة الى هزيمة السفيناني للموطئين على مرحلتين ، الأولى يخرجهم فيها من فلسطين وبلاد الشام ، والثانية يخرجهم فيها من الاراضي العراقية ويرحلهم الى منطقة اصطخره من بلاد فارس .

وعلى كل حال ، ان هزيمة للموطئين في فلسطين من قبل السفيناني امر واضح وصريح في هذه الاحاديث ، الدالة - ايضاً - على تمكن الموطئين من تحرير فلسطين قبل ظهور السفيناني ، وهذا هو مقتضى الجمع بين هذه الأخبار والأخبار الاخرى التي ذكرت (تحرير الموطئين للقدس) وقد مرت علينا سابقاً .

ومن الجدير بالذكر ، اننا لا نعرف الاسباب الموضوعية ، أو السياسية وراء انكسار جيوش الموطئين وهزيمتهم امام جيش السفيناني في فلسطين ولعل اختلافهم السياسي المشار اليه في الاحاديث السابقة ، هو السبب المباشر لضعفهم وهزيمتهم امام اعدائهم بالاضافة الى تحالف بعض القوات العربية المغربية والمروانية والسفينية ضدهم ، ولا مانع من اجتماع عوامل عديدة لضعفهم وهزيمتهم رغم ايمانهم وشجاعتهم وقوة عتادهم وسلاحهم . بل الاختلاف وحده كاف لهزيمة المؤمنين في القتال مع اعدائهم ، كما نص القرآن عليه .

السفياني يواصل معاركه ضد المواطنين وانصارهم

٥٢ - عن ابن مسعود قال: «إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة واذربيجان والروم بالعمق، واطرافها، قاتل الروم رجل من قيس من أهل قنسرين، والسفياني بالعراق، يقاتل أهل المشرق، وقد انشغل كل بناحية حذو الاخرى، فاذا قاتلهم اربعين يوماً، ولم ياتيه مدد، صالح الروم، على أن لا يؤدي احد الفريقين الى صاحبه شيئاً».

٥٣ - عن علي عليه السلام قال: «يظهر السفياني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا، حتى تشبع طير السماء أو سباع الأرض من جيفهم، ثم يفتق عليهم فتق من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا ارض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان فيقتلون شيعة آل محمد بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي».

٥٤ - عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق وأهل المغرب: «... فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس من فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشا الى المشرق وجيشاً الى المدينة».

٥٥ - عن ابي قبيل قال: «يبعث السفياني جيشاً الى المدينة، فيامر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم حتى الحبالي، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي

٥٢ - الفتن، لابن حماد ص ٥٩، كنز العمال ج ١١ ص ٣١٤٣٩.

٥٣ - الفتن، لابن حماد ص ٨٢، مستدرک الصحيحين ج ٤ ص ٥٠١، كنز العمال ج ١١ ح ٣١٥٣٧، عقد الدرر ص ٨٧.

٥٤ - تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٧٢، تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣١٤، التذكرة ج ٢ ص ٦٠٩.

٥٥ - الفتن، لابن حماد ص ٨٩، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧١، عقد الدرر ص ٥٦، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٥٧، وفيه اختلاف يسير.

يخرج على اصحابه من المشرق».

يقول: -اي السفيناني- ما هذا البلاء كله وقتل اصحابي الا من قبلهم، فيأمر بقتلهم، فيقتلون حتى لا يعرف منهم بالمدينة احد، ويتفرقوا منها هارين الى البوادي والجبال، والى مكة حتى نساؤهم يضع جيشه فيهم السيف اياماً، ثم يكف عنهم فلا يظهر منهم الا خانف حتى يظهر امر المهدي بمكة [فاذا ظهر] اجتمع كل من شذ منهم اليه بمكة».

٥٦- عن ابي قبيل قال: «يملك رجل من بني هاشم، فيقتل بني امية فلا يبق منهم الا اليسير، لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني امية فيقتل بكل رجل رجلين، حتى لا يبقى الا النساء، ثم يخرج المهدي».

تعكس هذه الاحاديث صورة مجملّة عن ثورة السفيناني، وطريقته في القضاء على اعدائه داخل بلاد الشام وخارجها، وفي جميع هذه الاحاديث يظهر ان همه الاكبر هو تحجيم تحرك المجاهدين الموطئين للمهدي من اصحاب الرايات السود بعد ان يخرجهم من فلسطين.

انتصار الموطئين على السفيناني

٥٧- عن علي عليه السلام قال: «اذا خرجت خيل السفيناني الى الكوفة بعثت في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي الهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، واصحاب السفيناني بباب اصطخره، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفيناني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه».

٥٦ - الفتن، لابن حماد ص ٧٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧٥، عقد الدرر ص ٥٦.
٥٧ - الفتن، لابن حماد ص ٨٦، كنز العمال ج ١٤ ح ٢٩٦٦٧، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩.

٥٨ - عن علي عليه السلام قال: «يلتقي السفيناني والرايات السود - فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح - بباب اصطخره فتكون بينهم ملحمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفيناني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه».

٥٩ - عن علي عليه السلام قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفيناني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعى شعيب بن صالح، فيهزم اصحابه».

٦٠ - عن علي عليه السلام قال: «اذا هزمت الرايات السود - التي فيها شعيب بن صالح - خيل السفيناني تمنى الناس المهدي، فيطلبونه، فيخرج من مكة ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي ركعتين بعد أن يبأس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء، فاذا فرغ من صلاته انصرف وقال: ايها الناس الح البلاء بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وبأهل بيته خاصة قهرنا وبغي علينا».

الظاهر من هذه الاحاديث، ان بداية انكسار القوات السفينانية في العالم الاسلامي تكون على يد اصحاب الرايات السود الموطنه للمهدي عليه السلام وبقيادة شعيب بن صالح التميمي، وعلى اعقاب هذه المعركة المباركة يظهر المهدي المنتظر عليه السلام مباشرة.

٥٨ - الفتن، لابن حماد ص ٨٨.

٥٩ - الفتن، لابن حماد ص ٨٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٩٦٦٦، الفتاوي الحديثية ص ٤٠.

٦٠ - كنز العمال، ج ١٤ ح ٣٩٦٧٣، الفتاوي الحديثية ص ٤١، البرهان باب ٦ ح ١١، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧٧، الملاحم والفتن، لابن طاووس ص ٦٣.

مناصرة المواطنين لإخوانهم العراقيين

٦١ - عن ابن مسعود قال: «... ثم ان عروة بن محمد السفيناني بيعت جيشاً الى الكوفة فيه خمسة عشر الف فارس، فيتغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والاطفال، ويقتل الرجال، ويأخذ ما يجد فيها من الاموال، ثم يرجع، فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم امير من امراء بني تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في ايديهم من السبي ويردهم الى الكوفة».

٦٢ - عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «اذا عبر السفيناني الفرات ... يمحو الله الايمان من قلبه، فيقتل بها الى نهر يقال له الدجيل سبعين الفاً ... ثم ياتيهم المدد من النصر حتى يستنقذوا ما مع السفيناني من الذراري والنساء من بغداد والكوفة».

* - عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «... فيبعث - يعني السفيناني - جيشاً الى العراق، فيقتل بالزوراء مائة الف ويخرجون الى الكوفة، فينهبونها، فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في ايديهم من سبي أهل الكوفة، ويقتلهم ... ثم ان الله عزوجل ينزل النصر على أهل المشرق»^(١).

٦٣ - عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا خرجت السودان تطلب العرب فينكشفون حتى يلحقوا بطن الأرض، أو قال بطن الاردن، فبينما هم

٦١ - التذكرة ص ٦١٠.

٦٢ - الفتن، لابن حماد ص ٨٣.

(١) راجع: مصادره في حديث رقم ١٢.

٦٣ - التذكرة ج ٢ ص ٦١٢، عقد الدرر ص ٨١ - ٨٤، سنن الداني ص ١٠٤، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٨٢، البرهان الباب الرابع، حديث ٣٦، الفتاوي الحديثية ص ٣٧. هذا الحديث ربما مصحف من قوله: «اذا خرجت الرايات السود تطلب العرب».

كذلك، اذ خرج السفيناني بستين وثلاثمائة راكب، حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً الى العراق، فيقتل بالزوراء مائة الف، ويخرجون الى الكوفة فينهونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق يقودها رجل من تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم».

٦٤- عن جابر قال: قال ابو جعفر يعني الامام محمد الباقر عليه السلام: «يا جابر الزم الارض ولا تحرك يداً ولا رجلاً، حتى ترى علامات اذكرها لك... ويبعث السفيناني جيشاً الى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل العراق قتلاً وصلباً وسيباً، فبينما هم كذلك اذ اقبلت رايات من ناحية خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً وفيهم نفر من اصحاب المهدي».

بيعة المواطنين للامام المهدي عليه السلام

٦٥ - عن محمد بن علي قال: «تنزل الرايات السود - التي تخرج من خراسان - الكوفة، فاذا ظهر المهدي بعثت اليه بالبيعة».

٦٦ - عن ارساة قال: «يدخل السفيناني الكوفة فيسيبها ثلاثة ايام ويقتل من اهلها ستين ألفاً ويظهر بخراسان قوم يدعون الى المهدي وتبعث الرايات السود بالبيعة الى المهدي».

٦٤ - عقد الدرر ص ٨٧. وقد روي هذا الحديث بسند موثق من طرق أهل البيت عليهم السلام، راجع

البحار ج ٥٢ ص ٢٢٧ ح ١٠٥.

٦٥ - الفتن، لابن حماد ص ٨٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩، عقد الدرر ص ١٢٩، البرهان،

الباب السابع حديث ١٢، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٥٥.

٦٦ - الفتن، لابن حماد ص ٨٤، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٥١، الحاوي للفتاوي ج ٢

ص ٦٧، البرهان باب ٤ حديث ٢٢.

٦٧ - عن جابر عن ابي جعفر (محمد بن علي) قال: «ثم يظهر المهدي بمكة بعد العشاء، ومعه راية رسول الله وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان يفتح الله للمهدي الحجاز ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم، وتنزل الرايات السود الكوفة، فتبعث بالبيعة الى المهدي، فيبث المهدي جنوده في الآفاق ويميت الجور واهله، وتستقيم له البلدان، ويفتح الله على يديه القسطنطينية».

* - عن الحسن ان رسول الله ﷺ: «ذكر بلاء يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سواد، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي فيولوه أمرهم فيؤيده الله وينصره»^(١).

٦٨ - عن محمد بن الحنفية قال: «بين خروج الراية السوداء من خراسان، وشعيب بن صالح، وخروج المهدي وبين أن يسلم الامر للمهدي اثنان وسبعون شهراً».

٦٩ - عن سعيد بن المسيب قال: «قال رسول الله ﷺ: تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم يمكنون ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صفار تقتل رجلاً من ولد ابي سفيان واصحابه من قبل المشرق يؤدون الطاعة الى المهدي».

٦٧ - الفتن، لابن حماد ص ٩٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧١، الملاحم والفتن، لابن طاووس ص ٦٤.

(١) راجع: مصادره في حديث رقم ٧.

٦٨ - الفتن، لابن حماد ص ٧٤، الملاحم والفتن، لابن طاووس ص ٤٩، الا انه قال: «اثنان وسبعون يوماً».

٦٩ - الفتن، لابن حماد ص ٨٥، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩، الملاحم والفتن، لابن طاووس ص ٥٥، وفيه اختلاف يسير، الاشاعة ص ١١٤، عقد الدرر ص ١٢٦، البرهان الباب السابع حديث ١١، كنز العمال ج ١١، ح ٣١٠٣٧.

٧٠ - عن كعب قال : «إذا ملك رجل الشام ، واخر مصر فاقتل الشامي والمصري ، وسبا أهل الشام ، قبائل من مصر ، واقبل رجل من المشرق ، برايات سود صفار قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدي الطاعة الى المهدي» .

٧١ - عن جراح قال : «ان السفيناني يدخل الكوفة فيسبها ثلاثة أيام ويقتل من اهلها ستين ألفاً ويقيم فيها ثمانى عشرة ليلة يقسم اموالها . ثم ذكر تمام الحديث الى أن تبعث الرايات السود بالبيعة للمهدي» .

٧٢ - عن ابي قبيل ، قال : «يكون بافريقية أمير اثنتي عشرة سنة ، ويكون بعده فتنة ، ثم يملك رجل أسمر يلموها عدلاً ، ثم يسير الى المهدي فيؤدي اليه الطاعة ويقاتل عنه» .

٧٣ - عن علي - في حديث طويل قال : «... ويحاً للطائفتان فان الله عزوجل بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته ، وهم انصار المهدي في آخر الزمان» .

* - عن عمار بن ياسر قال : «... وتقبل خيل السفيناني كالليل والليل ، فلا تمر بشيء الا اهلكته ، وهدمته حتى يدخلون الكوفة ، فيقتلون شيعة آل محمد ، ثم يطلبون أهل خراسان في كل وجه ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ، فيدعون اليه وينصرونه»^(١) .

٧٠ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٥ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨ ، الملاحم والفتن ، لابن طاووس ص ٥٤ ، الفتاوي الحديثية ص ٤٣ .

٧١ - الملاحم والفتن ، لابن طاووس ص ٥١ - ٥٢ ، نقلاً عن الفتن ، لنعيم بن حماد .

٧٢ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٥ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨ ، البرهان للمتمي الهندي ص ٧ ح ٩ ، شرح النظر الشهدي ص ٦٥ .

٧٣ - الفتوح ج ٢ ص ٧٨ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٨٢ ، كنز العمال ج ١٤ ح ٢٩٦٧٧ ، ينابيع المودة ص ١١٠ ، الا أنه قال : «ينبغي للطائفتان ...» البيان ص ١٠٦ ، عقد الدرر ص ١٢٢ .

(١) ذكرنا مصادره في حديث رقم ٢٨ .

٧٤- عن علي عليه السلام في خطبة مطوّلة حول ولده المهدي عليه السلام قال : « ... ويفتح الله عزوجل له خراسان ، وتطيعه أهل اليمن » .

٧٥- عن ابن جرير في تهذيب الآثار روى بسنده وقال : « يخرج اليه - اي للمهدي - الابدال من الشام وعصب أهل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، رهبان بالليل ليوث في النهار » .

ان مبادرة اصحاب الرايات السود لاعلان البيعة للامام المهدي عليه السلام واستباقيهم لهذا الامر ، قبل جميع الرايات ، والجماعات ، والحركات ، والاحزاب ، والتنظيمات الاسلامية المجاهدة في الأمة ، هو تعبير آخر عن علاقة ثورتهم الاسلامية وارتباطها العقائدي بالمهدي عليه السلام مما يجسد دورها الواقعي في التوطئة سياسياً وعسكرياً وعقائدياً لثورته .

احاديث متفرقة حول المواطنين

هذه مجموعة من الاحاديث المتفرقة في المواطنين ، تتفق على ظهور رايهم في آخر الزمان بالرغم من اختلاف موضوعاتها وتعدد مصادرها واسانيدها .

٧٦ - عن أرطاة قال : « يدخل السفيناني الكوفة فيسيبها ثلاثة ايام ، ويقتل من اهلها ستين الفاً ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسم أموالها . ودخوله مكة بعد ما يقاتل الترك والروم ، بقرقيسيا ، ثم يفتق عليهم [من] خلفهم فتق ،

٧٤- عقد الدرر ص ٩٠-٩٩، البرهان الباب الاول ح ١٥ .

٧٥- الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٦، البرهان الباب السابع حديث ٦ .

٧٦- الفتن، لابن حماد ص ٨٣- ٨٤، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٧. البرهان للمتي الهندي ص ١١٨، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٥١ .

فيرجع طائفة منهم الى خراسان ، ويظهر بخراسان قوم يدعون الى المهدي ، ثم يبعث السفيناني الى المدينة [جيشاً] فيأخذ قوماً من آل محمد ، حتى يرد بهم الكوفة ، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هارين ، ويبعث السفيناني في طلبهما ، فاذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفيناني البيداء ، فيخسف بهم .

ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة ، فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم ، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء ، فيبلغ من بالكوفة من اصحاب السفيناني نزولهم فيهربون ... وتبعث الرايات السود بالبيعة الى المهدي .»

٧٧ - عن علي عليه السلام قال : «اذا بعث السفيناني الى المهدي جيشاً فخسف بهم البيداء يسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس ، وتنقل اليه الخزائن ، وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته ... ، ويخرج قبله رجل من أهل بيته باهل المشرق ، يحمل السيف على عاتقه ثمانية اشهر ، ويقتل ويمثل ويتوجه الى بيت المقدس .»

٧٨ - عن علي عليه السلام قال : «ستكون فتنة يحصل الناس فيها ، كما يحصل

٧٧ - الفتن ، لابن حماد ص ٩٥ ، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٩٦٦٩ ، الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٦٥-٦٦ ، الفتاوي الحديثية ص ٤١ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٧٣ ، البرهان الباب الرابع حديث ٣٢ .

٧٨ - مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٥٣ ، قال : «صحيح الاسناد» ، وواقفه الذهبي ، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٧ ، قال رواه الطبراني في الاوسط وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث وبقية رجاله ثقات ، الاذاعة ص ١٢٧ ، وعلق عليه بنفس كلام صاحب مجمع الزوائد ثم قال : «رواه الحاكم وليس في طريقه ابن لهيعة وهو كما ذكر اسناد صحيح» .

الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام واسبوا ظلمتهم ، فان فيهم الابدال ، وسيرسل عليهم الله سيباً [خ ل سيلاً] من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم . ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول ﷺ في اثني عشر ألفاً ان قولوا وخمسة عشر ألفاً ان كثروا أمارتهم . اي علامتهم . أمت أمت على ثلاث رايات تقاتلهم أهل سبع رايات ليس من صاحب راية الأ وهو يطعم بالملك ، فيقتلون ويهزمون ، ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الى الناس الفتنهم ونعمتهم فيكون حتى يخرج الدجال» .

الظاهر ان هذا الرجل ، وهو السيد الخراساني أحد أبرز قادة الموطئين وشعار جيشه : «أمت» ، اي الموت لاعداء الاسلام . ويتألف جيشه من ثلاث رايات سيأتي تفصيل الحديث بشأنها في غير هذا الكتاب . اما الرايات السبع المعادية له ، فالمذكور منها في أخبار الملاحم ، راية العباسي والمغربي ، والراية القرشية المعادية لأهل البيت ﷺ في بلاد الحجاز وراية الاصهب وراية المرواني وراية السفيناني . ولكن من المقطوع به أن الرايات السبع التي تعادي الخراساني وتحاربه وتقف ضد مشاريعه السياسية هي كلها من الدول العربية . مما يؤكد صحة التصورات التي تثيرها الآيات القرآنية الخاصة بمفهوم الاستبدال الموعود .

والهاشمي مفرج الفتن عن امته . في هذا الحديث . هو المهدي المنتظر ﷺ ، ومعنى «ويرد الى الناس الفتنهم ونعمتهم» كناية عن اجواء السلام والخير والعدل التي تعم العالم في ظل دولته .

٧٩ - عن ابن عباس قال : «ان معاوية قال له يوماً : هل تكون لكم دولة؟ قال : نعم وذلك في آخر الزمان . قال : فمن انصاركم؟ قال : أهل

٧٩ - كنز العمال ، ج ١١ ح ٣١٧٤٣ ، رواه عن الفتن ، لابن حماد .

خراسان ، قال : ولبني امية من بني هاشم نطحات ، ولبني هاشم من بني امية نطحات ، ثم يخرج السفيناني» .

الدولة التي يسأل عنها معاوية ابن عباس ، هي : دولة المهدي المنتظر ﷺ المعبر عنها بدولة أهل البيت في حديث عمار بن ياسر^(١) ، ودولة الموطئين للمهدي ﷺ من العلامات المتصلة بظهورها بل هي جزء منها ومن هذا المنطلق تدخل في صراع سياسي ، ومواجهة عقائدية وعسكرية مع النهج الاموي السفيناني في بلاد الحجاز والشام والعراق قبل ظهور المهدي ﷺ في العالم الاسلامي .

وقد وقع خطأ من النساخ في هذا الحديث فبدلاً أن يكتبوا الحديث هكذا : «ولبني هاشم من بني امية نطحات ثم يخرج المهدي» . كتبوا : «ثم يخرج السفيناني» . لان المعارك المعبر عنها بالنطحات بين بني هاشم وبني امية في آخر الزمان تجسدها الملاحم الدموية بين الخراساني الهاشمي والسفيناني الاموي .

وسميت دولة الموطئين بدولة بني هاشم ، أو دولة أهل البيت ﷺ لاتسابها اليهم في العقيدة والمنهج ، بالاضافة الى دورها في التمهيد لدولتهم المرتقبة بقيادة ولدهم المهدي ﷺ .

٨٠ - عن كعب قال : «اذا دارت رحى بني العباسي وربط اصحاب الرايات السود خيولهم بزيتون الشام ، يهلك الله لهم الاصبه ويقتله وعامة أهل بيته على ايديهم حتى لا يبقى امرؤ منهم ، الا هارب أو مختف ، ويسقط الشعبان بنو جعفر وبنو العباس ويجلس ابن آكلة الاكباد على منبر دمشق ،

(١) مر حديث عمار بن ياسر برقم ٢٧-٢٨ .

٨٠ - الفتن ، لابن حماد ، ص ٨٥ ، الحاوي للفتاوي ، ج ٢ ص ٦٩ ، البرهان الفصل الثاني حديث ٢٤ .

ويخرج البربر الى سرة الشام فهو علامة خروج المهدي» .

دارت رحى بني العباس : كناية عن عودة الحكم من جديد اليهم في آخر الزمان ، وسيأتي التحقيق الدقيق لهذه الكلمة في الحلقة الرابعة من هذه السلسلة . وأصحاب الرايات السود : هم المواطنون للامام المهدي عليه السلام الذين يربطون خيولهم بأشجار الزيتون في بلاد الشام كما يدل على ذلك حديث رقم ٨٧ فراجع . والاصهب : هو حاكم بلاد الشام قبل ظهور السفيناني . والشعبتان : بنو جعفر وبنو العباس ، هما كيانان سياسيان يحكمان في آخر الزمان ، فأما بنو العباس فهم اصحاب الحكم المتجدد في العراق ، واما بنو جعفر فلا اعرفهم ، ولعل الكلمة مصحفة من بني الاحمر وهم جماعة الاصهب المرواني ، حاكم بلاد الشام قبل السفيناني ، وهذا التفسير ربما هو الانسب لفهم هذا الحديث ، لان بني الاحمر لهم ذكر في احاديث أهل البيت عليهم السلام .

وابن آكلة الاكباد : كناية عن السفيناني لانتسابه الى هند زوجة ابي سفينان ، وهي التي اخرجت كبد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله واكلت منه بعد شهادته في معركة احد .

واما البرير : فهم أهل المغرب وهم اصحاب الرايات الصفر المعادية لاصحاب الرايات السود ، والمصطدمة معها في المعركة الكبرى داخل دمشق المعبر عنها في الحديث «بسرة الشام» .

وهذا الحديث يؤيد مضمون حديث ابن عباس في حواره مع معاوية .

٨١- عن ابن مسعود قال : «اذا أقبلت الرايات السود من خراسان فأتوها

فان فيها خليفة الله المهدي» .

٨١- تذكرة الموضوعات، باب آخر الزمان ص ٢٢٣. الفوائد المجموعة ص ٤١١ ح ١٢٠٥،

القول المسدد في الذب عن المسند للامام احمد ص ٥٩ ح ١٣.

هذا الحديث ورد بلفظ آخر عن طريق ثوبان خادم رسول الله ﷺ بسند صحيح على شرط الشيخين وهو الحديث رقم (٩) من هذا الفصل. والمقطع به عدم صحة صدور هذه الكلمة (فيها خليفة الله المهدي) من النبي ﷺ، لما هو ثابت في الاخبار المتواترة عنه ان المهدي ﷺ يخرج من مكة وليس من خراسان، فهذه الكلمة اما مدسوسة من الرواة العباسيين ليطبقوا أخبار الرايات السود الموطئة للمهدي ﷺ على ثورتهم وعلى مهديهم العباسي. أو أن النبي ﷺ قال بالاساس: «فيها خليفة المهدي» يعني السيد الخراساني، ولكن الحاضرون لم يلتفتوا لكلامه فنقلوه خطأً أو انه قال: «فيها انصار خليفة الله المهدي» لان اكثر انصاره من اصحاب الرايات السود، لكن الرواة اسقطوا كلمة «انصاره» سهواً، ومما يؤيد هذا الاحتمال ويقويه، ما جاء في حديث رقم (٦٤) المروي عن الامام محمد الباقر ﷺ في وصفه لاصحاب الرايات السود بقوله: «... وفيهم نفر من اصحاب المهدي». وهو من الاحاديث المروية باسناد صحيح من طرق أهل البيت ﷺ.

٨٢ - عن طاووس قال: «تكون ثلاث رجفات: رجفة باليمن شديدة ورجفة بالشام أشد منها، ورجفة بالمشرق».

الرجفة لغة: الحركة الشديدة، قال الراغب^(١): الرجف الاضطراب الشديد، ومنه قول تعالى: ﴿فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائعين﴾^(٢).
﴿يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾^(٣).

والرجفة في هذا الحديث استعملت بمعنى الثورة، والحديث يتنبأ بوقوع

٨٢- كنز العمال، ج ١٤ ح ٣٩٦٣٢.

(١) المفردات للراغب مادة رجف في حرف الراء.

(٢) الاعراف: آية ٧٨.

(٣) المزمل: آية ١٤.

ثلاث ثورات كبرى في العالم الاسلامي وهي : الثورة اليمانية ، وتقع في بلاد اليمن بقيادة السيد اليماني المناصر للثورة المهديوية . والثورة السفينانية وتقع في بلاد الشام بقيادة السفيناني المعادي للثورة المهديوية . والثورة المشرقية وتقع في بلاد ايران بقيادة الموطئين للمهدي عليه السلام اصحاب الرايات السود .

وكل هذه الثورات تتحقق في الفترة المقاربة لظهور الامام المهدي عليه السلام لكن الحديث لم يراع تسلسلها الزمني أو ان النساخ قدموا الثورة اليمانية على الثورة المشرقية مع أن الثورة المشرقية تحدث قبل الثورة اليمانية ، وتكون احداث الثورة السفينانية آخر الثورات الثلاث ثم يخرج المهدي عليه السلام .

٨٣- عن الحسن بن محمد بن علي قال : « لا يزال القوم على ثبج من امرهم حتى تنزل بهم احدى اربع خلال ، يلقي الله بأسهم بينهم ، او تجيء الرايات السود من قبل المشرق فتستبيحهم أو تقتل النفس الزاكية في البلد الحرام ، فيتخلى الله عنهم ، أو يبعثوا جيشاً الى البلد الحرام فيخسف بهم » .

المراد بـ (القوم) في هذا الحديث هم أهل الشام ، و (الثبج) لغة له اكثر من معنى ، لكن المراد منه هنا العظيم الشأن والعالي في امره ، لأن الحديث يتعرض لسياسية أهل الشام وأمرهم المعروف في عدائه لأهل البيت عليهم السلام . ويؤكد أنهم سوف يبقون على علو من امرهم ولا يتراجعون عن عدائهم لاهل البيت عليهم السلام واتباعهم الى آخر الزمان ، حتى تنزل بهم احدى اربع علامات :

اولاً : ان يلقي الله تعالى بأسهم بينهم في الصراع السياسي الواقع في مجتمعهم بين الاصهب والابقع من جهة ، وبين المرواني والسفيناني من جهة اخرى ، فيسبب ضعفهم ووهن امرهم .

ثانياً : أن تأتي الرايات السود الموطئة للمهدي عليه السلام فتستبيحهم وتضعف

امرهم بقيادة شعيب بن صالح التميمي .

ثالثاً: أن تقتل النفس الزكية في مكة بين الركن والمقام بمؤامرة يشتركون في تنفيذها ، فتكون هذه الجريمة سبباً لسخط الله وغضبه عليهم ، ويكون ذلك قبل ظهور المهدي بخمسة عشر يوماً .

رابعاً: او يبعثون جيشاً الى البلد الحرام في الشهر الحرام ، فيخسف بهم ، وهو جيش السفيناني ويخسف به في البيداء بين مكة والمدينة .

وتدل الأخبار أن هذه العلامات سوف تقع كلها متعاصرة متقاربة متصلة ، ببعضها ، فالاختلاف بينهم يتزامن مع دخول الرايات السود الموطئة في بلادهم للمهدي عليه السلام وقتل النفس الزكية يقع قبل حدوث الخسف بفترة قصيرة ، جداً لا تتجاوز الاسبوعين .

٨٤ - عن علي عليه السلام قال : «انتظروا الفرج في ثلاث قلنا: يا أمير المؤمنين وما هي ؟ قال : اختلاف أهل الشام بينهم ، والرايات السود من خراسان والفرقة في شهر رمضان» . فقيل : وما الفرقة في شهر رمضان ؟ قال : أو ما سمعتم قول الله عزوجل في القرآن : ﴿ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين﴾ ^(١) وهي آية تخرج الفتاة من خدرها ، وتوقظ النائم ، وتفزع اليقظان» .

المراد بـ (انتظار الفرج) انتظار ظهور المهدي عليه السلام ، من مكة بدلالة العلامات الدالة على ظهوره وهي ثلاثة :

(الاولى) : اختلاف أهل الشام وقد اوضحنا معناها في الحديث السابق .

(الثانية) : خروج الرايات السود الموطئة للمهدي عليه السلام الى بلاد الشام على

٨٤ - عقد الدرر ، ليوسف الشافعي ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(١) سورة الشعراء : آية ٤ .

اعقاب الاختلاف بين الاصهب والمرواني والسفياني ، ومرت هذه العلامة أيضاً في الحديث السابق .

(الثالثة): انبعاث الصحبة من السماء مبشرةً بظهور الامام المهدي عليه السلام ، وهي من العلامات الصحيحة المروية من طرق الفريقين . وهذا الحديث يؤيد مضمون الحديث الذي قبله فتأملهما وطابق بينهما بدقة .

* * *

الفوارق التاريخية

بين

ثورة المواطنين والثورة العباسية

الفوارق بين الثورتين

من أصعب ما يواجه الباحثين في دراسة أخبار «ثورة الموطئين» اختلافها وتداخلها مع أخبار الثورة العباسية، لوجود العديد من جوانب التشابه بينهما، فالثورتان تنطلقان من خراسان برايات سود، وكلتاهما ترفعان شعار: (الدعوة لأهل البيت)، وتقاتلان دولة بني امية في بلاد الشام.

ولهذا قطع مؤلف (موسوعة الامام المهدي) باتحاد أخبار الثورتين، مؤكداً بأن مجموع هذه الاخبار لا تعبر إلا عن حقيقة واحدة، وهي الأخبار عن قيام الثورة العباسية^(١)، ويذهب مؤلف هذه الموسوعة الى الاعتقاد بعدم صحة الاخبار المادحة لاصحاب الرايات السود، والمخبرة عن دورهم الجهادي في التوطئة للمهدي، ويعتبرها من الاخبار الموضوعية من قبل رواة بني العباس، لدعم ثورتهم وتمكين سلطانهم واستقطاب جماهير الامة اليهم. ومن هذا المنطلق لقبوا خليفتهم الثالث بالمهدي.

والواقع لا توجد أي علاقة بين اخبار الثورتين، باستثناء جوانب التشابه بينهما، وبإمكان الباحث المتبع والقاريء الفطن، أن يصل الى هذه الحقيقة، في ضوء مطالعته للأخبار النبوية الكثيرة التي اعتنت بالتفريق بين الثورتين.

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، ص ٤٥٥ وما بعدها.

ونحن نعتقد ان هذا النوع من الأخبار لم يطلع عليها مؤلف (موسوعة الامام المهدي) اطلاقاً، واليك عرضاً مختصراً لبعضها، وقد رتبناها وصنفناها في مجموعات سبعة :

المجموعة الأولى: الاخبار الدالة على وجود ثورتين

٨٥ - عن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من المهاجرين والانصار، وعلي بن ابي طالب عن يساره، والعباس عن يمينه، اذ تلاهى العباس ورجل من الانصار، فاغظ الانصاري للعباس، فأخذ النبي ﷺ بيد العباس، ويد عليّ فقال: «سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الارض جوراً وظلماً، وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فانه يقبل من قبل المشرق، وهو صاحب راية المهدي». الفارق بين الثورتين، في هذا الحديث أن الفتى الذي يملأ الأرض ظلماً وجوراً سيخرج من صلب العباس، والفتى الذي يملئها قسطاً وعدلاً، سيخرج من صلب الامام علي ﷺ، وهو المهدي المنتظر ﷺ، وعلامة خروجه أن يقبل الفتى التميمي شعيب بن صالح، من قبل المشرق براياته السود الموطئة للمهدي سلطانه، لذلك دعى النبي ﷺ امته للالتحاق به ومناصرته. وهذا الفتى التميمي يعرف في أخبار الموطئين باسم شعيب بن صالح وهو لا وجود له في أخبار الثورة العباسية التي قاد جيوشها أبو مسلم الخراساني.

* - عن محمد بن الحنفية قال: «تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان اخرى سوداء، قلائسهم^(١) سود وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل

٨٥- مجمع الزوائد، ج ١ ص ٣١٧، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٢.

(١) قلائس جمع قلائسوة: وهي غطاء يوضع على الرأس.

يقال له: شعيب بن صالح، من تميم، يهزمون اصحاب السفيناني، حتى ينزل بيت المقدس يوطيء للمهدي سلطانه، يمد اليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه، وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً^(١).

الفوارق بين الثورتين في هذا الحديث كثيرة:

(اولها): الاخبار عن انطلاق ثورتين من خراسان، الاولى لبني العباس وراياتها سود، والثانية للموطين للمهدي وراياتها سود ايضاً.

(ثانيها): ان ملابس الموطين بيض، بينما كانت ملابس جيوش العباسيين و خلفاتهم كلها سود، كما نص المؤرخون على ذلك.

(ثالثها): ان هدف ثورة الموطين في زحفها نحو بلاد الشام هو تحرير بيت المقدس من اليهود المقتصبين، بينما كان هدف الثورة العباسية، الوصول الى دمشق، والاطاحة بالخلافة الاموية في بلاد الشام.

(رابعها): وجود انصار في بلاد الشام للموطين، وهم على موعد معهم لمشاركتهم في تحرير بيت المقدس، بينما لم يذكر المؤرخون انصاراً للعباسيين، في بلاد الشام، في ثورتهم على الخلافة الاموية.

(خامسها): ان القائد العسكري للثورة العباسية، هو رجل فارسي اسمه عبدالرحمن ويكنى بابي مسلم الخراساني، بينما القائد العسكري لثورة الموطين المذكور في هذا الحديث، هو رجل عربي الاصل واسمه شعيب بن صالح التميمي.

(سادسها): يذكر التاريخ أن الفترة الزمنية بين انطلاق الثورة العباسية عام ١٣٢هـ وبين تسليمها الامر للمهدي العباسي عام ١٥٨هـ، هي (٢٦) سنة، بينما ينص هذا الحديث بان الفترة بين خروج شعيب بن صالح، وبين تسليمه الأمر

(١) راجع: حديث رقم ٣.

للإمام للمهدي عليه السلام هي (٦) سنوات .

* - عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : «تخرج من المشرق رايات لبني العباس ، ثم يمكثون ما شاء الله ، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد ابي سفيان ، واصحابها من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي»^(١) .

قوله «يمكثون ما شاء الله» : كناية عن استمرار الخلافة العباسية في الحكم قروناً طويلة من الزمن . وقوله «ثم تخرج رايات سود صغار» : يريد به التفريق بين الثورتين ، لما هو ثابت في التاريخ ، ان الثورة العباسية كانت راياتها سوداً كباراً طوالاً ، أما الموطئون فراياتهم سود صغار قصار . وأما قوله «تقاتل رجلاً من ولد ابي سفيان» : يؤكد أن ثورة الموطئين غير الثورة العباسية التي قاتلت رجلاً من ولد آل مروان ، وهو الملقب بمروان الحمار آخر خلفاء الامويين في بلاد الشام . فهي لم تصطدم مع بني سفيان ، فيكون اصطدام اصحاب الرايات السود الموطئة مع السفيناني من العلامات المميزة لدولتهم عن الدولة العباسية .

٨٦- عن ابن شاذب قال : «كنت عند الحسن ، فذكرنا حمص^(٢) ، فقال :

هم اسعد الناس بالمسودة الاولى ، واشقى الناس بالمسودة الثانية ، قال : فقلنا وما المسودة الثانية يا ابا سعيد ؟

قال : ابو الطهوي^(٣) يخرج من قبل المشرق معه ثمانون ألفاً محشوة

(١) راجع : حديث رقم ٦٩ .

٨٦- الفتن ، لابن حماد ، ص ٨٥ ، الملاحم والفتن لابن طائوس ص ٥٦ .

(٢) حمص : مدينة سورية .

(٣) وردت هذه الكلمة هكذا (ابو الطهوي) في مخطوطة ابن حماد ، وذكرها ابن طائوس نقلاً عن مخطوطة ابن حماد هكذا (اول الظهور) وهي لا تنسجم مع باقي الحديث ، الا اذا

قلوبهم ايماناً حشوة الرمانة من الحب» .

٨٧- عن عمر بن مرّة الجهني صاحب رسول الله ﷺ قال : «لتخرجن من خراسان راية سوداء حتى تربط خيولها بهذا الزيتون ، الذي بين بيت لها وحرستا^(١) ، فليل له : ما نرى بين هاتين زيتونة ؟ قال : سينصب بينهما زيتون حين ينزلها أهل تلك الولاية ، فتربط خيولها بها .
وقال عبدالله بن آدم : وحدث بهذا الحديث عبدالرحمن بن سلمان فقال :
انما يربط بها أهل الولاية السوداء الثانية» .

فهذا الحديث ، والذي قبله ، يخبران عن وجود راييتين الاولى سوداء لبني العباس ، والثانية سوداء ايضاً لكنها للموطئين للمهدي عليه السلام ، وهي المحشوة قلوب اصحابها ايماناً حشوة الرمانة ، من الحب ، ومن علامتها أنها تربط خيولها باشجار الزيتون في بلاد الشام ، حينما تدخلها لتحرير بيت المقدس ، أو لمقاتلة السفيناني .

٨٨ - عن ابن عباس قال : «قلت لعلي بن ابي طالب متى دولتنا يا أبا الحسن ؟ قال : اذا رأيت فتيان أهل خراسان اصبتم ائتمها واصبنا نحن برها» .

٨٩ - عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «اذا ظهر السواد في

→ وضعنا كلمة (رجل) بعد قوله ، يخرج ، فيكون الحديث هكذا : «أول الظهور يخرج رجل من قبل المشرق ...» وهذا الاحتمال قوي جداً .

٨٧- الفتن ، لابن حماد ص ٨٥ ، الملاحم والفتن ، لابن طاووس ص ٣٣ .

(١) حرستا : قرية من قرى دمشق مرّ ذكرها ، وبيت لها بالقرب منها ، والاصح (بيت لها) ، راجع : معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٢ .

٨٨ الفتن ، لابن حماد ص ٥٢ ، كنز العمال ، ج ١١ ص ٣١٥٨٢ .

٨٩- كنز العمال ج ١١ ص ٣١٤١٥ .

الارض أنزل الله باهل الارض نائبة! قلت : يا رسول الله وفيهم أهل طاعة الله ؟
قال : نعم ، ثم يصيرون الى رحمة الله» .

هذان الحديثان ، بالرغم من الاختلاف الظاهر في الفاظهما ومعانيهما ،
فإنهما يدلان على معنى واحد ، وهو الاخبار عن ظهور رايتين سوداويتين من
المشرق ، الاولى لبني العباس ، والثانية للموثنين للمهدي ، ويخيران عن عاقبة
ابناء فارس ، خلال حكم هاتين الثورتين في بلادهم .

فالثورة العباسية ، كانت سبباً لسخط الله تعالى وغضبه ، على أهل الارض
وخاصة في بلاد فارس ، لانها خدعت الامة باسم : (الرضا من آل محمد)
واغتصبت الخلافة من أهل البيت تحت هذا الشعار ، وما أن استتب الامر لها
قضت على ابناء رسول الله ﷺ قتلاً وسجناً وتطريداً وتشريداً ، فنكلت بهم
وباتباعهم بقساوة لم تعرف في التاريخ من قبل ، لانها كانت اشد مما مر عليهم
من ظلم وعذاب واضطهاد في العصر الاموي . وقد شارك ابناء فارس بالقسط
الأكبر من الاتام والجرائم التي ارتكبتها الخلافة العباسية ، لانهم أوّل من رفع
رايتها وناصرها وجندوا انفسهم لحمايتها ، وتمكينها ، وتأسيسها . فكانت بلاد
فارس قاعدة قوية ومنطلقاً حصيناً لمواجهة اعداء العباسيين والقضاء عليهم
اينما كانوا بعد الخوض في بحار من الدماء .

وقد تصدى علماء الفرس من أهل السنة لإمامة المسلمين فقهاءً وثقافياً
بعد أن استخدمتهم السلطة العباسية غطاءً لمعارضة مدرسة أهل البيت ، وصرف
انصار الامة عنهم وعن مكانتهم العلمية ، فاستلم علماء الفرس من أهل السنة اكثر
مناصب القضاء والافتاء وامامة الجماعات والجمعات في البلدان الاسلامية ،
وشاركوا الخلفاء العباسيين في مؤامرة تمزيق الامة من خلال نشأة المذاهب
الفقيهية الاربعة التي لم تكن موجودة من قبل بهدف النيل من مذهب أهل البيت
والقضاء على اتباعه .

ومع كل ما تورط بها أبناء فارس من جرائم وآثام، في مناصرتهم للخلافة العباسية الظالمة، فانهم لابد أن يثبوا الى رشدهم ويستيقظوا من غفوتهم ويرجعوا عن غيهم، ويهتدوا الى نهج الحق في نهاية المطاف. وهو معنى قوله: «ثم يصيرون الى رحمة الله»، اي عندما ينالون الدين من الثريا، ويتهلون من منابعة الالهية الاصيلة المتمثلة بمعارف وعلوم آل محمد ﷺ، ويصبحون حملة لمبادئ أهل البيت ﷺ ودعاة لامرهم ونواها على نهجهم الجهادي الرافض للظلم والفساد، والاضطهاد في طول التاريخ. ثم يخرجون مرة ثانية براياتهم السود المناصرة لأمر أهل البيت ﷺ، ويقدمون قوافل الشهداء وهم يوطنون لمهدي آل محمد سلطانه وهو معنى كلام امير المؤمنين ﷺ لابن عباس: «اذا رأيت فتيان أهل خراسان اصبتم ائمتها، واصبنا نحن برها»، يشير الى عاقبة امرها، حينما تخرج مرة ثانية براياتها السود الموطنة لولده المهدي سلطانه، فيصيب بنو العباس آثام الرايات السود الخراسانية لانها ناصرتهم على ظلمهم وجرائمهم، ويصيب أهل البيت ﷺ برها وخيرها وعاقبة أمرها حينما تصير الى رحمة الله وتهندي الى امامتهم وتعتقد بولايتهم، وتخرج مرة اخرى مناصرة لحقهم موطنة لولدهم المهدي سلطانه في آخر الزمان.

المجموعة الثانية: الأخبار التي تدم الثورة العباسية

وهي كثيرة جداً، بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف. جمعنا اكثرها واهمها في الكتاب الخاص «بدولة بني العباس» المتجددة في آخر الزمان في بلاد العراق، فمن اراد التوسع في هذا الموضوع فليراجعها هناك، اما هنا فسنقتصر على ذكر طائفة منها للتذكير بها والتأكيد على وجودها في السنة

□ عن سعيد بن المسيب قال: «لما فتحت اداني خراسان، بكى عمر بن الخطاب، فدخل عليه عبدالرحمن بن عوف، فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وقد فتح الله عليك مثل هذا الفتح؟ قال: مالي لا أبكي لوددت أن بيننا وبينهم بحراً من نار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أقبلت رايات ولد بني العباس، من عقبات^(٢) خراسان، جاؤوا بنعي الاسلام، فمن سار تحت لوائهم لم تنله شفاعتي يوم القيامة»^(٣).

□ عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ قال: «ما لي ولبني العباس شيعوا امتي، وسفكوا دماءها والبسوها ثياب السواد، البسهم الله ثياب النار»^(٤).

□ وعن علي بن أبي طالب قال: «إذا رأيت الرايات السود، فالزموا الأرض ولا تحركوا ايديكم ولا ارجلكم، ثم يظهر قوم ضعفاء لا يؤبه لهم قلوبهم كزير الحديد، هم اصحاب الدولة، لا يفون بعهد ولا ميثاق، يدعون الى الحق وليسوا من اهله، اسماؤهم الكنى، وأنسابهم القرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء، حتى يختلفوا فيما بينهم، ثم يؤتي الله الحق من يشاء»^(٥).

□ عن حذيفة بن اليمان قال: «يخرج رجل من قبل المشرق، يدعو الى آل محمد ﷺ، وهو ابعد الناس عنهم، ينصب علامات سوداء أولها نصر وأخرها كفر، يتبعه حثالة العرب، وسفلة الموالي، والعيبد الآباق، رقوا من

(١) لم نضع رقماً لاحاديث هذه المجموعة، لانها ليست من احاديث الموطئين، والترقيم خاص باحاديث الموطئين في هذا الكتاب فقط.

(٢) ربما هذه الكلمة تصحيف لكلمة قصبات.

(٣) كنز العمال ج ١١ ح ٣١٤٨٦.

(٤) كنز العمال، ج ١١ ح ٣١٠٤٢، مجمع الزوائد ج ٥ ص ٤٤، الفتن، لابن حماد ص ٥٣.

(٥) كنز العمال، ج ١١ ح ٣١٥٣٠، الفتن، لابن حماد ص ٥٥.

الافاق سيماهم السود، ودينهم الشرك، واكثرهم الخدع. قلت: وما الخدع؟
قال: القلف^(١).

□ عن ابي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا خرجت الرايات السود، فإن أولها فتنة، وأوسطها ضلالة، وآخرها كفر»^(٢).

□ عن سلمة بن محبوب قال: سمعت ابا هريرة يقول: «كنت في بيت ابن عباس فقال: اغلقوا الباب، ثم قال: هاهنا من غيرنا احد، قالوا: لا. وكنت في ناحية من القوم، فقال ابن عباس: اذا رأيتم الرايات السود تجيء من قبل المشرق فاكمروا الفرس، فإن دولتنا فيهم».

قال ابو هريرة: فقلت لابن عباس: أفلا احدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: ابن عباس وكان اعمى وإنك لها هنا؟ قلت نعم، قال: حدث. فقلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اذا خرجت الرايات السود فان أولها فتنة واوسطها ضلالة و آخرها كفر»^(٣).

تصل الاخبار الخاصة بزم الدولة العباسية الى أكثر من (٤٠) خبراً، وبالمقابل يوجد اكثر من (٣٥٠) خبراً من طريق الفريقين، في مدح أصحاب الرايات السود الموطنه للمهدي، فاذا جمعنا بين هاتين الطائفتين، مع النظر الى الطائفة الثالثة، التي تخبر عن خروج رايتين سوداوتين من بلاد المشرق، الأولى لبني العباس والثانية للموطينين من قوم سلمان، حينئذ تنتهي الى القطع واليقين بان الرايات السود الموطنه للمهدي هي غير الرايات السود العباسية.

(١) الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٣٦، نقلاً عن الفتن، لابن حماد.

(٢) كنز العمال، ج ١١ ح ٣١٤٨٦.

(٣) كنز العمال ج ١٢ ح ٣٤١٢٤، الفوائدالمجموعة ص ٤١١ ح ١٢٠٥، الفتن لابن حماد ص ٥٢.

المجموعة الثالثة: الأخبار التي تمدح ثورة المواطنين

وقد مرت علينا في مطلع هذا الفصل تحت العناوين التالية: (وجوب نصره المواطنين)، (الموطنون مؤيدون بنصر الله)، (الجنات تستقبل شهداء الوطنيين)، (الموطنون يعيدون الدين الى قيادة الحياة)، (الموطنون دعاة لمذهب أهل البيت). وكذلك مرت طائفة من هذه الأخبار في المجموعة الاولى المميّزة بين الثورتين .

المجموعة الرابعة: الأخبار الخاصة بوصف قيادات المواطنين

نصت أحاديث أهل السنة الخاصة بالمواطنين على شخصين بارزين من قياداتهم، وركزت عليهما كثيراً وهما: القائد الأكبر السيد الخراساني وقائد قواته العسكرية شعيب بن صالح التميمي. وقد مرت علينا في الموضوعات السابقة احاديث كثيرة، ذكرت هذين القائدين تصریحاً أو تلميحاً واليك عرضاً لأهم الاحاديث التي اختصت بهما:

القائد الأكبر السيد الخراساني

* - عن علي عليه السلام قال: «تخرج الرايات السود، تقاتل السفيناني، فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال، على مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح، فيهزم اصحابه^(١) .

٩٠ - عن ابي جعفر عليه السلام قال: «يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل اصحاب

(١) راجع: حديث رقم ٥٩ .

٩٠ - الفتن، لابن حماد ص ٨٤، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٢، عقد الدرر ص ١٢٨ .

السفياني فيهمهم».

* - عن ابي جعفر عليه السلام قال : «تقبل الرايات السود من خراسان ، على جمع الناس شاب من بني هاشم ، بكفه اليمنى خال : يسهل الله امره وطريقه»^(١) .
* - عن علي عليه السلام قال : «يخرج رجل قبل المهدي ، من أهل بيته بالمشرق ، يحمل السيف على عاتقه»^(٢) .

٩١ - عن عبدالله بن عمر قال : «يخرج رجل من ولد الحسين ، من قبل المشرق ، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدمها واتخذ فيها طرقاتاً» .

شعيب بن صالح

٩٢ - عن عمار بن ياسر ، قال : «اذا بلغ السفياني الكوفة ، وقتل اعوان آل محمد ، خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح» .
٩٣ - عن عمار ايضاً قال : «المهدي على اوله شعيب بن صالح» . وفي رواية قال : «على لوائه شعيب بن صالح» .
٩٤ - عن علي عليه السلام في خطبة طويلة ، قال : «... وتحركت عساكر خراسان ، ونيع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان ، وبويع لسعيد السوسي بخوزستان ، وعقدت الراية لعماليق كردان» .

(١) راجع : حديث رقم ١٦ .

(٢) راجع : حديث رقم ٣١ .

٩١ - الفتن ، لابن حماد ص ١٠٢ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٢ ، عقد الدرر ص ١٢٧ ، البيان ص ١٣٤ .

٩٢ - الفتن ، لابن حماد ، ص ٨٥ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٩ ، البرهان باب ٧ ح ٢٣ .

٩٣ - الفتن ، لابن حماد ص ٨٤ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨ .

٩٤ - مشارق البرسي ص ١٦٦ - ١٧٠ .

* - عن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من المهاجرين والانصار، وعلي بن ابي طالب عن يساره، والعباس عن يمينه، اذ تلاحي العباس ورجل من الأنصار، فاغلظ الانصاري للعباس، فاخذ النبي ﷺ بيد العباس ويد علي فقال: سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الارض جوراً وظلماً، وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الارض قسطاً وعدلاً، فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التيمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي»^(١).

* - عن معاذ قال: «بينما انا وابو عبيدة الجراح، وسلمان جلوس نتتظر رسول الله ﷺ اذ خرج علينا في الهجير مربعاً متغير اللون، فذكر فتنة السفيناني ثم قال: وانما ذلك حمل امرأة، ثم يقبل الرجل التيمي شعيب بن صالح، سقى الله بلاد شعيب بالراية السوداء المهدي بنصر الله وكلمته، حتى يبائع المهدي بين الركن والمقام»^(٢).

* - عن كعب بن علقمة قال: «يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية، أصفر، لو قاتل الجبال لهزها حتى ينزل ايلياء» اي بيت المقدس^(٣).

٩٥ - عن الحسن قال: «يخرج بالري رجل ربعة اسمر، مولى لبني تميم، كوسج يقال له: شعيب بن صالح. في اربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود، يكون على مقدمة المهدي، لا يلقاه احد الا قله» وفي لفظ «الأ قتله».

(١) راجع حديث رقم ٨٥.

(٢) راجع: حديث رقم ١١.

(٣) راجع: حديث رقم ٣٠.

٩٥ - الفتن، لابن حماد ص ٨٤، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٨، الفتاوي الحديثية ص ٤١، عقد الدرر ص ٣٠، البرهان باب ٧ ح ١٨.

* - عن محمد بن الحنفية قال: «بين خروج الراية السوداء من خراسان، وشعيب بن صالح، وخروج المهدي، وبين أن يسلم الامر للمهدي، اثنان وسبعون شهراً»^(١).

٩٦ - عن عكرمة قال: «حدثني فلان - رجل من اصحاب النبي ﷺ - أنه نال من بني تميم عند النبي ﷺ فقال: لا تقل لبني تميم الا خيراً فانهم اطول الناس رماً على الدجال».

٩٧ - عن ابي هريرة قال: ذكر بني تميم رسول الله ﷺ فقال: «هم ضخام الهام، ثبت الاقدام، نصار الحق في آخر الزمان، اشد قوماً على الدجال».

المجموعة الخامسة: الاخبار الخاصة بمعارك المواطنين

وهي على نحوين، الاخبار الخاصة بمعاركهم قبل ظهور المهدي ﷺ والاخبار المتعلقة بمعاركهم بعد ظهوره.

معارك المواطنين قبل الظهور

وهي كثيرة، والمذكور منها في اخبار اهل السنة سبعة:

(١) راجع: حديث رقم ٦٨.

٩٦ - مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٤٨، باب ما جاء في بني تميم قال: «رواه احمد ورجاله، رجال الصحيح».

٩٧ - مجمع الزوائد، ج ١٠ ص ٤٧ باب ما جاء في بني تميم قال: «رواه البراز من طريق سلام بن منصور بن زاذان وقال: سلام هذا احسبه سلام المدائني وهو لين الحديث». اقول: لين الحديث من مصطلحات الحسن عند العلامة الهيثمي في مجمع الزائد، وسلام المدائني بعضهم يعتبر حديثه صحيحاً وبعضهم يعتبره حسناً لاختلافهم فيه ولكن لا ينزلون حديثه عن درجة الحسن.

المعركة الاولى:

وتقع بين الايرانيين والعراقيين ، على جبهة عبادان والبصرة ومرّ معنا ما يشير اليها في الاحاديث النبوية التي اثنت على المجاهدين والمرابطين والشهداء في جبهة عبادان في آخر الزمان^(١)، وقد تناول الامام علي عليه السلام ، هذه المعركة في حديث رقم (٢٦) فقال :

«وليكونن من أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله ، قوي يحكم بحكم الله ، وذلك بعد زمان مكلح مفضح ، يشتد فيه البلاء ، وينقطع فيه الرجاء ويقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعث الله عزوجل رجلاً من شاطي دجلة لأمر حزبه ، يحمله الحقد على سفك الدماء ، قد كان في ستر وغطاء ، فيقتل قوماً وهو عليهم غضبان ، شديد الحقد حران ، في سنّة بخت نصر يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً ، مصيرة سوط عذاب وسيف دمار» .

والظاهر من هذه الخطبة ، ان المراد بالتائر من أهل البيت ، هو قائد ثورة المواطنين ، الموصوف بالقوي في ذات الله ، والداعية للحكم بشريعة الله ، والهادي للناس بما أمر الله تعالى ، في عصر يستضعف فيه أنصار الحق ، وتشتد الفتن ، وينقطع الأمل والرجاء بنصرة المظلومين ، وخلص المعذيين .
ويفهم من ظاهر هذه الخطبة أيضاً ، انه بعد قيام هذا التائر العلوي ، سوف يخرج عليه طاغية من بلاد العراق ، وهو المعبر عنه بـ(رجل من شاطي دجلة) ويحاربه تنفيذاً للأمر حزبه) .

ثم يمضي الامام علي عليه السلام يذكر أبرز علامات واوصاف طاغية العراق المعادي للتائر العلوي ، فيقول : (كان في ستر وغطاء) اي انه كان يمارس دوره السياسي في بلاد العراق بالخفاء ، فلم يكن من الحكام المعروفين ، ولا من

(١) راجع حديث رقم (١٩٩) ورقم (٢٠٠) ورقم (٢١١) .

رجال الدولة المشهورين ، ولكن بمجرد أن يقوم نائر أهل البيت القوي بذات الله ، والداعية للحكم بشريعة الله ، يعلن هذا الطاغية عن نفسه كحاكم قوي متنفذ ، سفاك للدماء حاقد على المسلمين ، يقود بحقده بلاد العراق الى متاهات الفتن ، ويسقيهم كؤوس العذاب ، ويقتل جماعات منهم ، وهو شديد الحقد والغضب عليهم .

والثائر من أهل البيت في هذه الخطبة ، وان لم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام الموقع الجغرافي لانطلاقه ثورته لكننا نقطع بأنه قائد ثورة الموطنين ، وفقاً للدلالة الكثيرة الدالة على ذلك ، وسوف نتعرض لهذه الأدلة في الحديث عن تمسك مجتمع الموطنين بولاية أهل البيت ^(١) .

ومن صور معارك جيوش هذا الطاغية العراقي ضد الثوار الموطنين للمهدي ، ما جاء في خطبة للإمام علي عليه السلام أيضاً يصف فيها جانباً من هذه المعركة على جبهة البصرة فيقول:

٩٨ - «فتن قطع الليل المظلم ، لا تقوم لها قائمة ، ولا ترد لها راية ، تاتيكم مزمومة مرحولة ، يحفزها قائدها ، ويجهدا راكبها ، اهلها قوم شديد كلبهم ، قليل سلبهم يجاهدهم في سبيل الله ، قوم اذلة عند المتكبرين ، في الارض مجهولون وفي السماء معروفون ، فويل لك يا بصرة عند ذلك ، من جيش من نعم الله ، لا رهج له ولا حس ، وسيبتلي اهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر» .

(١) راجع هذا الموضوع في صفحة ٢٨٧ .

٩٨ - نهج البلاغة ص ١٤٨ خطبة ١٠٢ ، تحقيق صبحي الصالح ، نهج البلاغة ص ٩٦ خطبة ٩٨ تحقيق محمد عبده ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٧ ص ١٠٢ خطبة ١٠١ ، وقال معلقاً على هذه الخطبة: «هذا انذار بملحمة تجري في آخر الزمان ، وقد اخبر النبي ﷺ بنحو ذلك» .

وقد حاول بعض شراح هذه الخطبة - عبثاً أو جهلاً - تطبيقها على ثورة صاحب الزنج، لكن وصف الامام عليه السلام جيش الزاحفين لقتال أهل البصرة، بالمجاهدين في سبيل الله، وبالاذلة والمستضعفين بنظر المستكبرين، وبالأولياء المجهولين في الارض والمعروفين عند الله، كل ذلك من الدلائل القطعية التي لا تجيز لعاقل تطبيق هذه المعركة على ثورة صاحب الزنج، بعد ان اجمعت كلمة الباحثين عموماً، وكلمة أهل البيت خصوصاً، على ذمها .

المعركة الثانية:

وتقع على جبهة قزوين بين الايرانيين والمعتدين على بلادهم من جهة خراسان واذرييجان، وهي المقصودة في الأخبار النبوية التي اثنت على المجاهدين والمرابطين والشهداء في مدينة قزوين في آخر الزمان، وقد تلونا عليك طائفة منها في المواضع السابقة^(١)، واليك طائفة اخرى منها، لم تتلوها عليك من قبل .

٩٩- عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «رحم الله اخواني بقزوين» وروي هذا الحديث عن ابن عباس، وعن ابي هرير .

١٠٠- عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «رحم الله اخواني بقزوين، قيل يا رسول الله وما قزوين؟ قال: بلدة يقال لها قزوين، الشهداء فيها يعدلون عند الله شهداء بدر» .

١٠١- عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اني لأعرف أقواماً يكونون

(١) راجع حديث: (١٩)(٢٠)(٢١) .

٩٩- كنز العمال، ج ١٢ ح ٢٥٠٨٧ .

١٠٠- كنز العمال، ج ١٢ ح ٢٥٠٩٦ .

١٠١- كنز العمال، ج ١٢ ح ٢٥٠٩٢ .

في آخر الزمان ، قد اختلط الايمان بلحومهم ودمائهم ، يقاتلون في بلدة يقال لها قزوين ، تشتاق اليهم الجنة ، وتحن كما تحن الناقة الى ولدها» .

١٠٢ - عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «ان جبلاً من جبال فارس بارض الديلم ، يقال له قزوين ، نبأني خليلي جبرئيل قال : يحشرون يوم القيامة ، فيقومون على ابواب الجنة صفوفأ ، والخلائق في الحساب ، وهم يجدون رائحة الجنة» .

١٠٣ - عن ابي هريرة وابن عباس معاً عن رسول الله ﷺ قال : «رحم الله إخواني بقزوين ثلاثاً ، قالوا : يا رسول الله وما قزوين ؟ قال : قزوين ارض من ارض الديلم هي اليوم في يد الديلم ، وستفتح على امتي وتكون رباطاً لطوائف من أمتي فمن ادرك ذلك فليأخذ بنصيبه من فضل رباط قزوين ، فانه يستشهد بها قوم يعدلون شهداء بدر» .

١٠٤ - عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : «قزوين باب من ابواب الجنة ، يحشر من مقبرتها كذا كذا الف شهيد» .

١٠٥ - عن ابن عباس عن النبي ﷺ : قال : «سيكون جهاد ورباط بقزوين يشفع احدثهم من مثل ربيعة ومضر» .

والاخبار في فضل الرباط والجهاد في مدينة قزوين ، في آخر الزمان مروية من طرق الفريقين ، وشارك في روايتها عن النبي ﷺ عدد من الصحابة ، منهم الامام علي عليه السلام وابو ذر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر الانصاري ، وانس ، وابو الدرداء ، وبريدة ، وأوس بن عبدالله ، وابو هريرة وغيرهم .

١٠٢- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٥٠٩٠.

١٠٣- كنز العمال، ج ١٢ ص ٣٥٠٩٤.

١٠٤- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٥١٠٤.

١٠٥- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٥١٠٠.

وقد اختلفت الاخبار في تحديد هوية المهاجمين والمعتدين على دولة المواطنين في آخر الزمان في جبهة قزوين ، ونحن هنا لسنا بصدد تحقيق ذلك . لكننا نقطع بوقوع معركة جهادية عظيمة ضد المهاجمين لدولة المواطنين من جهة بلاد وجبال قزوين .

المعركة الثالثة:

وتقع على الجبهة العراقية السورية ، في منطقة قَسْرين^(١) ، وتعرف هذه المعركة في اخبار الملاحم والفتن ، بمعركة قرقيسيا أو معركة الكنز قيل انه من الذهب يكتشف في نهر الفرات قبل ظهور الامام المهدي عليه السلام بفترة قصيرة جداً . ودور المجاهدين الايرانيين في هذه المعركة ، ينحصر في التدخل لحسمها ووضع حد لها ، بعد الحاق الهزيمة بالجيش العربية المتقاتلة على الكنز فيها ، وهي المقصودة في الحديث التالي :

١٠٦ - عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير الى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئاً لا احفظه - فقال : فاذا رايتموه فبايعوه، ولو حبواً على الثلج فانه خليفة الله المهدي» .

(١) قَسْرين: قرية تقع في سوريا بين حلب وانطاكية (المنجد قسم الاعلام).

١٠٦- سنن ابن ماجه، ج ٢ ح ٤٠٨٤، وقال محقق الكتاب في الهامش: اسناد صحيح رجاله ثقات. مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٤٦٣، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وواقفه الذهبي، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٨٦٥٨، دلائل النبوة ج ٦ ص ٥١٥، سنن الداني ص ٩٣، الاشاعة ص ١١٤، التذكرة ص ٦٩٩، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٦٠، نهاية البداية ج ١ ص ٤٢.

والظاهر أن ما ذكره النبي ﷺ ولم يحفظه الراوي في هذا الحديث هو قوله: «ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فانه خليفة الله المهدي».

المعركة الرابعة:

معركة تحرير فلسطين، وقد مرت بعض احاديثها في المواضيع السابقة^(١)، ووردت بشأنها تفاصيل دقيقة في احاديث أهل البيت ﷺ. سوف نذكرها في الكتاب الخاص بحتمية زوال اسرائيل قبل ظهور المهدي ﷺ.

المعركة الخامسة:

وتقع في بلاد الشام، بعد معركة تحرير القدس، وتكون بين الرايات السود الموطئة للمهدي ﷺ والرايات الصفراء المغربية القادمة من بلدان المغرب العربي وقد مرت بعض تفاصيلها في الموضوعات السابقة^(٢).

المعركة السادسة:

وتقع بين الايرانيين والجيش السفياني، في اكثر من موقع وتبدأ بانكسار المواطنين وأنصارهم في فلسطين، وتنتهي بهزيمة السفياني وانكسار جيشه أمام قوات المواطنين وأنصارهم داخل الاراضي العراقية^(٣).

(١) راجع: موضوع (تحرير المواطنين للقدس).

(٢) راجع: موضوع (المعركة الكبرى بين الرايات السود ورايات أهل المغرب الصفراء).

(٣) وتبدأ احاديث هذه المعركة من حديث رقم ٤٦ وتنتهي بحديث رقم ٦٤ فراجعها.

المعركة السابعة:

وتقع بين القوات الايرانية والعراقية العباسية في جولات عديدة من المعارك قبل خروج السفيناني وبعد خروجه وقد تناولت تفاصيل هذه المعركة في الكتاب الخاص بعودة الحكم العباسي الى العراق في آخر الزمان .

معارك المواطنين بعد الظهور

وهي كثيرة جداً وأشهرها معركتين :

الاولى: معركة تحرير بلاد الشام من الحكم السفيناني، بقيادة الامام المهدي عليه السلام، بعد تحالف القوات الايرانية مع القوات اليمانية عسكرياً، في الدفاع عن القضية المهديوية . وتعرض الامام علي عليه السلام في احدى خطبه لتفاصيل هذه المعركة الحاسمة، واليك مقتطفات من خطابه . قال : «ويعمل عمل الجبابرة الاولى -يعني السفيناني- فيغضب الله من السماء لكل عمله، فيبعث عليه فتى من قبل المشرق، يدعو الى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هم اصحاب الرايات السود المستضعفون، فيعزهم الله وينزل عليهم النصر، فلا يقاتلهم احد الا هزموه، ويسير الجيش القحطاني، حتى يستخرجوا الخليفة وهو خائف، فيسير معه تسعة آلاف من الملائكة معه راية النصر، وفتى اليمن . حتى ينزلوا دمشق فيفتحونها اسرع من التماع البرق، ويهدمون سورها، ثم يبنى ويعمر، ويساعدهم عليها رجل من بني هاشم، اسمه اسم نبي، فيفتحونها من الباب الشرقي، قبل أن يمضي من اليوم الثاني اربع ساعات، فيدخلها سبعون الف سيف مسلول بايدي اصحاب الرايات السود، شعارهم أمت أمت . اكثر قتلاهم فيما يلي المشرق»^(١).

(١) راجع: حديث رقم ١٤ .

والفتى في قوله: «فبيعت عليه فتى من قبل المشرق يدعو الى أهل بيت النبي ﷺ»، هو شعيب بن صالح التميمي، قائد جيش الرايات السود، والجيش القحطاني هو جيش الفتى اليماني، والخليفة الذي يستخرج كارهاً من قبل هذا الجيش هو خليفة الله المهدي عليه السلام، والرجل المسمى باسم نبي حليف القحطاني والمهدي في فتح دمشق هو شعيب بن صالح التميمي، لان هذه العبارة وردت في حديث آخر يقول: «رجل مولى لبني هاشم اسمه اسم نبي» وقوله: «أكثر قتلاهم فيما يلي المشرق» تعريف بأهل الرايات السود الذين يقدمون أكثر شهداءهم على جبهة عبادان والبصرة التي مرت الاشارة الى معاركهم فيها.

الثانية: معركة المواجهة مع الصليبية العالمية، والقضاء على طواغيت العالم المسيحي، وتنتهي هذه المعركة بهزيمة الصليبية دينياً وسياسياً، بعد فتح المدينة المسيحية الكبرى، المسماة بـ(الرومية) ويكون الثقل العسكري الاكبر في جيش الامام المهدي عليه السلام في هذه المعركة لاصحاب الرايات السود، المعبر عنهم في الاخبار بـ(بني اسحاق) و(الريح الشرقية) واليهام أشارات الاحاديث التالية.

١٠٧ - فعن ابن عمر عن النبي ﷺ انه قال: «أهل فارس هم ولد اسحاق».

١٠٨ - وعن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال: «فارس عصبتنا أهل البيت، لان اسماعيل عم ولد اسحاق، واسحاق عم ولد اسماعيل».

١٠٧- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٤١٣٨.

١٠٨- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٥١٢٤.

١٠٩- وعن ابن عباس ، ايضاً عن النبي ﷺ قال : «من اسلم من فارس فهو من قریش ، هم اخواننا وعصبتنا» .

١١٠- وعن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال : «هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون الفاً من بني اسحاق ، فاذا جاؤوا نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم وانما قالوا : لا اله الا الله والله اكبر ، فيسقط احد جانبيها» .

١١١- عن كعب الاحبار قال في فتح المدينة الرومية المسيحية : «يخرج جيش من المغرب ، بريح شرقية لا ينكسر لهم مقذاف ولا ينقطع لهم حبل ، ولا ينحرق لهم قلع ولا تنتفض لهم قرية حتى يرسوا برومية فيفتحونها» .

فبنوا اسحاق في خبر ابي هريرة هم قوم سلمان اصحاب الرايات السود وانصار المهدي ﷺ في آخر الزمان ، وهم الذين ينطلقون من سواحل بلاد الشام لغزو المدينة الرومية ، والمكثي عنهم بـ (الريح الشرقية) .

وقد طبق مؤلف كتاب (عصر الظهور) حديث بني اسحاق المروي عن ابي هريرة ، على اليهود حال تجمعهم في فلسطين قبل ظهور المهدي ﷺ قبل معركته الحاسمة ضدهم ولكنه حذف قوله : «فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، وانما قالوا : لا اله الا الله والله اكبر ، فيسقط احد جانبيها» لانه وجد هذا القسم من

١٠٩- كنز العمال ، ج ١٢ ح ٣٤١٣٧ .

١١٠- صحيح مسلم ج ٤ ، كتاب الفتن ص ٢٢٢٨ ح ٩٢٠ ، مستدرک الصحيحين ج ٤ ص ٤٧٦ ، كنز العمال ج ١٤ ح ٣٨٧٧٥ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ١٢٨ ، عقد الدرر ص ١٧٧ ، نهاية البداية ج ١ ص ٧٦ .

١١١- الفتن ، لابن حماد ص ١٣٣ ، عقد الدرر ص ٢١٦ .

الحديث لا ينطبق على واقع اليهود^(١).

هذه هي اهم معارك الموطئين ضد اعدائهم منذ انطلاقة ثورتهم حتى ظهور المهدي عليه السلام ومشاركتهم الاساسية في قواته العسكرية لتحرير العالم. ولو تأملنا في الخارطة العسكرية، لمعارك العباسيين منذ بداية ثورتهم حتى سقوط دولتهم، سوف لا نجد لاسماء هذه المعارك وقياداتها واوصافها اثرأ يذكر في كتب التاريخ.

المجموعة السادسة:

الأخبار التي حددت الموقع الجغرافي للموطئين

فان هذه الأخبار حددت الموقع الجغرافي لانطلاقة الثورة في بلاد فارس وذكرت خراسان والري وقزوين والطالقان وعبادان وغيرها من المدن الايرانية الاخرى.

ولا نجد للثورة الموطئة هيمنة سياسية أو امتداداً جغرافياً خارج حدود البلاد الايرانية، الأعلى مستوى المجابهة مع اعدائها في الاراضي العراقية، وفي بلاد الشام وحتى المعارك التي تخوضها خارج حدود بلادها، نجد الأخبار تعبر عن مجاهديها بـ(أهل المشرق) وبـ(أهل فارس) و(أهل خراسان) و(بني اسحاق) و(الريح الشرقية).

وحينما تعرض الاخبار لملاحم الموطئين مع السفيناني في بلاد الشام تذكر أنه يخرجهم من فلسطين، ويرحلهم الى العراق ويبقى يلاحقهم الى بلادهم حتى يصطدم معهم في معركة ضارية في باب اصطخره من بلاد فارس. ومجمل هذه الأخبار تدل على أن ثورة الموطئين للمهدي عليه السلام تبقى

(١) كتاب عصر الظهور للشيخ علي الكوراني ص ٦٧، طبع ايران.

محصورة في نفوذها السياسي كدولة داخل بلاد فارس ، ولا تخرج عنها الآ على مستوى الدفاع عن كيانها أو التحرك لمواجهة اعدائها في اطار اهدافها الاسلامية في التوطئة للثورة المهدوية .

وهذا لا يعني أنه لا توجد قواعد جماهيرية مؤيدة وموالية لها في العالم الاسلامي خارج بلاد ايران بل تدل أخبار الظهور أن اقوى انصارها يتواجدون في بلاد باكستان ، والشام ، والعراق ، ومصر ، واليمن .

فالثورة الموطئة اذاً تختلف تماماً عن الثورة العباسية التي لم تبق محصورة في داخل بلاد فارس وانما استطاعت ان تبسط نفوذها السياسي وهيمنتها العسكرية على جميع بقاع العالم الاسلامي باستثناء بلاد الاندلس .

المجموعة السابعة: بعض الأخبار الخاصة بأهداف الموطئين

فقد ذكرت هذه الأخبار ثلاثة اهداف لثورة الموطئين وهي :

(أولاً) : احياء أمر الدين في ضمير الامة ، واعادة حاكميته الى قيادة الحياة من جديد .

(ثانياً) : دعوة الامة الى قيادتها الشرعية الاصلية المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام .

(ثالثاً) : اعلان الجهاد المسلح ضد اعداء الامة من اليهود والنصارى ووكلائهم والموالين لهم في العالم الاسلامي .

وتمثل الاحاديث التي مرّت علينا في موضوع : (الموطئون يعيدون الدين الى قيادة الحياة) ، وموضوع : (الموطئون دعاة لمذهب أهل البيت) وموضوع : (تحرير الموطئين للقدس) التطبيق النبوي لاهداف ثورة الموطئين للمهدي عليه السلام بعد الاستبدال .

وهذه الاهداف بمجموعها تشارك في ايجاد الارضية العقائدية

والسياسية والجهادية الموطنة للثورة المهدوية العالمية .

وانطلاقاً من هذه الاهداف، يفتح الثوار الايرانيون طريق الجهاد والشهادة بدمائهم بعد تفجير ثورتهم العملاقة في بلادهم، فيعيدون الى وعي الامة مفهوم الشهادة والشهيد والتضحية والجهاد من اجل المبدأ ويربطوا حاضر الامة بماضيها . وانطلاقاً من هذه الاهداف تقع المواجهة الجهادية بين الثوار المواطنين وحكام الدول العربية الموالين لليهود والنصارى، وهو معنى قوله ﷺ: «ليضرينكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»^(١).

ومن أهم اهداف حركة المواطنين الثورية والجهادية، هو تحرير فلسطين من اليهود الغاصبين، لأن قضية فلسطين من أبرز قضايا الأمة التاريخية التي ساومت عليها القيادات العربية الموالية لليهود والنصارى، وتخلت عن تحريرها، مما اوجب حلول عقوبة الاستبدال بها وهو معنى قوله تعالى: ﴿الا تنفروا يعذبكم الله عذاباً اليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾^(٢).

وتخرج القضية الفلسطينية في حركة المواطنين الجهادية من اطار المتاجرة بالشعارات، وتتحول الى مواقف سياسية وجهادية واعية وأعمال جهادية واستشهادية عظيمة لها دورها الكبير في تغيير مجرى الاحداث السياسية وموازن القوى العسكرية في العالم كله .

ومن خصائص الثورة الموطنة، تبنيها للمفاهيم القرآنية الواعية في مواجهة اعداء الأمة، كمفهوم (المستضعفين) قبال مفهوم (المستكبرين)، وقد ذكر الامام علي هذه المفاهيم القرآنية الخاصة بثورة المواطنين وهو يتحدث عن

(١) سيأتي نص هذا الحديث في الموضوعات القادمة من هذا الفصل .

(٢) التوبة: آية ٣٩ .

بعض معاركهم الجهادية في البصرة وبلاد الشام فقال: «هم اصحاب الرايات المستضعفون فيعزهم الله وينزل عليهم النصر، فلا يقاتلهم احد الا هزموه. شعارهم أمت أمت»^(١). وقال في وصفهم ايضاً: «يجاهدون في سبيل الله، قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون، فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله، لا رهج له ولا حس، وسيتبلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر»^(٢).

وفي ضوء هذه المجموعة من الأخبار الغيبية التي تعرضت لاهداف ثورة الموطنين، وبعض شعاراتها ومفاهيمها يتبين الاختلاف الكبير بينها وبين الثورة العباسية، حيث لا وجود لهذه الاوصاف والخصائص في تاريخ الثورة العباسية.



(١) راجع: حديث رقم ١٤.

(٢) راجع: حديث رقم ٩٨.

انطباق عوامل الاستبدال الايجابية

على

مجتمع ثورة المواطنين للمهدي عليه السلام

تطبيق الاستبدال على الواقع

في البداية لا بد من التمييز بين قضيتين : (الاولى): تطبيق مفهوم الاستبدال الموعود على البشارة النبوية بثورة المواطنين للمهدي عليه السلام. (الثانية): تطبيق البشارة النبوية بثورة المواطنين للمهدي ، على الثورة الايرانية المعاصرة . فان مقصودنا من (تطبيق الاستبدال الموعود على الواقع) ، لا يشمل القضية الثانية لانها خارجة عن اهداف البحث ، كما اشرنا الى ذلك في مقدمة هذا الكتاب .

اننا نريد أن نكتشف مدى الارتباط بين المغيبات القرآنية التي تنبأت بحدوث تغيرات سياسية في تاريخ الامة ، في اطار عملية الاستبدال ، وبين المغيبات النبوية التي بشرت بقيام المجتمع الايراني بثورة اسلامية توطئ للمهدي عليه السلام سلطانه في آخر الزمان ، ولا يهمنا هل تحقق هذا الأمر أم لا . والسؤال المطروح هو : لماذا نعتبر المجتمع الايراني وحده القاعدة المختارة الهيا لعملية الاستبدال الموعود ؟

والجواب : هناك قضيتان سياسيتان كبيرتان تؤكد انباء الغيب القرآنية والنبوية على حتمية وقوعهما في مستقبل الأمة وهما : (أولاً) : حتمية وقوع الاستبدال في قيادة الامة وقاعدة الرسالة في المستقبل . (ثانياً) : حتمية انطلاق ثورة المواطنين للمهدي عليه السلام من بلاد ايران .

وبعد الجمع بين اخبار هاتين القضيتين يتضح أن القيادة والقاعدة الجديدة التي تفرزها عملية الاستبدال الالهية سوف تنبثق من المجتمع الايراني بعد قيامه بثورته الاسلامية الموطنة للمهدي المنتظر عليه السلام في آخر الزمان . وقد توصلنا الى هذه الحقيقة العلمية من خلال منهجين :

المنهج الأول: درسنا من خلاله الاحاديث النبوية المفسرة لآيات الاستبدال ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وآله وصحابته والتابعين لهم ، قد طبقوها على المجتمعين (العربي والفارسي) ، واعتبروا الاول هو المستبدل والثاني هو البديل عنه .

المنهج الثاني: تأملنا في ضوءه أخبار البشارة النبوية بثورة الموطنين منذ انطلاقتها حتى تسليم رايها للمهدي المنتظر عليه السلام فوجدنا العوامل الثلاثة الايجابية للاستبدال كلها متوفرة في حركة الثورة المرتقبة وفي واقع مجتمعيها الرسالي المجاهد .

وسنحاول عرض الاحاديث النبوية الخاصة بموضوع البحث في ضوء هذين المنهجين ، فقد ورد خبر الاستبدال الموعود كحدث سياسي مستقبلي في القرآن ، وتعرضت السنة النبوية لايضاحه وبيان معانيه ، وتطبيقه على الواقع من خلال تحديدها لهوية المجتمعين المستبدل في (العرب) والبديل في (الفرس) ، كما جاء في الاخبار النبوية التالية :

١١٢- عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم﴾^(١) فسئل : من هم ؟ قال : فارس لو كان الدين بالثريا لتناولوه رجال من فارس .

١١٢- الدر المنتور ج ٧ ص ٥٠٦ ، رواه عن ابن مردويه .

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٨ .

١١٣- عن ابي هريرة انه قال : قال ناس من اصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله ! من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ، ثم لم يكونوا امثالنا ؟ قال : وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ ف ضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال : « هذا واصحابه والذي نفسي بيده ، لو كان الايمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس » .

وفي رواية عن ابي هريرة ايضاً : قال النبي ﷺ : « هم الفرس هذا وقومه » . وفي رواية ثالثة قال بعد ان ضرب على منكب سلمان : « هذا وقومه ، هذا وقومه » .

١١٤ - وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ان يشاء يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين ، وكان الله على ذلك قديراً ﴾^(١) . قال الزمخشري : « يروى عن ابي هريرة أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان وقال : انهم قوم هذا يريد ابناء فارس » .

١١٥ - وروي مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم النبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾^(٢) . قال : هم الفرس .

١١٣- صحيح الترمذي ج ٥ ح ٣٢٦٠٦ ، مصابيح السنة ، ج ٢ ص ٢١٠ ، مشكل الآثار ، ج ٣ ص ٣١ ، الدر المنثور ج ٧ ص ٥٠٦ ، رواه بطرق متعددة وقال : اخرجه عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في الاوسط ، والبيهقي في دلائل النبوة ، واخرجه الحاكم في مستدرک الصحيحين ج ٢ ص ٥٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين وواقفه الذهبي .

١١٤- الكشاف للزمخشري ، ج ١ ص ٥٧٤ .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٣ .

١١٥- الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٤٣ .

(٢) سورة الانعام : الآية ٨٩ .

وقال الزمخشري في معنى توكلهم بها : «انهم وفقوا للايمان بها ، والقيام بحقوقها ، كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ، ويتعهد ويحافظ عليه»^(١).

١١٦ - وروي عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾^(٢). قال : هم ابناء فارس .

١١٧ - روى جلال الدين السيوطي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ قال : هم أهل القادسية ، يريد ابناء فارس الذين قاتلوا المسلمين العرب في معركة القادسية .

١١٨ - وروى السيوطي عن ابن جريح في قوله تعالى : ﴿اذلة على المؤمنين﴾ ، قال : رحماء بينهم . ﴿اعزة على الكافرين﴾ . قال : اشداء عليهم . وفي قوله : ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ قال : يسارعون في الحرب .

١١٩ - وعن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ويل للعرب من شر قد اقترب ، افلح من كف يده ، تقرّبوا يا بني فروخ»^(٣) الى الله . فان العرب قد اعرضت ، ووالله ان منكم لرجالاً لو كان العلم بالثريا لنالوه».

(١) الكشاف : ج ٢ ص ٤٣ .

١١٦ - راجع : تفسير الآية في الكشاف ، والتفسير الكبير للرازي .

(٢) المائة ، الآية : ٥٤ .

١١٧ - الدر المنثور ج ٣ ص ١٠٣ .

١١٨ - المصدر السابق .

١١٩ - مشكل الآثار ، ج ٢ ص ٩٥ .

(٣) بنو فروخ كناية عن ابناء فارس لأن فروخ جد سلمان الفارسي . راجع : ترجمة سلمان الفارسي في البحار ج ٢٢ ص ٣٦٨ ح ٨ .

طرح القرآن الاستبدال الموعود بصيغة القضية المعلقة التي يتوقف تحققها في الواقع على مجموعة شروط موضوعية واوضحنا سابقاً أن تحقق الاستبدال غير منحصر بعامل واحد، بل هو يتوقف على تحقق ثلاثة عوامل تشكل بمجموعها الموقف السلبي من الرسول والرسالة في واقع المجتمع المستبدل، لكن القرآن اختصر هذه العوامل السلبية الثلاثة بكلمة واحدة هي (التولي) فقال: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾، وفسرنا التولي -الوارد في الآية- في الفصل الثالث بالاعراض عن امامة أهل البيت عليهم السلام، وعدم الالتزام بنهجهم الجهادي في تطبيق الرسالة وحماية اهدافها في الحياة .

وقد عبر القرآن عن المجتمع البديل (بالقوم) واكتفى في الحديث عنهم بالاشارات والايوصاف كقوله ﴿ثم لا يكونوا امثالكم﴾ . وقوله ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وقوله ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ وقوله ﴿لا يخافون لومة لائم﴾ .

وفهم من الاحاديث النبوية السابقة أن الصحابة كانوا على علم بحتمية تحقق الاستبدال في تاريخ الامة لكنهم لم يعرفوا المجتمع البديل، فكانوا دائماً يطرحون هذا السؤال على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا رسول الله! من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا؟ ثم لم يكونوا امثالنا؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير الى سلمان الفارسي ويقول لهم: قوم هذا الرجل، ولو كان الدين في الثريا لناله رجال من فارس» .

ولما كان المجتمع الفارسي مشركاً آنذاك فلا يتعقل أحد من الصحابة وصوله الى موقع قيادة الامة في ذلك العصر. ومن هذا المنطلق كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائماً يركز على مناولة الفرس للدين والعلم والايان، ووصولهم الى منابعه الاصيله -في المستقبل- ولو كانت في الثريا، ليؤكد حتمية توفر المقومات الايجابية في هذا المجتمع الاسلامي المرتقب لحمل

الرسالة الالهية وقيادة الامة الاسلامية، بعد تراجع المجتمع العربي عن دوره الرسالي .

حركة الاستبدال في تاريخ المجتمع الايراني

ان فعلية حركة التغيير السياسي التاريخية في اطار الاستبدال، تحتم وجود ظاهرتين اجتماعيتين متضادتين، (الاولى): سلبية انحرافية، يمثلها واقع المجتمع المستبدل. و(الثانية): ايجابية رسالية، يمثلها واقع المجتمع البديل .

لقد بدأت حركة التغيير الايجابية في تاريخ المجتمع الايراني البديل نحو الاسلام منذ انهيار الامبراطورية الكسروية على يد المجاهدين من دعاة الاسلام، ومن ذلك الوقت أخذ الفكر الاسلامي الواعي يترسخ في واقع المجتمع الايراني من خلال رغبته الحثيثة والشديدة في طلب المعارف الالهية والعلوم الدينية، وقد انتهت به هذه الرغبة العلمية الى اكتشاف الخط الاسلامي الاصيل متمثلاً بقيادة أهل البيت عليهم السلام الامر الذي دعاه ان يتخلى في اغلبيته عن المذاهب الاسلامية الاربعة التي كان يتعبد بها تسعة قرون من تاريخ اعتناقه للاسلام .

لقد صور رسول الله صلى الله عليه وآله حركة المجتمع الايراني الايجابية المتطورة نحو الاسلام بادق تصوير واعتنى بها عناية فائقة لم نجد لها نظير في اخباره الغيبية عن بقية شعوب العالم الاسلامي الاخرى . وها نحن سنواكب تلك الصور النبوية التي تمكس لنا لقطات من تاريخ المجتمع الايراني في حركته الايجابية الواعية نحو الاسلام منذ بداية انطلاقتها الاولى حتى قيامه بثورته الاسلامية الموطنة للامام للمهدي المنتظر عليه السلام في آخر الزمان.

١٢٠ - عن سهل بن سعد قال: «كنت مع النبي ﷺ بالخندق فأخذ الكرزين^(١) فحفر به، فصادف حجراً فضحك، فقلنا ما يضحكك؟ قال: «ضحكت من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في النكول^(٢) يساقون الى الجنة».

١٢١ - عن ابي الطفيل قال: «ضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: الا تسألون مم ضحكت؟ رأيت ناساً من امتي يُساقون الى الجنة، في السلاسل كرهاً! قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: قوم من العجم يسيبهم المجاهدون فيدخلون الاسلام».

١٢٢ - عن عبدالله بن عمر قال: «قال النبي ﷺ: رأيت غنماً كثيرة سوداء دخلت فيها غنم بيض. قالوا: فما اولته يا رسول الله ﷺ؟ قال: العجم يشركونكم في دينكم وانسابكم. قالوا: العجم يا رسول الله؟! قال: نعم لو كان الايمان معلقاً بالثريا لنال رجال من العجم، واسعدهم به آل فارس».

ان البشارة باسلام العجم، التي يبتسم لها النبي ﷺ فرحاً مستبشراً خاصة بابناء فارس من عجم المشرق، فهؤلاء وحدهم من بين شعوب العالم سوف يكون لهم شرف مشاركة العرب هموم الاسلام والامة، ويكون لهم الدور الاكبر في احياء امر الدين واعادته الى قيادة الحياة في اخر الزمان، ولم ترد

١٢٠- مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٢٣، قال رجاله رجال الصحيح غير محمد بن يحيى الاسلمي

وهو ثقة، كنز العمال ج ٤ ص ٥٨٧.

(١) الكرز: هو الفأس لقطع الحجر والشجر.

(٢) النكول: القيود من الحديد او غيره يكتف بها الاسير.

١٢١- كنز العمال ج ٤ ص ١٠٦٦٩، وج ١٢ ص ٢٤١٤١، ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٣، ورجالهم ثقات الأبرار فانهم اختلفوا فيه.

١٢٢- مستدرک الصحيحين ج ٤ ص ٣٩٥، وقال: صحيح على شرط البخاري وافقه الذهبي.

ترد هذه البشارة النبوية الالهم . بدليل حديث تناولهم للعلم من الثريا الذي لم يطلق في الأخبار النبوية إلا عليهم .

البشارة بطلبهم للعلم

١٢٣ - عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون ، فاذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً» . فكان ابو سعيد اذا رأى جماعة من الموالي او واحداً منهم قال : «مرحباً بوصية رسول الله ﷺ» .
* - عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ويل للعرب من شر قد اقترب افلح من كف يده ، تقرّبوا يا بني فروخ الى الله ، فان العرب قد اعرضت ووالله ان منكم لرجالاً لو كان العلم بالثريا لنا لوه» . وبنو فروخ كناية عن أبناء فارس لأن فروخ جد سلمان الفارسي (١) .

١٢٤ - عن ابي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ : لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من ابناء فارس» .

البشارة بالتزامهم الديني

١٢٥ - عن سفينة عن النبي ﷺ قال لأبي ايوب الانصاري وكان قد عمّر سلمان بالفارسية : «يا ابا ايوب لا تعيره بالفارسية ، فلو ان الدين معلق بالثريا لثأته ابناء فارس» .

١٢٣- صحيح الترمذي ج ٤ ص ٢٨٧٩ .

(١) مرفي حديث رقم ١١٩ . راجع ترجمة سلمان في البحار ج ٢٢ ص ٣٦٨ ح ٨ .

١٢٤- مجمع الزوائد ، ج ١٠ ص ٦٤ ، وقال : رجاله رجال الصحيح ، مشكل الآثار ، ج ٢ ص ٩٥ ،

كنز العمال ، ج ١٢ ح ٢٤١٣١ ، ج ١١ ح ٣٣٢٤٣ .

١٢٥- كنز العمال ، ج ١٢ ح ٢٤١٣٣ .

١٢٦ - عن ابي مسعود عن النبي ﷺ انه قال: «لو كان الدين معلقاً بالثريا، لتناوله اناس من ابناء فارس».

البشارة بكمال ايمانهم

١٢٧ - عن قيس بن سعد قال: «قال رسول الله ﷺ: لو كان الايمان معلقاً بالثريا لثاله رجال من ابناء فارس».

١٢٨ - عن ابي هريرة قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ﷺ ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة او مرتين او ثلاثاً قال: وفينا سلمان الفارسي. قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الايمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء».

كلمة حول حديث (المناولة من الثريا)

اختلفت الاحاديث فيما يتناوله الفرس من الثريا، هل هو العلم أم الدين أم الايمان؟

وفي الواقع يوجد ترابط وثيق بين معاني هذه الحقائق الثلاثة لأن الدين الحق لا يمكن الاهتداء اليه الا بوسائل العلم والمعرفة الصحيحة، وكذلك

١٢٦- كنز العمال ج ٢ ص ٣٤١٣٠، اخرجه الطبراني عن ابن مسعود، واخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٩٧٢ ح ٢٥٤٦، كتاب فضائل الصحابة لكنه رواه عن ابي هريرة.

١٢٧- مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٥، وقال: رواه ابو يعلى والبخاري والطبراني ورجالهم رجال الصحيح، مشكل الآثار ج ٣ ص ٩٥.

١٢٨- صحيح البخاري كتاب التفسير، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، صحيح الترمذي ج ٥ ح ٣٣١٠، الكشاف ج ٤ ص ٥٣٠.

الايمان الصادق الخالص من كل شائبة فانه لا ينال الا من منابع الدين الاصيله ، وكل هذه الحقائق الثلاثة الدين والعلم والايان قد تجمعت في امامة أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، وخزان العلم ، وتراجمة الوحي ، الذين انتهت الى ساحل ولايتهم ورست في ميناء علمهم وهدايتهم سفينة أهل فارس بعد رحلة البحث عن الدين الحق الشاقه الطويله التي انقذتهم من نار الشرك الى جنه التوحيد ، ومن المذاهب المختلفه الى مذهب الجماعة الواحدة المتمسكه بولاية أهل البيت عليهم السلام ، الذين جعلهم الله تعالى اماناً لأهل الارض من الاختلاف كما جعل النجوم اماناً لأهل السماء من الهلاك والدمار .

ان حديث : مناولة العلم والايان من الثريا يصور هذه الرحلة الشاقه الطويله لابناء فارس وهم يبحثون عن منابع الدين والعلم والايان الاصيله ، ولهذا تقطع جازمين بصدور جميع هذه الالفاظ الثلاثة من النبي صلى الله عليه وآله .

و«من» التبعية في قوله : «لناله رجال من فارس» فيها دلالة على عدم امكانية وصولهم جميعاً الى الثريا ، أي الى المذهب الحق المتمثل بولاية أهل البيت ، فلا بد أن تتخلف عن هذه الرحلة الجهادية المقدسة الشاقه جماعات منهم فتفتوها سفينة النجاة ، وتغرق في بحر الهلكات .

البشارة بكونهم من الفرقة الناجية

١٢٩ - عن معاوية قال : «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وانما انا قاسم والله يعطي ولا تزال من امتي امة قائمة بامر الله ،

١٢٩ - صحيح مسلم كتاب الامارة ج ٣ ص ١٥٢٤ ح ١٧٥ ، صحيح البخاري ج ٩ ص ١٢٥ ، كتاب الاعتصام بالله والسنة ، وكذلك ذكره في ج ١ ص ٢٧ ، كتاب العلم ، مصابيح السنة كتاب العلم رواه في الاحاديث الصحيحة واللفظ المثبت له ، وروى هذا الحديث اكثر من عشرين صحابياً لكن اكثرهم اسقطوا مقدمته «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». للفرقة الناجية دلائل وصفات، ومن ابرز دلائلها وصفاتها كونها تبحت عن الدين الحقّ والطريق الموصل اليه، في اجواء الاختلافات الدينية والصراعات المذهبية والفكرية والسياسية. لا يثنها عن عزمها في البحث عن الحق والهدى لومة لائم، ولا يضرها خذلان الخاذل، ولا قلة الناصر، مهما واجهت من محن وعقبات وحروب واتهامات. ومن ابرز صفاتها أيضاً أن تتخذ من العلم ومن التفقه بالدين طريقاً ومنهجاً واضحاً لتتهدي من خلاله الى معرفة الدين الحقّ في اجواء الاختلافات الدينية. ومن هذا المنطلق لابد ان تركب في سفينة النجاة المتمثلة بولاية أهل البيت عليهم السلام ومن دون ذلك لا يمكنها الوصول الى منابع الدين والعلم والايمان الاصيله.

فاذا وفقها الله تعالى للتفقه بالدين، والاهتداء به الى سفينة الراسخين بالعلم من آل محمد عليهم السلام فلا بد حينئذٍ أن تكثري بنار العشق الالهي، وتكون من عباد الله المجاهدين، الذين لا يرون الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا سفاهاً في ساحة المواجهة والقتال على الحقّ ضد المفسدين والظالمين^(١).

وهذا الحديث: «من اراد الله به خيراً يفقهه في الدين ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق...» يذكر صفتين للفرقة الناجية: (التفقه في الدين)، و(القتال على الحقّ) من اجل تحقيق اهداف الدين في الحياة.

ولا يشك احد أن صفة التفقه في الدين من ابرز ما يميّز العلماء من أبناء فارس عن غيرهم، منذ انفتاحهم على الاسلام الى يومنا هذا، وقد تجسدت

(١) هذا هو شعار الامام الحسين عليه السلام يوم كربلاء، وقد تحول هذا الشعار فيما بعد الى نهج جهادي بوجه الظلم والظالمين، يميز الجماعات الموالية لاهل البيت عليهم السلام عن غيرهم في طول التاريخ.

هذه الصفة في حياتهم من خلال رغبتهم الشديدة في طلب المعارف الاسلامية، التي اهلتهم لاحتلال موقع الصدارة في مختلف العلوم والمعارف الدينية بين شعوب العالم الاسلامي وبمرور الايام اصبح لعلمائهم الفضل الاكبر في حفظ السنة النبوية من الضياع وخاصة ما يتعلق منها باحاديث الاحكام الشرعية، في المدرستين (السنية والشيعة)، فكان ائمة (الصحاح الستة) وهم: البخاري، ومسلم النيسابوري، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة القزويني، وابو داود السجستاني كلهم من بلاد فارس اما اصلاً ونسباً او نشأة وتربيةً.

وكذلك بالنسبة لائمة (الكتب الاربعة) المعتمدة في فقه الشريعة عند الشيعة الامامية، فانها ايضاً من تصنيف الكليني، والصدوق، والطوسي، وهم جميعاً من ابناء فارس اما اصلاً ونسباً او نشأة وتربية.

وقد اصبحت على مرور الايام مدونات الحديث في (الصحاح الستة) و(الكتب الاربعة) المرجع الاساسي في فقه الشريعة وفهمها عند المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم.

ويطالعنا على الصعيد الفقهي ابو حنيفة الفارسي باعتباره اول من وضع اصول الاستنباط في الفقه الاسلامي السني على قاعدة القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، كما يطالعنا بالمقابل رتل كبير من علماء الفرس ومراجعهم العظام الذين تصدوا الى تعميق الفهم الواسع لفقه الشريعة على ضوء منهج أهل البيت عليهم السلام في المدرسة الفقهية للشيعة الامامية منذ عصر الطوسي الى يومنا هذا. واذا نظرنا الى ابرز علماء العلوم الاسلامية والانسانية والعقلية سوف نجد ايضاً لعلماء فارس الصدارة والمكانة العلمية المرموقة في اكثرها، ابتداءً من علوم اللغة العربية وآدابها، مروراً بالعلوم العقلية، كالمنطق والفلسفة وعلم

الكلام والعرفان ، وانتهاءً بعلم الطب والتفسير وغيرهما^(١).

وعن طريق التفقه في الدين اهدت الامة الفارسية الى منابعه الاصلية المتمثلة بالراسخين في العلم من ائمة أهل البيت عليهم السلام وانتهت الى الاعتقاد بولايتهم رحلتهم الشاقة الطويلة في البحث العلمي عن الحق ، المعبر عنها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بمناولة ابناء فارس للدين والعلم والايمان من الثريا . اما قتالهم على الحق حتى يأتي امر الله ، فهذا واضح في تاريخهم الجهادي مما يكشف عن صحة انطباق هذه الحقيقة الغيبية عليهم .

ولقد برز دورهم الجهادي في التاريخ منذ مشاركتهم الفعالة في اسقاط خلافة ابناء الشجرة الملعونة في القرآن مروراً بثوراتهم الاسلامية ضد الحكام الظالمين الذين تسلطوا على المسلمين بالنار والحديد ، وخاصة في ثورات المواجهة ضد الغزو المغولي الكافر ، واحتوائه لصالح الاسلام ، مما ادى الى تخلي كبار قادة المغول وزعمائهم عن عقائدهم ودياناتهم الكافرة ، فاعلنوا اعتناقهم للاسلام بملء ارادتهم ، لانهم كانوا هم حكام البلاد واصحاب السطوة والسلطان فيها ، فلا يقال بانهم امنوا بالاسلام مكرهين ، بل ان التاريخ يعترف بكل صراحة وتكريم للجهد الكبير الذي بذله العلماء والدعاة المجاهدون من ابناء فارس في هداية زعماء المغول المسيحيين الى الاسلام .

وكان ايضاً للمجاهدين من ابناء فارس دوراً عظيماً في الثورات الاسلامية التي شاركت في ارساء قواعد الاسلام وترسيخ قيمه ومفاهيمه في المجتمع الايراني مما جعله يصل الى مستوى التحدي الكبير للسياسات الكافرة والظالمة في بلاده ، وكان من أبرز هذه الثورات ثورة التنباك ، وثورة المشروطة ، وثورة المجاهد نواب صفوي ، والثورات المتلاحقة التي قادها في

(١) راجع: الفصل الثاني، موضوع: (دورهم في النهضة الثقافية).

المجتمع الايراني المعاصر الامام الخميني عليه السلام خلال ثلاثين سنة تمكن بعدها ان يقلع جذور الحكم الاستكباري الكافر من بلاد ايران ويدعو الامة الايرانية للعودة الى تحكيم مبادئ الاسلام في حياتها السياسية والتشريعية والجهادية. وتدل الاخبار الغيبية ان المجتمع الايراني سوف يقوم - في ظل ثورته الموطئة للامام المهدي عليه السلام - بملاحم جهادية متعددة ضد المخطط السفيناني والرايات المغربية والعباسية وضد الوجود اليهودي في فلسطين.

البشارة بتمسكهم بولاية أهل البيت عليهم السلام

والاخبار الخاصة بهذه البشارة، مروية بطرق كثيرة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام ومن هذه الطرق ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن الامام علي عليه السلام في خطبه مطولة تعرض فيها الى انحراف غالبية ابناء المجتمع العربي عن قيادة أهل البيت عليهم السلام وتمسك الاكثرية من الفرس الموالي بولايتهم وقيامهم بثورة اسلامية مناصرة لهم في آخر الزمان وخروجهم في نصرة المهدي المنتظر عليه السلام والخطبة طويلة جداً. سأذكر منها موضع الحاجة فقط:

* ففي خطبة ^(١) للامام علي عليه السلام أنه قال: ايها الناس ان قريشاً ائمة العرب ابرارها لا برارها، وفجارها لفجارها، الا ولا بد من رحى تطحن على ضلاله ... الا واني وابرار عترتي وأهل بيتي اعلم الناس صفاراً واحلم الناس كباراً، معنا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق وانا أهل بيت الرحمة بنا فتحت ابواب الحكمة، وبحكم الله حكمتنا، ويعلم الله علمنا، ومن صادق سمعنا، فان تتبعونا تتجوا وان تتولوا يعذبكم بأيدينا، بنا فك الله ربق الذل من اعناقكم، وبنا يختم لابكم، وبنا يلحق التالي والينا يفيء

(١) مر مصدر هذه الخطبة في حديث رقم ١٤، لكننا هناك اقتطعنا منها مقطعاً قصيراً.

الغالي ، فلولا تستعجلوا ، وتستأخروا القدر لأمر قد سبق في البشر لحدثتكم بشباب من الموالي وابناء العرب ، ونبذ من الشيوخ كالملاح في الزاد ، واقل الزاد الملح ، فينا معتبر ولشيعتنا منتظر ، انا وشيعتنا نمضي الى الله بالبطن والحمى والسيف وان عدونا يهلك بالداء والديبيلة وبما شاء من البلية والنقمة .

وايم الله الاعز الاكرم ان لو حدثتكم بكل ما أعلم لقاتل طائفة ما اكدب وارجم ، ولو التقيت منكم مائة قلوبهم كالذهب ، ثم انتخب من المائة عشرة ، ثم حدثهم فينا أهل البيت ، حديثاً لينا لا اقول فيه الأحقأ ولا اعتمد فيه الا صدقاً لخرجوا وهم يقولون عليّ من اكدب الناس ، ولو اخترت من غيركم عشرة فحدثهم في عدونا ، وأهل البغي علينا احاديث كثيرة لخرجوا وهم يقولون : على من اصدق الناس ... وبالله لقد علمت تأويل الرسالات وانجاز العادات وتمام الكلمات ، وليكونن من يخلفني في أهل بيتي رجل يأمر بأمر الله ، قوي يحكم بحكم الله وذلك بعد زمان مكلح مفضح يشتد فيه البلاء وينقطع فيه الرجاء ، ويقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعث الله رجلاً من شاطي دجلة لامر حزبه يحمله الحقد على سفك الدماء قد كان في ستر وغطاء ، فيقتل قوماً وهو عليهم غضبان شديد الحقد حران في سنة بختصر [يخضر] يسومهم خسفاً ويسقيهم كاساً مصبرة ، مصيره سوط عذاب وسيف دمار .

... الا ان من قائماً عفيفة احسابه سادة اصحابه ينادي عند اصطلام اعداء الله باسمه واسم ابيه ، في شهر رمضان ثلاثاً ، بعد هرج وقتال ، وضنك وخيال ، وقيام من البلاء ، ألا واني لاعلم الى من تخرج الارض ودائعها وتسلم اليه خزائنها ، ولو شئت ان اضرب برجلي فاقول اخرجني من هنا بيضاً ودروعاً ...» .

المحور العام لهذه الخطبة يدور حول الملاحم والفتن التي ستواجه الامة الاسلامية بسبب انحرافها عن ولاية أهل البيت عليهم السلام ، وفي مطلعها يذكر

الامام عليه السلام ان رحي الضلال نتيجة هذه الفتنة لا بد ان تطحن الامة وتمزقها بالانقسامات المذهبية والصراعات والفتن الداخلية بقيادة الزعامات العربية والقرشية، التي اعلنت عدائها لأهل البيت عليه السلام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله واستولت على الخلافة بالقهر والقوة مدعية انتسابها للشجرة النبوية متجاهلة ثمر تلك الشجرة المتمثلة بأبناء رسول الله وخلفائه من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

ويذكرنا هذا الخطاب العلوي الخاص بتورط الامة بفتن الضلال نتيجة ابتعادها عن تعاليم ائمة أهل البيت عليه السلام. لان الابتعاد عن الضلال مشروط بالتمسك بولايتهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً». ثم يعرج الامام عليه السلام معلماً الامة بخطورة انحرافها عن ولاية أهل البيت عليه السلام فيقول:

«الا واني وابرار عترتي وأهل بيتي اعلم الناس صفاراً واحلم الناس كباراً، معنا راية الحق من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، وانا أهل الرحمة، بنا فتحت ابواب الحكمة ويحكم الله حكمننا، ويعلم الله علمنا، ومن صادق سمعنا فان تتبعونا تنجوا وان تتولوا يعذبكم بايدينا...»

وهذا العذاب يقع على اعداء أهل البيت بأيدي الموالين لهم في اخر الزمان وهم اكثرهم من ابناء فارس وقليل منهم من العرب، ويمكن ان نستوحي هذا المعنى من قوله: «فلولا تستعجلوا وتستأخروا القدر لامر قد سبق في البشر لحدثكم بشباب من الموالي وابناء العرب، ونبذ من الشيوخ كالمح في الزاد، واقل الزاد الملح، فينا معتبر ولشيعتنا منتظر، انا وشيعتنا نمضي الى الله بالبطن والحمى والسيف وان عدونا يهلك بالداء والديبيلة وبما شاء من البلية والنقمة». فالامام يخاطب المجتمعين حول منبره، فيقول: لولا خشيتي عليكم من

استعجالكم للقدر، كما هي حالة سائر البشر، لاخبرتكم بانصارنا وموالينا الذين ينتقم الله بهم من اعدائنا في آخر الزمان وهم شباب من الموالي وابناء العرب.

فقد ذكر الموالي على ابناء العرب ليؤكد ان انصار أهل البيت عليهم السلام في آخر الزمان من الموالي اكثر من العرب عدداً، وهذا الكلام يطابق المغيبات النبوية التي بشرت بقيام الموالي من انصار أهل البيت عليهم السلام براياتهم السود من المشرق لئصرة الامام المهدي عليه السلام. كما يتطابق مع ما روي عن أهل البيت عليهم السلام بان اكثر انصار الامام المهدي عليه السلام من الاعاجم.

ثم يرجع الامام عليه السلام فيخبر عن بعض الملاحم والفتن التي تقع في اخر الزمان بين اتباع أهل البيت عليهم السلام واعدائهم من العرب المنحرفين عن ولايتهم، فيصف ثورة نائر من أهل بيته يخرج بامر الله قوي يحكم بحكم الله، ثم يخرج عليه حاكم سفاك للدماء من شاطئ دجلة بأمر حزبه، ثم يذكر الامام عليه السلام علامات خروج ولده الامام المهدي عليه السلام.

وهذا التأثير العلوي وان لم يذكر الامام عليه السلام الجهة التي ينطلق منها بثورته فاننا مع ذلك نقطع بأنه قائد ثورة الموطئين للمهدي عليه السلام لوجود العديد من القرائن التي تؤكد ذلك في هذه الخطبة.

منها: اتصال ثورته بالثورة المهدوية، وهذه هي صفة ثورة الموطئين. ومنها: انه من ذرية أهل البيت وهذه هي صفة قائد الموطئين للمهدي عليه السلام. ومنها: ان توجهاته في حركته الجهادية وثورته الاسلامية تتصف ببعدين: (الاول): إيماني عرفاني، وهو المشار اليه في قوله: «يأمر بأمر الله». (الثاني): سياسي ثوري، وهو المشار اليه بقوله: «قوي يحكم بحكم الله». وهاتان الصفتان تطبقان على المجاهدين في ثورة الموطئين للمهدي عليه السلام التي وصفتهم الروايات بانهم: «رهبان بالليل ليوث بالنهار»، كناية عن البعد

العرفاني والجهادي في حركتهم الاسلامية .

ومنها: ان الامام في خطبته هذه بصدد تقرير حوادث الانتقام الالهي التي تحل باعداء أهل البيت عليهم السلام من حكام العرب في آخر الزمان وقد دلت المغيبات النبوية ان هذا الانتقام الالهي لا يقع الا على يد ابناء فارس من اتباع آل محمد عليهم السلام وانصارهم في اخر الزمان . كما يفهم من قوله «ليقاتلنكم على الدين عوداً كما قاتلتموهم عليه بدءاً»^(١) .

ومنها: خروج الحاكم العراقي المجرم السفاك للدماء من شاطئ دجلة اي بغداد ، لمواجهة ثورة هذا الثائر العلوي ، وهذا الحاكم الطاغية هو احد مصاديق الحكام العرب المعادين لاهل البيت عليهم السلام الذين ينتقم الله منهم على ايدي قوم سلمان الموالين لآل محمد في آخر الزمان .

وكان من جملة ما قاله الامام عليه السلام في هذه الخطبة وهو يتحدث عن ثورة ولده المهدي عليه السلام قوله: «الا واني لاعلم الي من تخرج الارض ودائعها وتسلم خزائنها ولو شئت ان اضرب برجلي فاقول اخرجي من هاهنا بيضاً ودورعاً» .

والودائع: هي الكنوز المودعة في باطن الارض والتي لا تعرف ولا تكشف الا على يد الامام المهدي عليه السلام . كما روي من طريق الفريقين . والبيض: جمع بيضة وهي قبعة يضعها المقاتل على رأسه في المعركة . والدروع: جمع درع وهي ما يحمله المقاتل في المعارك ليقى به نفسه من ضربات سيوف الاعداء .

وقد ورد خبر عن الامام الصادق عليه السلام ان هذه البيض والدروع مودعة في الارض من قبل الملائكة وسيخرجها المهدي عليه السلام ويوزعها على انصار أهل

(١) وهو من الأحاديث الصحيحة وستأتي مصادره في الموضوعات القادمة .

البيت من ابناء فارس في آخر الزمان^(١).

البشارة بكونهم قاعدة الاسلام الثانية

١٣٠ - عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس العرب، وخير

العرب قريش، وخير قريش بنو هاشم، وخير العجم فارس».

١٣١ - عن عبدالله بن رزق المخزومي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان الله تعالى

خيرتين من خلقه، فخيرته من خلقه من العرب قريش، ومن العجم فارس».

وفي هذين الحديثين اشارة الى مرحلتين تاريخيتين من مراحل

الاستبدال الالهي في تاريخ الامة الاسلامية. مرحلة اختيار المجتمع العربي

قاعدة لحمل الامانة الالهية بعد المجتمع الاسرائيلي. ومرحلة اختيار المجتمع

الفارسي قاعدة بديلة عن المجتمع العربي بعد انحرافه عن الاسلام، والى هاتين

القاعدتين الاجتماعيتين العربية والفارسية المختارتين الهياً لهداية البشرية
أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ان الله تعالى خيرتين من خلقه»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ان الله

تعالى خيرتين من خلقه، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس»،

يتطابق مفهوماً ومصداقاً مع قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولاً

منهم يلتمو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل

لني ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل

الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^(٢).

وفي هذين الحديثين والآيات المباركة من سورة الجمعة اشارات خفية

(١) بشارة الاسلام ص ٢٤١ كتاب الغيبة للنعماني ص ٣١٥ ح ٨.

١٣٠- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٤١٠٩.

١٣١- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٤١٣٦.

(٢) الجمعة: ٢ - ٤. راجع تفسيرنا لهذه الاية في الفصل الاول.

لفلسفة نزول الاسلام في الجزيرة العربية وللابعاد الربانية وراء اختيار المجتمع العربي قاعدة ومنطلقاً للدعوة الاسلامية ثم المجتمع الفارسي من بعده. ومن المؤكد ان الموسوغ وراء هذا الاختيار الالهي لهاتين القاعدتين دون غيرهما من القواعد الاجتماعية الاخرى في العالم تكمن ورائه العديد من الاسرار الربانية والغيبية، والمقومات الايجابية والعوامل الحضارية التي لم تتوفر في غيرهما. ونحن هنا لسنا بصدد الكشف عن هذه المبررات، ولكننا نعتقد - وبشكل جازم- ان اهمها اتقياد القاعدتين وطاعتها للولاية الالهية المتمثلة بالقيادة الهاشمية المحمدية، ولولا ذلك ما رأت قریش بل ولا البشرية كلها فجر الاسلام الذي بدد جاهليتها وانقذها من الظلمات الى النور.

وبولاية أهل البيت عليهم السلام فضل الله العرب على سائر خلقه، وفضل قریش على سائر العرب، وفضل بني هاشم على سائر الناس، وفضل الفرس على سائر العجم. فالولاية المحمدية هي محور التفاضل الرباني في التعامل مع سائر شعوب العالم، سلباً أو ايجاباً، فلولا محمد عليه السلام لما اختار الله تعالى قریشاً لحمل رسالته للعالمين، ولو لم يؤمن ابناء فارس بولاية آل محمد وخلافتهم لما اختارهم الله لحمل رسالته للعالمين في آخز الزمان، ولو لم يتراجع حكام العرب عن الولاء السياسي والعقائدي لأهل البيت لما حلت بهم عقوبة الاستبدال.

١٣٢- عن ابي هريرة انه قال: «ذكرت الاعاجم عند رسول الله عليه السلام فقال: لأنا بهم أو ببعضهم أو ثق منى بكم أو ببعضكم».

١٣٢- صحيح الترمذي، ج ٥ ص ٣٩٣٢، كتاب المناقب، مصابيح السنة، ج ٢ ص ٢١٠، باب جامع المناقب، واعتبره من الاحاديث الصحيحة، جامع الاصول في احاديث الرسول، ج ٩ ص ٦٨١٦، كنز العمال، ج ١٢، ح ٣٤١٢٨.

والمراد (ببعضهم) هم عجم فارس، بقرينة الاحاديث السابقة التي مدحتهم دون غيرهم بالاضافة الى الاحاديث التي بشرت بسعادتهم بالاسلام من بين أمم الاعاجم الاخرى.

البشارة بجهادهم لاحياء امر الدين

١٣٣ - عن عباد بن عبدالله قال: «صعد عليّ على المنبر يوم الجمعة فخطب، وقد احدثت به الموالي، فقام الاشعث بن قيس فقال: غلبتنا عليك هذه الحميراء، فقال عليّ: من يعذرني؟ اما والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليضربنكم على الدين عوداً، كما ضربتموهم عليه بدءاً».

١٣٤ - وعن المنهال عن رجل قال: كنت في المسجد يوم الجمعة وعلي بن ابي طالب يخطب في المسجد على منبر من الاجر وخلفي صعصعة بن صوحان، فكلمه رجل بشيء خفي علينا، فعرفنا الغضب في وجهه، فسكت فجاء الاشعث بن قيس فجعل يتخطى رقاب الناس حتى كان قريباً فقال: يا امير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك! فضرب صعصعة بين كفتي يده وقال: انا لله وانا اليه راجعون ليبدن اليوم من امر العرب امراً كان يكتمه قال: فغضب - يعني علياً - غضباً شديداً وقال: من يعذرني من هولاء الضياطرة^(١) يتمرغ احدهم على حشايه، ويهجر اقواماً يذكرون الله فيامروني ان أطردهم واكون من الظالمين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمداً ﷺ يقول: «والله ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

١٣٣- كنز العمال، ج ٤ ح ١١٧٧٢، قال: رواه ابن جرير وصححه.

١٣٤- المطالب العالمة ج ٤ ص ٤٢٢٧، وقال سنده صحيح.

(١) الضياطر: الرجل الضخم الذي لا خير فيه، وجمعه ضياطرة.

١٣٥- وفي رواية ابن ابي الحديد قال : وجاء الاشعث اليه - يعني الي امير المؤمنين- فجعل يتخطى الرقاب حتى قرب منه ، ثم قال له : يا امير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قريك - يعني الاعاجم- فركل المنبر برجله ، حتى قال صعصعة بن صوحان ما لنا وللشعث ، ليقولن امير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر . فقال علي عليه السلام : «من عذيري من هؤلاء الضيافة يتمرغ احدهم على فراشه تمرغ الحمار ، ويهجر قوماً [يذكرون الله] افتأمرني ان اطردهم ؟ ما كنت لا طردهم فاكن من الجاهلين ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً ، كما ضربتموهم عليه بدءاً».

١٣٦- عن علي عليه السلام قال : خرج عبدان الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، قبل الصلح ، فكتب اليه موالهم قالوا : يا محمد ، والله ما خرجوا هرباً إلا من الرق ، فقال ناس [من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم] صدقوا يا رسول الله ردهم اليهم ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «ما اراكم تنتهون يا معشر قريش ، حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا [الدين من هؤلاء]»^(١) وابي ان يردهم فقال : هم عتقاء الله .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «ما اراكم تنتهون يا معشر قريش» ، خطاب موجه للصحابة الذين صدقوا دعوى المشركين في مطالبتهم بالعبدين الهاربين من الشرك الي التوحيد . اما قوله صلى الله عليه وسلم : «حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا الدين من هؤلاء» ، يعني من هؤلاء الموالى ، وقد اوضح النبي صلى الله عليه وسلم كلامه هذا

١٣٥- شرح نهج البلاغة ، لابن ابي الحديد ، ج ١٩ ص ١٢٤ .

١٣٦- مستدرک الصحيحين ، ج ٢ ص ١٢٥ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وواقفه الذهبي .

(١) هذه الكلمة ساقطة من هذا الحديث ، وهو لا يستقيم بدونها ، ونحن نعتقد أنها واردة في أصل الحديث بقرينة الاحاديث الاخرى الواردة بنفس الموضوع .

في حديث آخر في قوله: «إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي، هم اكرم من العرب فرساً واجود منهم سلاحاً يؤيد الله بهم الدين».

وهؤلاء الموالي هم المشار اليهم ايضاً في قوله: «وان لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله اذا شاء، دعاة حق يقومون باذن الله فيدعون الى دين الله». وفي قوله: «لا تزال طائفة من امتي يقاتلون.. على ابواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان، فيحیی بهم دينه كما اميت من قبل».

ان جميع المعارك والملاحم الجهادية المقدسة التي يخوضها التوار الوطنون للمهدي عليه السلام ضد الرايات العباسية في العراق والسفانية والمغربية في بلاد الشام، وجميع الرايات العربية الاخرى الموالية لليهود والنصارى تعتبر كلها تطبيقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

١٣٧ - عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم [العجم] فليضربن رقابكم، وليكونن اشداء لا يفرون».

١٣٨ - عن عبدالله بن عمر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يملأ الله ايديكم من العجم فيصيرون اسداً لا يفرون يضربون اعناقكم ويأكلون فينكم».

١٣٩ - عن ابي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوشك ان يملأ الله عزوجل ايديكم من العجم ثم يكونوا اسداً لا يفرون يقتلون مقاتليكم

١٣٧- الفتن، لابن حماد، ص ٦٤، مصنف عبدالرزاق، ج ١١ ح ٢٠٨١١، كنز العمال، ج ٣ ح ٥٥٦٣.

١٣٨- مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٣٠٤، مصنف عبدالرزاق، ج ١١ ص ٢٨٥.

١٣٩- مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٣١١، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

ويأكلون فيثكم».

١٤٠ - عن سمرة قال: «قال رسول الله ﷺ: يوشك ان يملأ الله عزوجل ايديكم من العجم ثم يكونوا اسداً لا يفرون يقتلون مقاتليكم ويأكلون فيثكم».

١٤١ - عن ابي العادية قال: «قال رسول الله ﷺ: ان العرب اذا تبعت اذئاب البقر^(١)، صب [الله] عليهم الذلة، وسلط عليهم ولد فارس فيدعون فلا يستجاب لهم».

هذه الاخبار كلها في صدد الحديث عن عوامل الاستبدال السلبية الموجبة لطرد المجتمع المستبدل من مسؤولية حمل الرسالة وقيادة الامة وقد تمثلت عوامل الطرد كلها في ترك القيادة الحاكمة في المجتمع العربي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخلي عن مسؤولية الرسالة امام الله والامة.

ونعتقد ان هذه المجموعة من الأحاديث تخبر عن تسلط الفرس على العرب في فترة متقدمة على تاريخهم نحو الاسلام الأصيل، وهي فترة الحكم العباسي الظالم ولكنها تقع أيضاً ضمن مخطط عملية الاستبدال التي تبدأ في تاريخ الأمة على مراحل وتتكامل مقوماتهم الايجابية بقيام دولة المواطنين ونزولها في ميدان الصراع السياسي مع اعداء الأمة.

١٤٠- مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٣١٠، قال: رواه احمد والبخاري، ورجال احمد رجال الصحيح. مستدرک الصحيحين، ج ٤ ص ٥١٢، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

١٤١- كنز العمال، ج ٤ ح ١٠٧٣٥.

(١) أتباع البقر: البقر كناية عن ترك المسؤولية والاعتناء بالتبعية الذليلة للغير، حتى لو كان المتبوع ممن لا يعقلون.

البشارة بسعادتهم في ظل الاسلام

١٤٢- عن طلحة الانصاري عن النبي ﷺ قال: «اسعد العجم بالاسلام أهل فارس، واشقى العرب به هذا الحي من بهز أو تغلب».

* عن عبدالله بن عمر قال: «قال النبي ﷺ: رأيت غنماً كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض. قالوا: فما أولته يا رسول الله ﷺ؟ قال: العجم يشركونكم في دينكم وانسابكم. قالوا: العجم يا رسول الله! قال: نعم لو كان الايمان معلقاً بالثريا لنالته رجال من العجم واسعدهم به آل فارس»^(١).

١٤٣- عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اعظم الناس نصيباً في الاسلام أهل فارس».

ان البشارة النبوية بسعادة المجتمع الايراني بالاسلام، لا تنطبق على الفترات التاريخية التي عاشها في ظل الخلافتين الاموية والعباسية، لما عاناه في ظلها من الظلم والجور، والفقير والحرمان من جراء سياستيهما العنصرية الجائرة المستبدة. ولم يتمكن الامام علي عليه السلام ان يجسد المضمون الحقيقي للاسلام في المجتمع الايراني، بسبب ضخامة الانحرافات التي تركتها سياسة الخلفاء الذين كانوا قبله بالاحص سياسة الخليفة الثالث العشائرية المنحرفة عن السيرة النبوية. بالاضافة الى انشغاله بالحروب الداخلية التي اشعلها عليه اعدائه في تلك الفترة القصيرة من خلافته. ولا تنطبق أيضاً هذه البشارة النبوية على عهود الحكومات الملكية التي حكمت بلاد فارس بالنار والحديد، بعد سقوط الدولة العباسية حيث لم يبق للاسلام من وجود

١٤٢- مصنف عبدالرزاق، ج ١١ ح ١٩٩٢٥، كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٤١٢٥.

(١) مرت مصادره في حديث رقم ١٢٢.

١٤٣- كنز العمال، ج ١٢ ح ٣٤١٢٦.

يحكم المجتمع الإيراني الأعلى مستوى الشعارات الفارغة من المضمون الحقيقي للدين .

ان البشارة النبوية بسعادة ابناء فارس بالاسلام ، لا يتصور تحققها الا في ظل دولة المواطنين للمهدي ، عندما يكون لهم شرف هداية الامة وعودتها من جديد الى قيم الدين ومفاهيمه الاصلية ، ويكون لهم أيضاً وحدهم شرف تحرير القدس من اليهود المغتصبين لفلسطين في آخر الزمان .

وفي ذلك العصر سوف تصيح بلاد فارس مصدر اشعاع رباني لرسالة القرآن في العالم ، وقدوة للمجتمعات الاسلامية في التضحية والفداء ، وفي مواجهة اعداء الاسلام والامة من اليهود والنصارى ومرضى القلوب من المسلمين .

وفي ظلال دولة المواطنين للمهدي ﷺ يعم الاسلام بعدله ومفاهيمه الالهية المجتمع الإيراني كله ، حينئذ يستشعر ابناءؤه وحدهم بالعزة والكرامة والحرية والامان ، ويتفهمون معنى هذه البشارة النبوية عندما يحسون بالسعادة الحقيقية للحياة في ظل الاسلام في الوقت الذي سوف يعاني المجاهدون في بقية المجتمعات الاسلامية الاخرى ، اشد انواع الظلم ، والجور ، والاضطهاد ، والتنكيل ، والقتل ، والتشريد ، والفقر ، والحرمان ، من قبل حكوماتهم الظالمة المستبدة الموالية لليهود والنصارى .

البشارة بهلاك الملوك بعد ثورتهم

١٤٤- عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال : «أول الناس هلاكاً فارس

١٤٤- كنز العمال، ج ١٤ ح ٢٨٦١٩، الفتن، لنعيم بن حماد، ص ٦ و ٨١، خريدة المعانيب، ص ١٩٦.

ثم العرب على اثرهم».

١٤٥ - عن عمر بن الخطاب قال : «تهلك العرب حين يبلغ ابناء بنات

فارس» .

من يتبع معنى كلمة : (هلاك الفرس وهلاك العرب) في اخبار الغيب النبوية يقطع بأن المراد منها ، ملوك العرب ، وملوك الفرس خاصة ، وليس عموم افراد المجتمعين العربي والفرسي ، بقرينة الأحاديث الأخرى كقوله ﷺ : «ويل لطفاة العرب من شر قد اقترب»^(١) .

ومعنى الحديث الاول : ان أول الملوك الظالمين هلاكاً في العالم هم ملوك بلاد فارس ، ثم ملوك العرب على اثرهم ، ثم يهلك بقية ملوك العالم فتهاوى عروش طواغيت الشرك وائمة الكفر في المعمورة كلها تدريجياً .

والحديث الثاني : يعطي علامة لبداية هلاك الظالمين من ملوك العرب ، متمثلة ببلوغ ابناء فارس درجة الكمال في فهم الاسلام ، ولا يتحقق ذلك لهم الا بعد استكمالهم المقومات القيادية التي تؤهلهم لحمل الرسالة الالهية للعالمين ولا يتم ذلك ما لم ينالوا الدين والايمان والعلم من الثريا ليصبحوا مؤهلين للقيام بدورهم القيادي والجهادي المرتقب ، حينئذ تكون نهاية الظالمين من ملوك العرب على ايديهم ويتحقق مصداق قوله ﷺ : «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدء» .

ان هلاك الملوك من بشارات قيام الدولة الاسلامية العالمية ، حيث تختفي بيركتها الحكومات الملكية والطاغوتية الظالمة المستبدة في بلاد فارس وبلاد العالم العربي ، بل في العالم كله . وتمثل ثورة الموطئين للمهدي ﷺ أول البشارات

١٤٥- كنز العمال، ج ١١ ح ٣١٤٨١ .

(١) روى هذا الحديث العماني في كتاب الغيبة، ص ٢٦٣ ح ٢٤ .

الالهية بيزوغ فجر الاسلام في آخر الزمان ، وعودته الى قيادة الحياة من جديد وهزيمة الملوك على يديه ، وبفضل هذه الثورة الالهية يتخلص المجتمع الايراني من عهود الظلم والجور والفرق والحرمان التي قضاها في قبضة الملوك الظالمين الذين حكموا حياته بالنار والحديد قروناً طويلة من الزمن .

وعلى اثر القضاء على ملوك الفرس ، تظهر بشائر النصر الالهى منذرة بقرب نهاية عصر الحكومات الظالمة المستبدة في العالم العربي ، ولكن لا يتحقق ذلك دفعة واحدة ، وانما على مرحلتين :

الاولى : على المستوى المعنوي بعد ان يتحول زمام المبادرة لقيادة الامة بيد قادة المواطنين للمهدي عليه السلام من ابناء فارس ، حينئذٍ ينتهي عصر الغطرسة والكبرياء لحكام العرب وملوكهم بعد ان تتكشف نواياهم الحقيقية العزيفة وتسقط جميع الاقنعة والشعارات الكاذبة التي كانوا يخدعون الامة بها قبل بزوغ فجر ثورة المواطنين للمهدي عليه السلام . وخاصة بعد ان يمدوا يد المصافحة والسلام لاسرائيل المغتصبة لبلادهم . ويعلنوا ولائهم الصادق لليهود والنصارى بدون حياء وخجل .

عند ذلك الزمان يصبح حكام العرب وملوكهم قادة من غير قاعدة لانفصالهم عن شعوبهم دينياً وسياسياً بسبب انحرافهم عن الاسلام ومطاردتهم لابنائهم المجاهدين ، وتخاذلهم عن تحرير فلسطين ومولائهم لليهود والنصارى .

الثانية : ويتم فيها القضاء الحقيقي على حكام العرب وملوكهم من خلال تصفيتهم سياسياً وجسدياً على يد الامام المهدي عليه السلام . وهو معنى الحديث القائل : « اما انه - اي المهدي - لا يبدأ الا بقرش فلا ياخذ منها الا السيف ولا يعطيها الا السيف ، حتى يقول كثير من الناس ما هذا من آل محمد ولو كان من

آل محمد لرحم»^(١). والمراد بقريش في هذا الحديث هم ملوك وطواغيت العرب خاصة .

تطبيق الاستبدال على ثورة الموطئين

نعتقد ان العلاقة بين الاستبدال الموعود وثورة الموطئين للمهدي عليه السلام هي من نوع العلاقة بين الاطروحة الالهية وتطبيقاتها الاجتماعية وهناك ثلاثة ادلة لاثبات هذه القضية :

الدليل الاول: توفر المقومات القيادية في المجتمع الايراني لحمل الرسالة وقيادة الامة كما يستفاد من البشائر النبوية السابقة^(٢) التي اخبرت عن مستقبله الرسالي . مما يؤكد بانه سوف يجسد البعد الايجابي للاستبدال في حياته السياسية والحضارية، ولا يتم ذلك الا من خلال قيامه بثورته الاسلامية الموطئة للمهدي عليه السلام في اخر الزمان .

الدليل الثاني: توفر العوامل الايجابية الثلاثة للاستبدال في حركة ثورة الموطئين للمهدي وفي مجتمعا الرسالي . واليك عرضاً مختصراً لأهم النصوص المبشرة بثورة الموطئين، والخاصة بعوامل الاستبدال الايجابية في حركة الثورة:

العامل الاول: تمسكهم بولاية أهل البيت عليهم السلام

وقد دلت عليه الاخبار التالية المبشرة بثورة الموطئين: «وان لآل محمد

(١) عقد الدرر ليوسف الشافعي ص ٢٢٧ .

(٢) راجع: البشارة بتمسكهم بولاية أهل البيت عليهم السلام، والبشارة بجهادهم لاحياء أمر الدين، والبشارة بكونهم القاعدة الثانية للاسلام.

بالطالقان لكنزاً سيظهره الله اذا شاء دعاة حق يقومون باذن الله...»^(١). «فيعث الله عليه فتى من قبل المشرق يدعو الى أهل بيت النبي ﷺ هم اصحاب الرايات السود المستضعفون فيعزهم الله وينزل عليهم النصر...»^(٢) «... وانا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وانه سيلقي أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً حتى ترفع رايات سود في المشرق انها رايات هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي»^(٣).

العامل الثاني: محاولتهم إعادة الدين الى قيادة الحياة

وقد دلت على تحقق هذا العامل ، في حركة ثورة الموطنين النصوص التالية : «اذا وقعت الملاحم بعث بعثاً من الموالي ... يؤيد الله بهم الدين»^(٤) «لا تزال طائفة من امتي يقاثلون على ابواب بيت المقدس وما حولها ... وعلى ابواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يباليون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان فيحيي به دينه كما اميت من قبل»^(٥). «دعاة حق يقومون باذن الله فيدعون الى دين الله»^(٦). «قوم يخرجون من الدنيا زهداً فيها يرد الله بهم قوماً من الكفر الى الايمان»^(٧).
فهذه النصوص كلها تؤكد الدور الرسالي للموطنين في هداية الناس

(١) راجع: حديث رقم ٢٢.

(٢) راجع: حديث رقم ١٤.

(٣) راجع: حديث رقم ٦. واللفظ هذا للحاكم في مستدرک الصحيحين.

(٤) راجع: حديث رقم ١٥.

(٥) راجع: حديث رقم ٢٣.

(٦) راجع: حديث رقم ٢٢.

(٧) راجع: حديث رقم ٢٤.

وانقاذهم من الكفر الى الايمان ومحاولتهم اعادة الدين الى قيادة الحياة .

العامل الثالث: الجهاد لحماية اهداف الدين

ان المتأمل في الاخبار النبوية الخاصة بحركة الموطئين يلاحظ انها قد شاركت بشكل مباشر بجميع نصوصها في تسليط الاضواء على الجانب الجهادي من ثورتهم انطلاقاً من بداية خروجهم بريايتهم السود القصار، وهم يطلبون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون مروراً بالاخبار التي تحدثنا عن معاركهم في جبهة عبادان والبصرة وقزوين والظالقان، وكذلك ملاحمهم الدائمة مع اصحاب الرايات الصفراء المغربية، ودخولهم فلسطين لتحريرها من اليهود المعتصين انتهاء بمعاركهم وملاحمهم العظيمة ضد القوات السفيانية . فهذه المعارك كلها تجسد البعد الايجابي للجهاد في سبيل الله في حركة الموطئين للمهدي عليه السلام.

الدليل الثالث: الدراسة المقارنة بين النظرية والتطبيق لمفهوم الاستبدال .
ونعني بهذه الدراسة استيعاب اطروحة الاستبدال القرآنية على الصعيد النظري في ضوء النصوص النبوية التي اوضحتها، ثم المقارنة بينها وبين الواقع التاريخي للامة الاسلامية في ماضيه وحاضره، لثرى مدى التطابق بين اطروحة الاستبدال الموعودة في المغييات القرآنية والنبوية والواقع الاجتماعي الذي تنبأت به . وانطلاقاً من هذه المقارنة يتحتم علينا دراسة مفهوم الاستبدال على مستوى النظرية أولاً، وعلى مستوى التطبيق ثانياً، وفي ضوء ذلك سوف تنتهي الى نتيجتين علميتين :

الاولى: وقوع الاستبدال في التاريخ الاسلامي . الثانية: انطباق الاستبدال بابعاده الايجابية على ثورة الموطئين التي تترقب انفجار بركانها من بلاد ايران .

الاستبدال على مستوى النظرية

يتلخص الاستبدال نظرياً في تخلي مجتمع القاعدة الاولى للاسلام عن دوره الرسالي والحضاري بسبب رفضه للقيادة الالهية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام المنصوص على امامتهم وعصمتهم في القرآن والسنة النبوية، بالإضافة الى تراجعه عن دوره الرسالي في تطبيق الدين وتخاذله عن حماية اهدافه بالاسلوب الجهادي .

فاذا توفرت هذه العوامل السلبية الثلاثة في واقع المجتمع المستبدل حينئذ يختار الله تعالى قاعدة ثانية بدلاً منه لنصرة رسالته، تعتقد بقيادة أهل البيت عليهم السلام الالهية وبوجوب اعادة الدين الى الحياة، وحماية اهدافه بالاسلوب الجهادي .

الاستبدال على مستوى التطبيق

تعرضت بعض الاخبار النبوية الغيبية لوصف حركة الاستبدال في تاريخ الامة على مستوى التطبيق ومن هذه الاخبار ما جاء :

١٤٦ - عن معقل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يلبث الجور بعدي الا قليلاً حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء، ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء، ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» .

ويتضمن هذا الحديث مختصر تاريخ الامة الاسلامية منذ فترة الصراع على الخلافة والانحرافات الكثيرة التي تورط بها المجتمع الاسلامي بسبب خلافاته السياسية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مروراً بسيطرة ائمة الضلال من بني

امية وبني العباس و... الخ، وبانتشار الظلم والجور خطوة خطوة على يد الحكام الظلمة الذين ملأوا الارض ظلماً وجوراً في العالم الاسلامي، انتهاءً بعودة الاسلام من جديد الى قيادة الحياة خطوة خطوة، وامتلاء الارض قسطاً وعدلاً على يد المهدي المنتظر ﷺ .

ويشتمل هذا الحديث على مقطعين :

المقطع الاول: يبدأ من قوله ﷺ : « لا يلبث الجور بعدي الا قليلاً حتى يطلع فكلما طلع من الجور شيء، ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره» .

وهذا المقطع خاص بوصف الواقع الانحرافي للمسلمين والذي بدأ تدريجياً من قضية الصراع على الخلافة بعد اغتصابها من اصحابها الشرعيين . وهذه الفترة الزمنية من تاريخ الامة هي المشار اليها في المغيبات النبوية بقوله ﷺ : «واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي، ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها»^(١) . وفي رواية قال ﷺ : «انما اخاف على امتي الائمة المضلين»^(٢) . وفي رواية قال ﷺ : «لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها واولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة»^(٣) .

وتبدأ هذه الفترة الطويلة من الانحراف والابتعاد عن الاسلام، في تاريخ المسلمين، باغتصاب الخلافة - بعد وفاة رسول الله ﷺ - من اصحابها الشرعيين، وهم الامام علي والائمة من أهل بيته ﷺ، وقد عبر النبي ﷺ عن

(١) صحيح البخاري، ج ٢ ص ١١٤، وج ٤ ص ٢٤٠ .

(٢) مجمع الزوائد، ج ٥ ص ٢٣٩، قال رواه احمد ورجاله ثقات .

(٣) مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٢٨١ . رواه احمد، والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

عملية الاغتصاب هذه بقوله: «واولهن نقضاً للحكم»، ثم تتلاحق الانحرافات عن الاسلام في المجتمعات الاسلامية وتزداد الانتهاكات لعري الدين في مختلف مجالات الحياة، «حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره» كناية عن امتلاء الارض ظلماً وجوراً.

وتجسد هذه الفترة الانحرافية في تاريخ التجربة الاسلامية السياسية بعد وفاة رسول الله ﷺ الجانب التطبيقي للاستبدال في ابعاده السلبية، وتكون الزعامات القرشية والعربية المنحرفة هي المتصدية لقيادة الامة فيها.

اما المقطع الثاني: فيبدأ من قوله ﷺ: «ثم يأتي الله بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره». ويصف هذا المقطع من الحديث - بشكل مختصر - تاريخ عودة الاسلام الى قيادة الحياة من جديد وبصورة تدريجية من خلال دخوله في ميدان الصراع السياسي والعقائدي والجهادي والحضاري مع اعدائه التاريخيين من اليهود والنصارى واوليائهم من حكام المسلمين الخونة.

وتبدأ هذه الفترة التاريخية المشرقة للاسلام في حياة الامة من عصر نهوض الحركات والجماعات والاحزاب الاسلامية بالدعوة الى الاسلام، والمطالبة بعودته الى قيادة الامة وتحكيمه في حياتها السياسية والاجتماعية والفكرية وتنتهي بقيام دولة المواطنين للمهدي ﷺ في بلاد ايران واندلاع الثورة المهدوية العالمية على اعقابها وانتشار العدل الالهي في ربوع المعمورة تدريجياً حتى «يولد في العدل من لا يعرف غيره» كناية عن امتلاء الارض قسطاً وعدلاً.

وتمثل هذه الفترة المشرقة من تاريخ الامة الجانب التطبيقي للاستبدال الموعد بابعاده الايجابية وتكون القيادات الايرانية المجاهدة من ابرز صنّاع القرار السياسي والجهادي في مواجهة اعداء الاسلام فيها.

وقريب من حديث معقل بن يسار في وصفه لواقع الامة الاسلامية وتاريخها السياسي في اطار حركة الاستبدال ببعدها السليبي والايجابي حديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ . قال : «اتينا رسول الله ﷺ فخرج الينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه فما سأناه عن شيء الا اخبرنا به ، ولا سكتنا الا ابتدأنا ، حتى مرت فتية من بني هاشم فهم الحسن والحسين ، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه ، فقلنا : يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه !؟ فقال : «انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وانه سيلقي أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً من البلاد ، حتى ترفع رايات سود من المشرق ، فيسألون الحق فلا يعطونه . فيقاتلون فينصرون ... انها رايات هدى يدفونها الى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١) .

فهذا الحديث يمثل الخلاصة التطبيقية النبوية لمفهوم الاستبدال بابعاده السلبية والايجابية في تاريخ الامة الاسلامية . فالظلم والاضطهاد وكل المأساة التي تصب على أهل البيت ﷺ تعكس الموقف السليبي من الرسول والرسالة في تجربة الخلافة الاسلامية التي تقودها الزعامات القرشية والقيادات العربية المنحرفة عن نهج الثقلين بعد رسول الله ﷺ .

وخروج أهل المشرق بالرايات السود الداعية لامر أهل البيت ﷺ والممهدة لولدهم المهدي سلطانة تعكس الموقف الايجابي من الرسول والرسالة في حركة المجتمع الفارسي البديل .

وبعد خروج رايات أهل المشرق يخرج المهدي المنتظر ﷺ فيملأ الارض قسطاً وعدلاً حيث يلد في العدل من لا يعرف غيره . وفي ضوء هذه الادلة الثلاثة اتضح لنا بما لا مجال معه للشك اطلاقاً ، ان

(١) حديث رقم ٦ . واللفظ هذا للحاكم في مستدرک الصحيحين .

ثورة المواطنين الموعودة في السنة النبوية تمثل الجانب التطبيقي لمفهوم الاستبدال الموعود في القرآن مع غض النظر عن دراسة هذه القضية في اطار الموقف السياسي العربي والايرواني المعاصر، من ائمة أهل البيت عليهم السلام، ومن قضية الاسلام كنظام سياسي يقود الحياة، ومن الجهاد من اجل تحرير فلسطين وبقية بلاد المسلمين المغتصبة .



وقفة
مع المعارضين لأخبار المواطنين

شبهات على اخبار الموطئين

تواجه احاديث الموطئين عاصفة شديدة من الاتهامات ، تشير عليها العديد من الشبهات وعلامات الاستفهام ، فهناك من يتهم العباسيين بوضعها ، وربما يوجد من يتهم الامويين في اختلاقها ، وقد تذهب جماعة الى القول بانها من وضع رواة الشيعة ، وهناك من يعتقد بانها من وضع علماء أهل السنة الذين ينتمون الى أصل فارسي .

وساقف هنا مع هذه الاتهامات والشبهات مستَوْحاً - في البداية - كلمات اصحابها ثم اعرج لمناقشتها بنزاهة وموضوعية ، متجرداً عن كل عاطفة وهوى ، لئرى مدى صحّتها ومئاتها وقابليتها على الصمود امام ادلة الدين والعقل والعلم .

مع المتهمين بني العباس بوضعها

يصنف هؤلاء احاديث الموطئين الى قسمين :

الاول : الاحاديث النبوية التي تنطبق على الثورة العباسية وهي صحيحة بنظرهم لاعتقادهم بان النبي ﷺ اخبر امته بها واعتبرها من احداث الغيب المستقبلية ، وقد تحقق ذلك في انطلاقة الرايات السود العباسية من خراسان بقيادة ابي مسلم الخراساني الذي اسقط الدولة الاموية ، ويمكن الامر لبني

العباس، وهم بدورهم ووطنوا الخلافة لولدهم المهدي العباسي ثالث خلفاء الدولة العباسية .

الثاني: الاحاديث التي اثنت على اصحاب الرايات السود ووصفتها برايات الهدى، ومدحت قوم سلمان ووصفتهم بالموطنين للمهدي في آخر الزمان، وتعرضت لجهادهم في قتال اعداء الله، ومسارعتهم في تشييد اركان الدين. فهذا القسم من الاحاديث ينظر هؤلاء كلها غير صحيحة، بل هي موضوعة من قبل بني العباس لتمكين سلطانهم ونصرة ثورتهم واستقطاب الامة الى جانبهم .

والى هذا الرأي يذهب مؤلف (موسوعة الامام المهدي)، واكثر المشككين بأخبار الموطئين للمهدي .

الجواب على هذا الرأي

انه مما لا شك فيه توجد هناك جوانب عديدة من الشبه بين الواقع التاريخي للثورة العباسية، وبين الاوصاف المذكورة لثورة الموطئين في الاحاديث النبوية، مما يوهم البعض بالاعتقاد بان الثورة العباسية هي الواقع التطبيقي الحقيقي لآخبار الموطئين للمهدي .

ولكننا قد اثبتنا في الموضوع الثاني من هذا الفصل بان ثورة الموطئين غير الثورة العباسية في ضوء الاخبار النبوية التي فرقت بينهما، واصبح هذا الامر واضحا لا مجال للشك والمناقشة فيه .

ومن الجدير بالذكر ان مؤلف (موسوعة الامام المهدي) لم يتعرض في دراسته لهذه الاحاديث التي تفرق بين الثورتين العباسية والموطئة!

والغريب ايضاً انه قد استبعد في موسوعته النصوص القرآنية الخاصة بموضوع الاستبدال الموعود، ولم يهتم كثيراً في ادخال عنصر التنبؤات القرآنية

لاستجلاء الصورة المستقبلية الخاصة بالقضية المهدوية، وكان ذلك من اكبر الاسباب التي اوقعت في كثير من الاستنتاجات الخاطئة وقللت من القيمة العلمية لموسوعته المهدوية .

علاقة العباسيين باخبار الموطئين

تناولت دراسة تاريخ الثورة العباسية، التي اسقطت الخلافة الاموية في الحلقة الخاصة بعودة العباسيين للحكم في العراق في آخر الزمان، وقد انتهت في تلك الدراسة الى حقائق تاريخية جديدة، اتضح لي من خلالها مدى الاطلاع الواسع لقادة الثورة العباسية فيما يخص انباء المستقبل، وكان عندهم كتاب خاص بهذا العلم يسمونه: (كتاب الحدثنان)، ويعبرون عنه احياناً بـ (علم البلايا والمنايا)، وعليه اعتمدوا في الفترة التاريخية التي كانوا يضعون فيها الخطط السياسية والعسكرية لاسقاط الخلافة الاموية .

واكتشفت من خلال دراستي لخطط الثورة العباسية ان قادتها قد استخدموا جميع الشعارات الدينية المستفادة من اخبار ثورة الموطئين انطلاقاً من الرايات السود التي رفعوها مروراً ببلاد خراسان التي اتخذوها منطلقاً لثورتهم وانتهاءً بشعارات الموطئين المنادية بالدعوة لامر أهل البيت عليهم السلام .
بالاضافة الى اختيارهم القاباً لانفسهم مستفادة من اخبار الامام المهدي عليه السلام الصحيحة، كلقب: (السفاح) و(المنصور)، و(المهدي) وغير ذلك من الالقاب الاخرى .

لقد بذل بنو العباس جهوداً كبيرة، من اجل ان يتطابق الواقع السياسي لثورتهم، مع ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في احاديثه التي مدح بها ثورة الموطئين، ودعى الامة الى الالتحاق براياتها والالتفاف حول قيادتها، وكان هدف بني العباس من كل ذلك الوصول الى الخلافة، واقناع الامة بشرعية ثورتهم

وخلافتهم، فلما استقرت لهم الامور انكشفت حقيقتهم واتضح زيفهم لدى المسلمين جميعاً، وبانت بالفشل كل محاولاتهم واحتيالاتهم التي بذلوها من أجل ارضاء الطابع الشرعي والديني على مخالفتهم. واليك نموذجاً من جهودهم الخائبة المفضوحة.



في بداية ثورتهم رفعوا شعار الرضا من آل محمد واعلنوا الدعوة الى امامة أهل البيت عليهم السلام وهذا الشعار في الواقع لا ينسجم مع اهدافهم السياسية ومطامعهم الخاصة بالخلافة لانه يفرض عليهم تسليم الخلافة الى احدائمة أهل البيت عليهم السلام المعاصر لثورتهم، ولكن بما ان هذا الشعار من ابرز اهداف ثورة المواطنين التي بشر النبي صلى الله عليه وآله بانطلاقها من بلاد ايران ودعى الى مناصرتها والاتفاف حول قيادتها، لذلك تبنوه وتستروا به مؤقتاً بهدف استقطاب الجماهير المسلمة لصالحهم، ولكنهم بمجرد ان استلموا الخلافة فتحوا انبياهم كالكلاب الضارية على ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله وقتلوهم شر قتيل وقتكوا بهم بابشع الاساليب التعذيبية حتى وصف ظلمهم لاهل البيت عليهم السلام الشاعر المعاصر لثورتهم بقوله:

والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس



طلب ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس من مالك ابن انس احد علماء المدينة ان يؤلف له كتاباً جامعاً في احاديث الاحكام، ليصبح فيما بعد هذا الكتاب مرجعاً للامة في معرفة الشريعة.

ومن العجيب ان الخليفة العباسي هو الذي بادر وسمى كتاب مالك بـ (الموطأ)، وقال له: ان هذا الكتاب يجب ان يوزع في جميع الامصار الاسلامية وتعمل به الامة وترجع اليه في فقه الشريعة قبل ان يستلم ولدي

لقد اراد هذا الخليفة ان يحتال على مشاعر المسلمين ويركز في تصوراتهم بأن الثورة العباسية هي المقصودة في الاحاديث النبوية المباشرة بخروج قوم من المشرق يوطنون للمهدي سلطانه .

ومن هذا المنطلق لقب نفسه بـ (المنصور) وهو من القاب شعيب بن صالح التميمي الموطئ للمهدي عليه السلام . ولقب ولده بـ (المهدي) ، وامر مالكا بكتابة (الموطأ) ليكون المنصور العباسي موطناً لولده المهدي سلطانه !

لقد غفل هذا الخليفة العباسي الفارق في حب الرئاسة والدنيا ، ان مفهوم التوطئة للمهدي الموعود لا يتجسد في انجاز كتاب يسمى بـ (الموطأ) ، وانما يتحقق في حركة سياسية وجهادية وفكرية تغييرية ، تقوم بدور رسالي رباني فاعل في الساحة العالمية ، يؤدي الى تغيير الكثير من المعادلات السياسية التي تتحكم في العالم ظلماً وعدواناً تمهيداً للثورة المهديوية العالمية .



حاول خلفاء بني العباس أن يتظاهروا امام المسلمين بسيرة اسلامية مخالفة للسيرة الاموية العدوانية ، ومن المعروف ان بني امية منعوا من تدوين الحديث النبوي اقتداءً بسيرة الشيخين وضيقوا الخناق على الرواة والعلماء ولم يطلقوا العنان لتشجيع الحركة العلمية في الامة ، فجاء بنو العباس وعملوا على خلاف سيرتهم فقربوا الرواة والفقهاء ، وفتحوا المدارس والمكاتب العلمية الكبيرة ، وشجعوا على طلب العلم وكتابته ورواية الحديث وتدوينه . ولكنهم لم يفعلوا ذلك لدوافع دينية وانما فعلوه بغضاً بالسياسة الاموية وخدمة لمصالحهم

(١) راجع هذه القضية التاريخية في كتاب: (الامامة والسياسة)، لابن قتيبة، في الاخبار الخاصة بالثورة العباسية .

العائلية ومطامعهم بالخلافة الاسلامية وكانت خدمتهم للسنة النبوية خاصة من باب انتصار الله تعالى لدينه بالرجل الفاجر . ويسجل التاريخ لهم موقنين بارزين يكشفان عن دوافعهم الدنيوية المريضة في مناصرتهم للعلم والعلماء وهما :

اولاً: تنكيلهم واضطهادهم وتقتيلهم لائمة أهل البيت عليهم السلام وابنائهم وتلامذتهم ومحاربتهم لمدارسهم ومرجعيتهم العلمية في الامة، من خلال تنصيب بعض الفقهاء من مرتزقتهم بهدف صرف وجوه المسلمين عن مرجعية أهل البيت عليهم السلام ، مع اعترافهم بانهم خزان العلم وتراجمة الوحي وورثة خاتم المرسلين عليهم السلام ، لا يبلغ احد من فقهاء المسلمين درجتهم في العلم والمعرفة والتقوى لذلك قرنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحكم القرآن واوجب على الامة الرجوع اليهم واعتبر المتقدم عليهم زاهقاً والمتأخر عن سفينة هداهم وعلمهم غارقاً .

ثانياً: صف الحافظ نعيم بن حماد المروزي كتاباً في الفتن، وضمنه اخباراً مختلفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفرق فيها بين الثورتين العباسية والموطنة للمهدي الموعود من آل محمد عليهم السلام ويذكر فيه ايضاً مجموعة اخرى تدمم الراية العباسية وتصفها براية الضلال ، وتمدح الراية الموطنة للمهدي عليه السلام وتصفها براية الهدى وما ان شاع ذكر كتابه وتداولته مدارس الكتاتيب ورواة الحديث حينئذٍ ، سارع الخليفة المتوكل العباسي لاستدعاء الحافظ بن حماد من مصر الى سامراء ، وامر باعتقاله وتعذيبه بحجة انه من القائلين بخلق القرآن ، وهي تهمة مفتعلة من قبل السياسة العباسية لتصفية معارضيه تماماً كتهمة العمالة المتداولة بين حكام العالم العربي اليوم والتي طالما استخدموها لتصفية معارضيه . وبقي شيخ الحفاظ ابن حماد في معتقل سامراء الى ان توفي في السجن . وما اكثر الرواة والعلماء والفقهاء الذين قتلتهم السلطة العباسية او رمتهم في غياهب السجن واحرقتهم في الاسطوانات ظلماً وعدواناً ، وخاصة من ابناء رسول

الله ﷻ ممن لم يكونوا على هواهم ولم يناصروا خلافتهم الظالمة .

لقد كشفت هذه المواقف التاريخية العدوانية - في السياسة العباسية ضد العلم ورجالاته المخلصين من أبناء رسول الله وحملة السنة النبوية - عن زيف الثورة العباسية التي خدعت الامة من خلال تقمصها لدور الموطئين للمهدي^(١) .

فالعلاقة بين ثورة العباسيين واخبار الموطئين هي علاقة مكر وخديعة وكذب واحتيال ، ومما يؤسف له ان تبقى هذه العلاقة الماكرة في الخطط العباسية المتلبسة بالثورة الموطئة مطلية حتى على بعض الباحثين المعاصرين من ادعاء الاجتهاد والتحقيق العلمي .

اتهام الامويين بوضعها

قد يقال : ان احاديث الموطئين من وضع الامويين واتباعهم من الرواة ، لانها في جانب منها تصور انتصار السفيناني على أهل الرايات السود الخراسانية ، فهي في هذا الجانب تحقق بعض آمال الاسرة الاموية التي تحلم بعودة الخلافة اليها مرة اخرى .

ويتضح زيف هذه التهمة اذا علمنا ان الاحاديث النبوية التي اخبرت عن انتصار السفيناني على الموطئين في فلسطين والعراق قد وصفته بأبشع الاوصاف ، وتعرضت اليه كمجرم حرب ، سفاك للدماء وهذه الاوصاف لا تخدم مصالح الامويين المتهمين بوضع هذه الاخبار ولا تعود عليهم الا بالضرر ، وخاصة تلك الاحاديث التي اخبرت عن هزيمة السفيناني في نهاية

(١) من الاخبار المروية عن طريق أهل البيت ﷺ الخاصة بثورة الموطئين تلك التي تخبر عن انتشار العلم من بلادهم الى العالم حتى يصل الى المخدرات من النساء .

المطاف وهاكاه على يد اصحاب الرايات السود في المعركة الحاسمة التي يقودها الامام المهدي عليه السلام بنفسه .

اتهام الشيعة بوضعها

قد يوجد من يهتم رواة الشيعة بوضع هذه الاحاديث بقصد الانتقام من خصومهم التاريخيين من الامويين والعباسيين وقد يستشهد لهذا الرأي بالاحاديث المبشرة بشورة الموطئين التي تظهر في بلاد فارس داعية لاهل البيت عليهم السلام ثم تنتصر في نهاية المطاف على اعدائها من قتلة شيعة آل محمد من الامويين في الشام والعباسيين في العراق في آخر الزمان .

وهذا الرأي وجيه ومقبول جداً ، لو تفردت مصادر الحديث الشيعة برواية أخبار الموطئين ، ولكن الامر ليس كذلك ، لاشترك مصادر الحديث السننية بروايتها ايضاً ، بما يفوق - من حيث العدد - ما جاء بشأنها من طرق الشيعة . وهذا هو الدافع الاساس الذي جعلنا نقدم دراسة ثورة الموطئين في ضوء احاديث أهل السنة على دراستها من خلال احاديث أهل البيت عليهم السلام .

وقد شارك في تخريج اخبار الموطئين جم غفير من حفاظ الحديث وائمتهم من أهل السنة ، كالامام البخاري ، ومسلم ، والحاكم ، والترمذي ، وابي داود ، وابن ماجه ، وابو عمر البيهقي ، واحمد بن حنبل ، وابن حماد ، وابن المنادي ، وابي عمر الداني ، وابن الشيخ ، وابن المنذر ، وابي نعيم ، والطبراني ، وابن حبان ، والبغوي ، والرافعي ، والبغدادي ، والذهبي ، وابن حجر ، والسيوطي ، وغيرهم من العلماء والائمة والحفاظ الثقات الاثبات في نظر أهل الجرح والتعديل من علماء أهل السنة .

اتهام علماء الفرس بوضعها

يعتقد البعض ان احاديث الموطئين بجملتها قد اعتنت بمدح الفرس والاشادة بدورهم الرسالي المرتقب، بالاضافة الى ذم العرب والنيل من مكائهم القيادية ودورهم الحضاري في بناء الامة وحمل الرسالة، الامر الذي يجعلنا نشك بصحتها، لما تحمل من نزعة قومية وعنصرية مرفوضة، وروح شعوبية واضحة التعصب وصريحة في التحيز للفرس، وكل ذلك مما يترفع عنه الرسول ﷺ وتتنزه عنه الرسالة الاسلامية العادلة الحكيمة.

ويذهب اصحاب هذا الرأي الى القول بعدم صحة اخبار الموطئين جملة وتفصيلاً لاعتقادهم بانها من وضع حفاظ الحديث من أهل السنة لأن اكثرهم بل كلهم من ابناء فارس، اما اصلاً ونسباً، أو نشأة وتربية، كالامام البخاري، ومسلم النيسابوري، وايبي داود السجستاني، وابن ماجة القزويني، والترمذي، والنسائي، واحمد بن حنبل الخراساني، والحاكم النيسابوري، ونعيم بن حماد المروزي، وايبي نعيم الاصفهاني وغيرهم.

ويقول اصحاب هذا الرأي ان هؤلاء هم الذين دونوا احاديث الصحاح الستة، وعليهم المعول في السنن والمسانيد، والمصنفات الحديثية الاخرى، وكتبهم وحدها هي المختصة بمدح الفرس وذم العرب مما يجعلنا نقطع بانها موضوعة من قبلهم.

ودائماً يحاول اصحاب هذا الرأي الاستشهاد بحديث: «لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس» بدعوى عدم وجوده في مرويات الشيعة، ولو كان حقاً صادراً عن النبي ﷺ لروته الشيعة عن طريق أهل البيت .

وهذه الشبهة على احاديث الموطئين ليست افتراضية - كما قد يظن البعض - بل تمثل موقفاً ثقافياً لعدد من الاشخاص ممن واجهتهم بنفسي، ومن هذا المنطلق لا بد من الوقوف معها وقفة علمية تكشف حقيقتها وتوضح دوافعها.

وسنحاول في البداية اثبات خطأ هذه الفكرة السلبية من اخبار المواطنين من خلال اثبات صحة حديث: (مناولة العلم من الثريا) لان الاعتقاد بعدم صحة هذا الحديث يمثل القاعدة الاساسية لهذه الفكرية الموهومة ، ثم نتناول بعد ذلك الادلة العلمية على صحة قضية المواطنين بشكل عام :

الادلة على صحة حديث مناولة العلم من الثريا

اما حديث «لو كان العلم في الثريا لنالها رجال من فارس»، فالادلة القاطعة على صحته كثيرة جداً، ولا يسعني ذكرها كلها في هذه العجالة، ولكن ساقصر هنا على ذكر اهمها، مما لا يمكن الطعن فيها الا من مكابر عنيد، أو مغرض يتخبط في ضلال، وهي كما يلي :

الدليل القرآني: وهو مستفاد من مفهوم الاستبدال، ومن نصوصه القرآنية والنبوية، وخلاصته: ان المجتمع البديل والمختار من قبل الله تعالى لحمل الامانة الالهية وقيادة الامة الاسلامية في آخر الزمان لا يتصور قيامه بدوره الرسالي والحضاري بصورة ناجحة وصحيحة، اذا لم تتوفر لديه المقومات الذاتية التي تؤهله لهذه المسؤولية الالهية الكبيرة، وهذا الدور السياسي والتاريخي العظيم. ومن الطبيعي ان تمثل المعارف الدينية والعلوم الالهية، من اهم تلك المقومات الذاتية في واقع المجتمع البديل وهو ما يؤكد صحة حديث: «مناولة الفرس العلم والايمان والدين من الثريا». باعتبارهم المجتمع البديل عن العرب في حركة الاستبدال السياسية التغييرية الالهية الموعودة.

الدليل العقائدي: دلت النصوص القرآنية في آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وآية اكمال الدين، وآية الصدقة بالخاتم، وعشرات الآيات الاخرى النازلة بحق أهل البيت عليهم السلام ان الدين والعلم والايمان لا يوجد بصورته المتكاملة الا عند أهل البيت عليهم السلام ولا يستمد الا من منابع الولاية الالهية المتمثلة

بهم. وتصدت لايضاح هذه النصوص القرآنية مئات الاحاديث النبوية الصحيحة والمتواترة عن رسول الله ﷺ. وحسبك منها حديث المنزلة، وحديث السفينة، وحديث الطير المشوي، وحديث الثقلين، وغيرها ... وفي ضوء هذه النصوص القرآنية والنبوية الواضحة الصريحة في فضل أهل البيت ﷺ، تعتقد الامة على اختلاف مذاهبها، بافضليتهم ديناً، وعلماء، وايماناً، على عامة المسلمين، وان الفكر الديني الاصيل لا يستمد الا منهم^(١). وهذا هو الذي تنبأ رسول الله ﷺ بوصول ابناء فارس اليه، ولو كان في الثريا مع ان غالبية العرب لم تصل اليه مع قريها من أهل البيت ﷺ، فيكون هذا الحديث من اكبر دلائل نبوة النبي ﷺ، لصدوره عنه يوم كانت بلاد فارس كلها تدين بالشرك، بل بقيت - تسعة قرون بعد اعتناقها الاسلام - بعيدة عن منابع الدين والعلم والايمان، الاصيلة المتمثلة برموز الولاية الالهية من ائمة أهل البيت ﷺ.

الدليل التاريخي: من الواضح ان المجتمع العربي انشغل بعد وفاة النبي ﷺ بالصراع السياسي على الخلافة والتنافس على حطام الدنيا الزائلة كما اخبرهم رسول الله ﷺ من قبل بقوله: «واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي، ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها»^(٢). وكانت مأساة السقيفة، والجمل، وصفين، والنهروان، وكذلك المأساة التي لحقتها في كربلاء، ووقعة الحرة، وتهديم الكعبة واحراقها وغيرها، من المآسي الاخرى تجسد

(١) هذا الاعتقاد يشترك به أهل السنة مع الشيعة، الا انهم يحصرونه في الاطار العاطفي، ويفسرون جميع الآيات والاحاديث الخاصة بفضل أهل البيت ﷺ تفسيراً عاطفياً، وكأن الله تعالى قرابة مع أهل البيت ﷺ أو ان النبي ﷺ انسان عاطفي عشائري يفضل أهل بيته على سائر المسلمين.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٤ و ج ٤ ص ٢٤٠.

الحقيقة التاريخية لما أخبرهم به رسول الله ﷺ .

وكانت من أكبر المآسي والتناجخ الخطيرة لحالة الصراع على السلطة ان أقصي خلفاء الرسول الشرعيين من أهل بيته عن موقع القيادة، وأبعدوا عن مسرح الحياة الاجتماعية في الامة، ولم يعد لهم ذلك التأثير الكبير على الصعيد الفكري، والجهادي، والسياسي في المجتمع الاسلامي، إلا في حدود مواليهم واتباعهم المخلصين لهم، وهم فئة قليلة مضطهدة من قبل الخلفاء المعتصين لحقهم .

وكان من اخطر النتائج السلبية لاقصاء أهل البيت ﷺ والانشغال في فتنة التنافس على الخلافة، ان ظهر في مجتمع دولة الخلافة الغاصبة فراغ فكري وعلمي كبير وخاصة على الصعيد الفقهي . وكان الخليفة الاول والثاني أول من أوجدا هذا الفراغ الفكري وساهما في تكريسه وتعميقه في المجتمع الاسلامي، بعد وفاة رسول الله ﷺ عندما تكاثفا على منع الصحابة من تدوين السنة والنهي عن الاهتمام بها ومنع ابو بكر الصحابة ايضاً حتى من التحدث بها لعامة المسلمين فوقف خطيباً بينهم بعد وفاة رسول الله ﷺ وقال: «انكم تتحدثون عن رسول الله ﷺ احاديث تختلفون فيها والناس بعدكم اشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً فمن سألکم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»^(١).

ويذكرنا موقف ابي بكر هذا بموقف صاحبه عمر يوم بادر وصد رسول الله ﷺ عن كتابة وصيته السياسية بشأن الخلافة بحجة ان رسول الله ﷺ يهجر قد غلب عليه الوجد فقال لهم: «حسبنا كتاب الله»^(٢).

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج ١ ص ٣، ترجمة ابي بكر .

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، صحيح مسلم، كتاب الوصية .

وكان عمر يضرب الصحابي بالدرة اذا سمعه يتحدث بشيء عن رسول الله ﷺ^(١) وكان يقول للصحابة: «لا تحدثوا الناس باحاديث رسول الله ﷺ وتشغلوهم عن القرآن»^(٢).

ويذكر التاريخ ان ابا بكر وعمر مع تأكيدهما الشديد على الصحابة، بأن لا يحدثوا الناس باحاديث رسول الله ﷺ فانهما منعوا ايضاً عدداً كبيراً منهم، عن مغادرة المدينة خوفاً من ان يذيعوا احاديث النبي ﷺ في الامصار الاسلامية الاخرى^(٣)، فاذا اضطررا الى تعيين والٍ من الصحابة على بعض الامصار، اخذوا منه اليهود والمواثيق الغليظة واكدوا عليه ان لا يتحدث عن النبي ﷺ بشيء^(٤)!!

وقد اخذ ابو بكر وعمر كل الاحتياطات اللازمة لمنع حديث رسول الله ﷺ من الاذاعة والانتشار بين المسلمين في كافة الامصار فاصدرا قراراً بجمع كل الصحف والكتب التي كتبها بعض الصحابة من حديث رسول الله ﷺ وامرا باحراقها كلها^(٥).

وعلى هذا النهج سار شيخ الامويين الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، وكذلك البقية من خلفاء الاسرة الاموية، وكان من خطاب عثمان للمسلمين في هذا الامر ان قال لهم: «لا يحلٌ لاحدٍ ان يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ لم

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤، صحيح مسلم كتاب الاداب باب الاستئذان .

(٢) سنن ابن ماجة ج ١ باب التوقي في الحديث، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣ - ٤ .

(٣) كنز العمال، ج ٥ ص ٢٣٩ .

(٤) سنن ابن ماجة، ج ١ باب التوقي في الحديث .

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١٨٨، تقييد العلم

للخطيب البغدادي، مسند الصديق لابن كثير، كنز العمال ج ٥ ص ٢٣٧ .

اسمع به في عهد ابي بكر وعمر» (١)(٢).

ولولا العلماء من ابناء فارس لم يبق للحديث النبوي اي اثر في اوساط المسلمين من أهل السنة، فهم الذين تفرغوا لكتابته وتدوينه، بعد ان طلبوه بشق الانفس وبذل المهج، ومفارقة الاهل، وهجران الاوطان، فكانوا يقصدون المدن النائية، ويجوبون بين القرى والارياف، بحثاً عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لعلهم يحصلون على حديث منهم، هذا مع بعد المسافات، وقلة وسائط النقل، وبدائيتها ومع ذلك صبروا على تحمل كل تلك المشاق، وطلبوا الحديث برغبة صادقة حتى تمكنوا في مطلع القرن الثالث من جمعه في صحاحهم ومسانيدهم وسنتهم وفي مدوناتهم وموسوعاتهم الحديثية الكبرى، وبفترة وجيزة لمع عدد منهم في مختلف فنون المعرفة الاسلامية والانسانية وبعمرور الايام اصبحت لهم وحدهم الامامة في الافتاء والقضاء والحديث، في دولة الخلافة العباسية، واصبحت كتبهم ومصنفاتهم الحديثية من اهم مراجع الحديث عند أهل السنة وخاصة صحاحهم الستة.

ولم تقتصر جهود علماء الاسلام من ابناء فارس، لحفظ الحديث النبوي وصيانته من الضياع، بتدوينه في الكتب على المذاهب الاربعة، وانما شملت مذهب أهل البيت عليهم السلام ايضاً، فكان لهم وحدهم الفضل الاكبر في تدوين احاديث الاحكام، في الكتب الاربعة، التي تعتبر من اهم الاصول المعتمدة في فقه الشريعة عند الشيعة، وقد كتبت هذه الكتب باقلام علماء من ابناء فارس، اما اصلاً ونسباً أو نشأة وتربية، امثال الشيخ الكليني، والشيخ الطوسي،

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ١ ص ٣٩٣.

(٢) تنبيه: نعتقد ان الهدف السياسي لمنع تدوين الحديث وروايته وانتشاره بين المسلمين هو المنع من انتشار وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة لعلي التي منعت من كتابتها في رزية يوم الخميس).

والشيخ الصدوق، رضوان الله تعالى عليهم جميعاً.

وفي ضوء هذه الخدمة العلمية الكبيرة، التي قدمها العلماء الافاضل من ابناء فارس، للامة الاسلامية على اختلاف مذاهبها، فيما يخص صيانة الحديث النبوي من الضياع، نستطيع ان ندرك بكل وعي وعمق معنى الحديث النبوي القائل «لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس». لأن العلم بمعناه الحقيقي لا يوجد الا في الاحاديث النبوية حيث يتوقف عليها فهم القرآن، ومعرفة فقه الشريعة، وبقية مفاهيم الاسلام في الحياة التي وردت في الغالب مجملة في القرآن الكريم.

الدليل العلمي: من اقوى الادلة العلمية المثبتة لصحة الاحاديث الغيبية، هو دليل مطابقتها مع الواقع الموضوعي الذي تخبر عنه، وهذا الدليل يلحظ فيه الشواهد التاريخية التي تثبت امكانية المطابقة وعدمها. ونحن لو تتبعنا تاريخ ابناء فارس، منذ انتمائهم للاسلام الى يومنا هذا، نلاحظ ان اقبالهم على طلب العلوم الدينية، والمعارف الالهية اكثر من غيرهم، وحادثه التفافهم حول منبر امير المؤمنين، في مسجد الكوفة ومزاحمتهم لزعماء العرب في مجلسه، بهدف الانتهال من علومه، وثناء الامام عليه السلام عليهم ودفاعه عنهم من اقدم وابرز الشواهد التاريخية المؤكدة لصحة هذه القضية الغيبية.

والوثائق التاريخية المعنية بانطلاقة النهضة العلمية في العالم الاسلامي في العصر العباسي، تضع علماء الفرس في طليعة علماء المسلمين في رواية الحديث وتدوينه، وفي مدرستي علوم العربية والتأليف فيها، وفي علوم الفقه والتفسير، والطب، والفلسفة، وعلم الكلام والعرفان^(١).

ولو اردنا ان نضع قائمة بابرز اساطين العلوم الاسلامية والانسانية، منذ

(١) راجع: الفصل الثاني (دور ابناء فارس في النهضة الثقافية).

بزوغ فجر النهضة العلمية في الامة الى عصرنا هذا، لوجدنا اكثرهم من ابناء فارس، وهو ما يؤكد صحة حديث: «لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس»، لأن المدار في صحة انباء الغيب المستقبلية، هو مدى مطابقتها مع الواقع الموضوعي الذي تخبر عنه، ومن هذا المنطلق اعتبرها ائمة الحديث، كالبخاري ومسلم وغيرهما من دلائل النبوة، اي من العلامات التي تكشف عن صدق نبوة النبي ﷺ من الله تعالى.

وبهذا البيان يتضح ان الفكرة السلبية من الاخبار النبوية التي تمدح قوم سلمان في آخر الزمان، وان تظاهرت بمظهر التحقيق، ولبست مسوح البحث العلمي، الا انها في الواقع ما هي الا اثرثة فارغة لا تستند الى دليل معتبر من الدين او العلم او العقل.

وجود الحديث في مصادر الشيعة

ان القول بعدم وجود حديث مناولة العلم من الثريا في مصادر الشيعة هو مجرد ادعاء لا يستند الى دليل علمي معتبر، وقد سمعت هذا الادعاء من بعض المشتغلين فترة من الزمن بأحاديث المهدي ﷺ.

وعلى عكس ما يقولون فأنني وجدت الحديث قد رواه المجلسي عن قرب الاسناد بسند موثق عن أبي جعفر ﷺ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان العلم منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس»^(١).

(١) البحار ج ١ ص ١٩٥ ح ١٦. عن «قرب الاسناد».

الادلة المثبتة لقضية المواطنين

وهي كثيرة ولكن توخياً للاختصار نذكر منها الادلة التالية :

الدليل الاول: نصوص الاستبدال القرآنية، التي اوضحها رسول الله ﷺ وطبقها على استبدال العرب بالفرس لحمل الرسالة وقيادة الامة في صراعها العقائدي، والسياسي، والجهادي، والحضاري ضد اعدائها من اليهود والنصارى وعمالقهم في آخر الزمان. ولم يعترض عليه أي واحد من الصحابة، مع ان المجتمع الفارسي انذاك كان يدين بعقيدة الشرك والوثنية.

وفي ضوء هذا التفسير النبوي الخاص بآيات الاستبدال يصبح الشك في اصل قضية المواطنين التي تعتبر تطبيقاً لاطروحة الاستبدال غير وارد الآ من مكابر متعسف وجاهل معاند، ومع ذلك فنحن نصر على مطالبته بالتفسير البديل لآيات الاستبدال: ﴿قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾^(١).

الدليل الثاني: اخبار المواطنين للمهدي ﷺ المروية من طريق الفريقين في اكثر من (٣٥٠) خبراً بعضها صحيح وبعضها حسن، وبعضها ضعيف منجبر، وفيها الكثير من الاحاديث المتواترة كحديث شعيب بن صالح التيمي، وحديث الرايات السود وقاتلها مع السفيناني الذي اعترف باستفاضته مؤلف موسوعة (الامام المهدي ﷺ)^(٢) وغير ذلك من الاحاديث الاخرى.

وقد بلغ مجموع الاحاديث الخاصة بموضوع (المواطنين) في كتابنا هذا (١٤٦) حديثاً، منها (٢٣) حديثاً صحيحاً وهي المذكورة في الارقام التالية: (٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٧٨، ٨٥، ٩٦، ١٠٦، ١١٠، ١١٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠).

(١) النمل، آية: ٦٤.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى، ص ٤٥٧، وكذلك في تاريخ ما بعد الظهور، ص ٢٣٩.

وهذه الاحاديث بعضها اخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وبعضها صحيح على شرط الشيخين ، او صحيح على شرط احدهما ، كالتالي اخرجها ابو عبدالله الحاكم في (مستدرك الصحيحين) ووافقه الذهبي^(١) على صحتها . او كالتالي اخرجها الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، وقال : رجاله رجال الصحيح ، وبعضها صحيح ورجالها ثقات .

ونحن اثبتنا مصادر هذه الاحاديث ، مع كلمات ائمة الحديث القائلين بصحتها في هوامش الكتاب ، الا الحديث رقم (٩) فاننا ثبتنا مصادره ، وغفلنا عن ذكر آراء ائمة الحديث فيه ، وهو مخرج في مستدرك الصحيحين للحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي واخرجه الامام احمد في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة بسند صحيح^(٢) .

اما بقية احاديث الموطئين في هذا الكتاب فهي تتراوح من جهة السند بين حسنة الاسناد كالتالي ذكرناها في الارقام التالية : (٥) ، ٦ ، ٩٧ ، ١٢١ ، ١٢٤) ، وغيرها ، او ضعيفة الاسناد لكنها منجبرة بالصحيح او الحسن وهي كثيرة .

وتوجد طائفة اخرى من احاديث الموطئين الصحيحة من طرق أهل السنة ، لكننا لم نرَ من المناسب من جهة منهجية ذكرها ودراستها في هذه الحلقة ، وستر علينا - ان شاء الله - في الحلقات الاخرى من دراستنا المهدوية . اما اذا اعتبرنا اخبار الموطئين - بشكل عام - شرحاً وتفصيلاً وتطبيقاً لنصوص الاستبدال القرآنية - وهي كذلك - ، فحينئذٍ لا نحتاج الى النظر

(١) الحافظ الذهبي : هو الذي تعقب الحاكم في مستدركه . وعلماء الحديث من أهل السنة لا يحكمون بصحة احاديث الحاكم الا اذا وافقه الذهبي عليها .

(٢) ذكرنا مصادره في حديث رقم (٩) .

والتحقيق في مصادرها واسانيدها ورجالها، بل تصحيح مقطوعة الصحة من حيث المضمون - وان كان بعضها واهياً من حيث الاسناد - لاتفاقها وتطابقها مع المفهوم القرآني فتنتطبق عليها حينئذ اقوى الادلة العلمية الحاكمة بصحة الحديث النبوي وقبوله، ويسقط منها كل ما يتعارض مع عوامل الاستبدال ومفاهيمه وان كان مروياً باسانيد صحيحة ومعتبرة.

الدليل الثالث: اتفاق العلماء من أهل السنة الذين تصدوا لدراسة احاديث المهدي عليه السلام، على صحة احاديث الموطئين، واليك عرضاً مختصراً لكلمات بعضهم، ممن اجد له كتاباً في هذا الموضوع في مكتبتي المتواضعة: اولهم الحافظ نعيم بن حماد المروزي المتوفى (٢٢٨هـ) وهو احد شيوخ الامام البخاري وقيل انه اول من جمع المسند في الحديث ذكر اخبار الرايات السود الموطئة للمهدي عليه السلام في كتابه (الفتن)، وفرق بينها وبين رايات بني العباس، وذكرها في ابواب مختلفة ومن هذه الابواب باب عنوانه: (الرايات السود للمهدي بعد رايات بني العباس، وما يكون بينها وبين السفيناني)^(١). ومنهم المؤرخ مطهر بن طاهر المقدسي المتوفى (٣٥٥هـ) ذكر أخبار الرايات السود الموطئة في كتابه: (البدء والتاريخ)^(٢)، وقال:

«قال قوم: قد نجزت هذه - يعني الرايات الموطئة للمهدي - بخروج ابي مسلم الخراساني وهو اول من عقد الرايات السود وسود ثيابه، وخرج من خراسان موطئاً لبني هاشم سلطانهم! وقال: آخرون: بل هذه تأتي بعد. وان اول الكوائن ملك يخرج من الصين من ناحية يقال لها: ختن^(٣) بها طائفة من

(١) الفتن، لنعيم بن حماد، ص ٨٤ مخطوط.

(٢) البدء والتاريخ ج ٢ ص ٢٧٥.

(٣) في الهامش قال: وفي نسخة (خنن) وفي نسخة (ختين). اقول: ولعل الكلمة مصحفة من

ولد فاطمة من ظهر الحسين بن علي رضي الله عنهم ، ويكون على مقدمته رجل كوسج من تميم يقال له : شعيب بن صالح مولده بالطالقان مع حكايات كثيرة واخبار عجيبة من القتل والاسر والله اعلم» .

ومنهم الحافظ يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي ، وهو ممن لم يعرف تاريخ وفاته ولكنه ذكر تاريخ تأليف كتابه : (عقد الدرر في أخبار المنتظر) في سنة (٦٥٨هـ) ، وقد ذكر احاديث الموطئين بالاشارة في مقدمة كتابه فقال : «فقد بشرت بظهوره - يعني المهدي عليه السلام - احاديث جمّة دونتها في كتبهم علماء هذه الامة ، وان الله يبعث من يمهّد لولايته تمهيداً ينهدم له شوامخ الاطواد»^(١) . ثم تناول احاديث الموطئين في الباب الخامس من كتابه وعنوانه : (في ان الله يبعث له من يوطئ له قبل امارته)^(٢) .

ومنهم الحافظ ابو عبدالله محمد بن يوسف الشافعي التوفلي المتوفى سنة ٦٥٨هـ ذكر احاديث الموطئين في كتابه : (البيان في أخبار صاحب الزمان) في الباب الخامس وعنوانه : (في ذكر نصرة أهل المشرق للمهدي)^(٣) .

ومنهم الشيخ محمد بن ابي بكر القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ وقد ذكر اخبار الموطئين في كتابه : (التذكرة) تحت عنوان : (باب فيه آخر في المهدي وذكر من يوطئ له ملكه) .

ومنهم الشيخ سراج الدين عمر بن مظفر بن عمر المعروف بالوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية ، وقد ذكر احاديث الموطئين في كتابه : (خريدة

→ من (خمين) ، والظاهر ان هذا المؤلف مطلع على بعض الاخبار الخاصة بالرايات السود مما لم تطلع عليه نحن .

(١) عقد الدرر ص ٥ .

(٢) عقد الدرر ، ص ١٢١ .

(٣) البيان ، ص ١٥٠ ، طبع بيروت ، دار التعارف .

العجائب وفريدة الغرائب) تحت عنوان: (ذكر الهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود)^(١).

ومنهم اسماعيل بن كثير الدمشقي المعروف بابي الفداء والمتوفى سنة ٧٧٤هـ ذكر احاديث الموطئين في كتابه: (الفتن والملاحم) وعلق عليها بقوله: «هذه الرايات السود ليست هي التي اقبل بها ابو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني امية في سنة ١٣١هـ ، بل رايات سود آخر تأتي بصحبة المهدي وهو محمد بن عبدالله الفاطمي ... يصلحه الله في ليلة .. ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه، ويشيدون اركانه، وتكون راياتهم سوداً ايضاً لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العقاب»^(٢).

ومنهم العلامة ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ، ذكر احاديث الموطئين في الباب الثاني من كتابه: (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) وقال: «الخامسة من علامات ظهوره يخرج جيش من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقاً»^(٣).

ومنهم العلامة البرزنجي الشافعي المتوفى سنة ١١٠٣هـ وقد ذكر احاديث الموطئين في كتابه: (الاشاعة في اشراف الساعة). وقال بعد ان سرد جملة منها: «هذه الرايات السود غير الرايات السود التي أتت لنصرة بني العباس، وان كان كل منها من قبل المشرق، ومن أهل خراسان وقاتلت بني امية لأن هؤلاء قلائسهم سود وثيابهم بيض وأولئك كانت ثيابهم سوداء، ولان هذه الرايات صفراء، وتلك كانت عظاماً ولأن هذه يقدم بها الهاشمي الذي على مقدمته

(١) خريدة العجائب، ص ٩٧.

(٢) نهاية البداية، ج ١ ص ٤٢.

(٣) القول المختصر ص ٤٨، طبع مكتبة القرآن، القاهرة.

شعيب بن صالح التميمي وتلك قدم بها ابو مسلم الخراساني ، ولأن هذه تقاثل بني ابي سفيان وتلك قاتلت بني مروان»^(١) .

ومنهم العلامة شمس الدين الحنبلي المعروف بالسفاريني المتوفى سنة ١١٨٨هـ، ذكر احاديث الموطئين للمهدي في كتابه : (لوائح الانوار الالهية) في الفائدة الثانية وقال : «من علامات ظهوره تأتية الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه بالبيعة»^(٢) .

ومنهم الشيخ حسن العدوي المالكي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ ذكر اخبار الموطئين في كتابه : (مشارك الانوار في فوز أهل الاعتبار) وقال : «ان وزراء المهدي من الاعاجم ...» ثم قال : «ان المقصود بالاعاجم هم القرس ...» ثم قال : «ان الله يبعث جيشاً من خراسان برايات سود نصره له»^(٣) .

ومن تناول احاديث الموطئين كل من العلامة جلال الدين السيوطي في كتابه : (الحاوي للفتاوي) ، والشيخ علي بن سلطان الحنفي في كتابه : (المشرب الروي في مذهب المهدي) ، والشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه : (فرائد الفكر في الامام المهدي المنتظر) ، والعلامة المتقي الهندي في كتابه : (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) ، وكذلك في موسوعته الحديثية الكبرى المعروفة بـ (كنز العمال) .

واكتفي بهذا القدر القليل من اقوال المحققين من علماء أهل السنة في احاديث الموطئين للمهدي ﷺ ، ويظهر من عناوين كتبهم وكلماتهم حولها انهم متفقون على صحتها فلم تر من يطعن منهم بها ، بل يرسلونها في كتبهم

(١) الاشارة، ص ١١٤ .

(٢) لوائح الانوار، ج ٢، في الفائدة الثانية من سيرة الامام المهدي ﷺ .

(٣) مشارق الانوار، ص ١١٢ - ١١٥ .

ومصنفاتهم ارسال المسلمات ويعلقون عليها بما يوضحها ويرفع الابهام والغموض عنها، ويبين الفوارق بينها وبين اخبار الرايات السود العباسية .

الدليل الرابع: الدليل العقلي الحاكم بضرورة قيام مجتمع اسلامي يتحمل مسؤولية التمهيد للثورة الاسلامية العالمية قبل ظهور قائدها الامام المهدي عليه السلام .
فمن الثابت - بالدليل العقائدي - ان الامام المهدي عليه السلام لا ينتصر على اعدائه بالمعجزة، والآ لما كان هناك مبرراً لتأخير ظهوره حتى الآن، لأن المعجزة بأمر الله تعالى يجريها على يد انبيائه واوليائه متى اراد، ولا تتوقف اقامتها على ظروف خاصة لأنها خارقة للظروف والاسباب الطبيعية فتأخر ظهوره - مع حاجة البشرية الملحة اليه - يؤكد انه يتوقف على اسباب طبيعية وظروف موضوعية - ايمانية وسياسية وفكرية وجهادية وأمنية - لم تنهياً في المجتمع الاسلامي حتى الآن، ومتى تهيأت وتحققت على الارض مجتمعة ظهر الامام المهدي عليه السلام وقام بثورته العالمية الموعودة .

وهذه الظروف والاسباب الطبيعية تتمثل في الواقع بالشروط الايجابية الخاصة بقانون الاستبدال التي يجب ان تتكامل في المجتمع البديل وتشارك في اعداد الكوادر القيادية والوزراء والانتصار الخاصين بالثورة المهدوية العالمية .
ومن الثابت ايضاً في الاحاديث النبوية المبشرة بالمهدي عليه السلام ان ثورته عالمية الابعاد، تستهدف الاطاحة بائمة الكفر والشرك ورموز الضلال والفساد في العالم وترمي الى قلع جذور الظلم وتطهير المعمورة من جميع مظاهر الانحراف والفساد .

ومن الثابت - عقلاً - ان ثورة بهذا البعد العالمي، وبهذا المستوى من التصميم والتحدي لا بد ان تعاديا وتتفق علي حريها والقضاء عليها عواصم الكفر ورايات الضلال كلها .

ومن هذا المنطلق نقول: إنه لا يمكن - عقلاً - ان تتصور انتصار الثورة

المهدوية بعيداً عن التدخل الاعجازي الا اذا توفرت لها قاعدة اجتماعية ذات ابعاد وامكانيات وقدرات دولية تقوم بمهمة التمهد لها عالمياً على الصعيد الفكري، والسياسي، والجهادي من خلال النزول في ميدان الصراع الدولي وارباك المعادلات السياسية والاقتصادية والعسكرية المتحكمة بالعالم ظلاً وجوراً، كما تقوم هذه القاعدة الممهدة بتوفير الكوادر القيادية الكفوءة واعداد الجيوش العقائدية المجاهدة لكي تكون بمستوى تحقيق الاهداف الكبرى للثورة المهدوية .

وكل ما ذكرناه لا يتحقق الا في ظل تجربة اسلامية تقام قبل ظهور الامام المهدي، تؤمن بولايته وامامته، وامامة آبائه صلوات الله عليهم جميعاً، وتسمي لتحقيق مبادئهم واهدافهم في الحياة، وهذا هو معنى حتمية قيام دولة المواطنين للمهدي التي بشرت بها النصوص القرآنية في موضوع الاستبدال، وربطت بينها وبين ولاية أهل البيت في آية الصدقة بالخاتم، ثم جاءت النصوص النبوية شارحة لهذه النصوص القرآنية ومؤكدة حتمية قيام هذه الثورة الاسلامية الموالية لاهل البيت والممهدة لمهديهم الموعود وهذا هو معنى قوله ﷺ: «وان لآل محمد بالطائفتان لكنزاً سيظهره الله اذا شاء، دعاة حق يقومون بأذن الله فيدعون الى دين الله». وقوله ﷺ: «إن لاهل بيت نبيكم آمارات ... ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيدعون له وينصرونه» .

وقد تبني هذا الدليل العقلي ابن خلدون في (مقدمته)، حينما تعرض لموامل انتصار الثورة المهدوية فقال: «والحق الذي ينبغي ان يتقرر لديك، أنه لا يتم دعوة في الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله فيه، وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي

اريناك هناك»^(١).

وايضاً المع الى هذا الدليل الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي الطائي في كتابه: (الفتوحات) وقال ما هذا نصه: «وان الله يستوزر له -يعني للمهدي- طائفة هياهم له من مكنون غيبه، وهم على اقدام رجال من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم من الاعاجم ما فيهم عربي ولكن لا يتكلمون الا بالعربية»^(٢).

وقد اوضح معنى كلام ابن عربي الشيخ حسن العدوي المالكي فقال: «إن وزراء المهدي من الاعاجم...». ثم قال: «إن المقصود بالاعاجم هم الفرس...». ثم قال: «إن الله يبعث جيشاً من خراسان برايات سود نصره له»^(٣).

ان اصحاب المهدي عليه السلام ووزرائه الذين وصفهم ابن عربي على صفات رجال من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لا يبلغون هذه الدرجة من الكمال بالمعجزة وانما بالتربية الطبيعية، ومن خلال تجربة الموطئين للمهدي التي تقام في بلاد فارس قبل ظهوره، فتخوض معارك فكرية سياسية وجهادية مختلفة مع اعدائها. تؤهل بعض ابنائها الى مستوى القيادة والوزارة في دولة المهدي العالمية.

ومن الضروري ان تنبه القراء الى اننا لا ننفي اجراء الله تعالى المعجزة الخارقة للقوانين الطبيعية على يد وليه وخليفته الامام المهدي عليه السلام من اجل اثبات صحة دعوته وصدق انتماؤها الى الله تعالى ويهدف ابطال دعوى كل من

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٢٧.

(٢) الفتوحات، ج ٣، باب ٣٦٦.

(٣) مشارق الاتوار، ص ١١٢، و ص ١١٥.

يدعي المهدوية كذباً من دون ان يقدر على الاتيان بالمعاجز الالهية التي تثبت صحة مدعاه ، ولكن على اي حال لا تكون معاجز المهدي عليه السلام هي السبب الاكبر لانتصاره على اعدائه .

الدليل الخامس : المطابقة مع الواقع ، وهو من اقوى الادلة العلمية التي تثبت صحة اخبار الغيب ، وهو ايضاً دليل عام لشموله اخبار الغيب الماضية والحاضرة والمستقبلية ، سواء وردت بسند صحيح او حسن أو ضعيف ويشمل حتى التي لم تسند لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالمسندة للصحابة او التابعين او لتعابعي التابعين ، أو لبعض المتبشرين ، لان الحكم النهائي على صحة جميع انباء الغيب ، او عدم صحتها هو مدى مطابقتها مع الواقع الموضوعي الذي تخبر عنه .

اما صحة السند او عدمه فلا يلتفت اليه في دراسة اخبار الغيب ، الا في اطار دراستها قبل تحققها في الخارج وقد توهم العلامة الصدر في (موسوعة الامام المهدي) حينما اعطى دراسة اسانيد المغيبات اهمية كبرى من دون ان ينتبه الى هذا المقياس العلمي الذي له وحده الحق في اصدار الحكم النهائي سلباً أو ايجاباً عليها .

ومن هذا المنطلق جاء التعبير عن انباء الغيب بدلائل النبوة ، ولا يصح اطلاق هذا العنوان عليها الا بعد تحققها على ارض الواقع ، خلافاً لما فعله اكثر ائمة الحديث كالامام البخاري وغيره من علماء أهل السنة ، لأن الخبر الذي لم يكشف الواقع الموضوعي عن صحته ولم يتحقق بعد لا معنى لاعتباره من دلائل النبوة أو علاماتها ومعجزها .

وقد لاحظنا أن علماء الشيعة اكثر دقة في استعمال هذا العنوان معاجز النبوة او الامامة من علماء أهل السنة لانهم لا يطلقونه الا على الاخبار الغيبية الصادرة عن النبي او الامام المعصوم عليه السلام ، بعد تحققها وثبوت صدقتها من خلال مطابقتها مع الواقع الذي تخبر عنه ، حينئذٍ يعتبرونها من دلائل النبوة أو الامامة ،

ومن معاجزها .

ونحن اذا اخضعنا اخبار الموطنين لهذا المقياس فسوف نجدها تفوق جميع المغيبات في مطابقتها الدقيقة للواقع التاريخي في ماضيه وحاضره ، مع أنه لم يتحقق من اخبارها في الواقع الموضوعي الا الشيء القليل .

فلو تأملنا في العوامل السلبية الثلاثة وهي التخلي عن قيادة أهل البيت عليهم السلام ، وترك الجهاد من اجل تطبيق الرسالة وحماية اهدافها في الحياة ، ثم التنازل عن تطبيق الشريعة واستبدالها بانظمة وضعية وعشائرية وحزبية وعائلية ظالمة ، فسوف نجدها كلها قد تمت وتحققت في واقع المجتمع العربي المستبدل .

وهكذا بالنسبة للعوامل الايجابية الثلاثة التي تؤهل المجتمع الايراني البديل لحمل الرسالة وقيادة الامة في صراعها السياسي والحضاري مع اعدائها في آخر الزمان فان اكثرها ايضاً قد تحققت على ارض الواقع .

ومن تلك العوامل الايجابية التي ظهرت في تاريخ المجتمع الايراني واثبت الواقع تحققها قضية مناولتهم للعلم والدين والايمان من الثريا ، وهي القضية التي اشبعناها بحثاً وتحقيقاً في الموضوعات السابقة .

وستأكد من مطابقة اخبار الموطنين مع الواقع الموضوعي الذي تخبر عنه ، عندما يقومون بثورتهم الاسلامية ، ويقاثلون على الحق اصحاب الرايات العباسية والمغربية والسفيلية وغيرها من رايات حكام الدول العربية المنحرفة عن الاسلام ، حينئذ سنرى مصداق قوله عليه السلام : «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً» . وسنزداد اطمئناناً ووثوقاً بصحة قضية الموطنين للمهدي ، وبدور أبناء فارس الجهادي في آخر الزمان . حينما نشاهد راياتهم السود تتطلق من بلاد خراسان وقم وطهران لتحرير فلسطين من اليهود المغتصبين في الوقت الذي تعلن فيه الحكومات العربية المتخاذلة الخائنة عن

ولانها الصريح لليهود والنصارى واعترافها الدليل بدولة اسرائيل دولياً . فهذا الدليل وحده كاف لاثبات صحة قضية المواطنين للمهدي عليه السلام .

وفي ضوء هذه الادلة العلمية المؤكدة لصحة قضية المواطنين ، من خلال شرحها وتوضيحها لمفاهيم الاستبدال وقوانينه الالهية ، نجد أصحاب الموقف السلبي من قضية المواطنين ، قد تعاملوا معها بعيداً عن العقلانية والموضوعية العلمية بل بوحى من عواطفهم القومية وغيرتهم على العروبة ، متسترين بالفظاء الديني وبعض المفاهيم الاسلامية الواعية ، بدعوى تنزيه الفكر الاسلامي من الحركات الشعبوية والنزعات العنصرية ، ولو طلبنا من هؤلاء الحريصين على الاسلام ان يقدموا لنا فهماً واعياً وتفسيراً صحيحاً لظاهرة تفضيل الله لبني اسرائيل على العالمين ، في القرآن ، لولوا على ادبارهم ناكسين او لجاؤونا بأدلة تعزز الاعتقاد بصحة قضية المواطنين باعتبارها تجسد ذات الاطروحة الالهية التي تمثلت في تجربة بني اسرائيل التي فضلهم الله تعالى بها على العالمين في عصرهم .



مع المواطنين
في تأملات فكرية واعية

في ظلال أحاديث المواطنين للمهدي

«يأتي قوم من المشرق، معهم رايات سود صفار، يخرجون من خراسان، ثيابهم بيض، وقلانسهم سود، كأن قلوبهم زبر الحديد، شعارهم، امت، امت، هم اصحاب الرايات السود المستضعفون، فيعزهم الله، وينزل عليهم النصر، فلا يقاتلهم احد الا هزموه، اكثر قتلاهم مما يلي المشرق، هم اكرم من العرب فرساً واجود منهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين، دعاة حق يقومون بأذن الله فيدعون الى دين الله، يرد الله بهم قوماً من الكفر الى الايمان، فان الله ينظر اليهم في الدنيا فيرحم به أهل الارض لا يضرهم خذلان من خذلهم، ولا يضرهم خلاف من خالفهم محشوة قلوبهم ايماناً حشوة الرمانة من الحب، رهبان بالليل ليوث بالنهار، رجال عرفوا الله حق معرفته، هم انصار المهدي، في آخر الزمان فمن سمعهم فليأتهم ولو جواً على الثلج، انها رايات هدى يدفعونها الى رجل من أهل بيتي».

هذه هي حركة الرايات السود الموطنة للمهدي ﷺ كما وصفتها احاديث البشارة النبوية، فعندما تتأملها وتنصفح في كلماتها المتنوعة وكلماتها الجميلة تحس بتلاقي المعاني، واتحاد المفاهيم واتفاقها على مضمون واحد، رغم الاختلاف الظاهر في عباراتها والتنوع في كلماتها، مما يؤكد بأن احاديث البشارة كلها تصف ظاهرة واحدة لحدث اسلامي كبير مرتقب.

ونحس خلال مطالعنا لهذه البشارة بانها تسطع بأنوار الوحي، وتشع باقباس النبوة لتثير الطريق أمام المجاهدين، وتبعث الامل بقرب النصر الالهي الموعود في نفوس اليائسين وتأخذ بابصار أهل الارض جميعاً نحو بلاد فارس لينظروا باعجاب واكبار واجلال الى قوم سلمان أنصار آل محمد ﷺ آخر الزمان.

لنقف وقفة تأملية في ظلال احاديث الموطئين نستلهم من بعض معانيها الزاخرة بالايمان والجهاد، ونسترشد ببعض اقباسها ونتور من عطائها ومفاهيمها المعطرة بانفاس الوحي وهدى النبوة.

التحقوا برايات الموطنين

«إذا رايتم الرايات السود قد اقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج»^(١) ... إذا سمعت الرايات السود مقبلة من خراسان، فكنت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل وذلك الصندوق حتى تقتل تحتها»^(٢).

ماذا يعني رسول الله ﷺ بهذه الكلمات؟! فبلاد الجزيرة العربية ليست بلاداً ثلجية ولم تكن في عصر النبوة مغلقة على احد بل كانت مفتوحة للناس جميعاً، لا يمنعهم من الدخول اليها ولا يصد الراغبين منهم بالرحيل عنها احد، وهكذا كانت على شاكلتها بلدان العالم كله الى عصر ليس ببعيد، فماذا يريد النبي ﷺ المبشر والرسول المنذر بالصندوق المقفل؟!

إنها عين الغيب الالهي، متوجهة نحو الارض لتتظر الى المستقبل البعيد في بلاد فارس الجبلية المعروفة بكثرة تساقط الثلوج عليها، لتخبرنا على لسان

(١) حديث رقم : ٩.

(٢) حديث رقم : ٨.

خاتم المرسلين ﷺ عن عواصف ثورة المواطنين للمهدي التي يتفجر بركانها على ارض ايران الجبلية وفي فصل تساقط الثلوج عليها .

أيها المسلمون! فمن ارض هذه الثورة سوف ينطلق الزحف المقدس لتحرير فلسطين بقيادة اصحاب الرايات السود، ولمواجهة قوات السفيناني المناصر لليهود فاذا سمعتم بالزحف الاسلامي الموطن للمهدي ﷺ متوجهاً نحو فلسطين من هناك، فبادروا للاتحاق به ولو حبواً على الثلج .

إنه اسلوب رباني آخر، لتحديد هوية الثورة والدعوة لنصرتها والاتحاق براياتها من خلال تحديد موقعها الجغرافي واعطاء مواصفات لمناخها الثلجي الذي يختلف عن مناخ الجزيرة العربية .

والصندوق المقفل ماذا يعني!؟

إنها ايضاً رؤيا الغيب الالهي التي تنظر الى مستقبل العالم الاسلامي في آخر الزمان، عندما يتمزق الى دويلات صغيرة ويصبح نهياً للطامعين الغزاة، ويتحول الى صناديق مقفلة على اهلها، انها صناديق الحدود الجغرافية المصطنعة التي وضعها الكافرون الغزاة المحتلون لبلادنا بعدما تقاسموا وطننا الاسلامي الكبير الى دويلات صغيرة متناثرة متصارعة فيما بينها .

وهي كذلك صناديق الحواجز المذهبية التي لم يعرفها المسلمون في عصر النبوة، وصناديق النزاعات القومية المزيفة التي يفتعلها اعداء الاسلام بين الشعوب الاسلامية المختلفة في لغاتها والوانها، وهي ايضاً صناديق الحكومات والسياسات الظالمة المفروضة بالقوة على بلاد المسلمين والتي تحكم فيهم بالنار والارهاب والحديد .

فهذه الصناديق كلها من صنع اعداء الاسلام، والاسلام منها براء واقفالها كلها مصممة على يد الكافرين من اليهود والنصارى حكام السياسة العالمية

المستكبرة، وهي جميعها تستهدف سلب المسلمين حريتهم في الاختيار وتصدهم من اتخاذ الموقف الشرعي والقرار السياسي الذي تمليه عليهم عقيدتهم ورسالتهم الالهية .

فاذا تحققت البشارة النبوية بثورة المواطنين على ارض ايران، حينئذ يشتد على المسلمين المجاهدين من عشاق الثورة في العالم الاسلامي الحصار وتكثر الاقفال والصناديق التي تمنعهم من السير على نهجها والاتحاق بركبها الجهادي .

فاذا هبت رياح الثورة الموطنية على العالم، وخربت معادلاته السياسية وايقظت الشعوب المستضعفة من غفوتها والمسلمين المظلومين من نومتهم وبدأت تهز كراسي الحكام الظالمين المتسلطين على شعوبهم بالنار والحديد، واخذت تهدد مخططات المستكبرين وتوجه الضربات لمصالحهم، وانطلق عشاق الثورة في تحطيم الصناديق وتكسير اقفالها المحكمة، حينئذ لا بد ان يفكر اعداء الاسلام والثورة باختراع صناديق واقفال جديدة لمحاربة جيل ثورة المواطنين وانصارها في العالم الاسلامي عند ذلك يزداد عدد الصناديق وتكثر اقفالها من خلال الاعلام الكاذب، والدعايات المزيفة، والافكار المضللة، والثقافة الدينية المسمومة التي تستهدف تشويه حقيقة الثورة الموطنية، والنيل من هبتها والحط من قدسية قيادتها ومكانة شعبها الثائر المؤمن المجاهد .

ان مخطط صناعة الصناديق والاقفال الجديدة التي تصمم على اعين المستكبرين بعد انتصار الثورة يستهدف اخماد صوتها الاسلامي الثوري الاصولي الهادر المنطلق من ايران نحو العالم الاسلامي، ليتحقق لهم فصل المسلمين عنها ومنعهم من التفاعل معها والسير على نهجها .

ان النبي ﷺ يبشر امته بهذه الثورة الموطنية لولده المهدي عليه السلام ويدعوها

الى وجوب الالتحاق بركبها وينذرهما ويحذرهما من خطورة الصناديق والاقفال التي تصنع في داخل بلادها وخارجها على اعين اعداء الله لضرب هذه الثورة وفصل الامة عنها، ويأمر النبي ﷺ المسلمين جميعاً بتحطيم هذه الصناديق وتكسير اقفالها مهما كان حجمها وقوتها، لانها صناديق وهمية ظالمة لا تريد لهم الا البقاء في اغلالهم واصفادهم في قبضة الحكام الظالمين مستعبدين اذلاء تحت سلطة المستكبرين وفي دائرة نفوذهم السياسي .

الزحف لتحرير القدس

«تخرج من خراسان رايات سود، فلا يردها شيء حتى تنصب بايلياء»^(١) ... فلا يلقاهم احد الا هزموه، وغلبوا على ما في ايديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس»^(٢) .

ايلياء هي القدس المغتصبة التي عجز حكام العرب المستبدلون عن استرجاعها وتحريرها من ايدي اليهود الناصيين، فاذا قام ابناء فارس بثورتهم الموطئة للمهدي عليه السلام عند ذلك تبدأ بشائر تحرير القدس تلوح في الافق الاسلامي، وتعرف اعلام الثورة والنصر على رؤوس اهلها المشردين خارج الحدود، والقاطنين في داخلها تحت قبضة اليهود .

فان حاولت جيوش الضلال والنفاق العربية الموالية لليهود والنصارى المتمثلة بالرايات العباسية، والمروانية^(٣)، والسفانية، والمغربية الصفاء اعتراض طريق الثوار الزاحفين من ابناء فارس نحو القدس سوف

(١) حديث رقم: ٢٩ .

(٢) حديث رقم: ٣٢ .

(٣) الراية المروانية تحكم بلاد دمشق قبل الراية السفانية في آخر الزمان .

راجع : حديث رقم: ٤٢ .

يكون مصيرها الانكسار، والهزيمة، والدمار تاركة معداتها العسكرية
واسلحتها القتالية غنائم وافرة لابطال تحرير فلسطين الذين لا يلقاهم احد الا
هزموه، وغلبوا على ما في ايديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس .

فالزحف الاسلامي الجهادي الموطنى للمهدي عليه السلام القادم من بلاد ايران
نحو بيت المقدس يختلف عن كل زحف سابق عليه، لأنه يمتلك عزيمة ثابتة،
وتصميماً قاطعاً، واصراراً كاملاً، وايماناً راسخاً يتحدى به كل ما يواجهه من
مؤامرات، ويذل كل ما يلاقيه من عقبات تحاول اعتراض طريق جهاده نحو
فلسطين باعتباره زحف الهي مقدس صدر الوعد^(١) به من الله في قوله تعالى :
﴿فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾^(٢)، فلا بد من وصول رجاله
المجاهدين من الايرانيين وانصارهم الى بيت المقدس .

ولكن تحرير فلسطين وتحقيق النصر النهائي على اليهود ليس امراً سهلاً
هيناً يتم على ايدي ابناء فارس بين عشية وضحاها في معركة خاطفة كما قد
يُفهم من كلمات البشارة النبوية، بل تدل الاخبار الخاصة به أنه يمرّ بثلاث
جولات من المعارك بين الايرانيين وانصارهم من جهة وبين اليهود وعملائهم
من جهة اخرى، وهو المستفاد ايضاً من آيات سورة الاسراء الخاصة به .

وهذا امر طبيعي جدا. هل قرأت قضية يوشع بن نون عليه السلام والعقبات
والمعاناة التي واجهتها في طريق تحرير فلسطين من ايدي الجبارين
المغتصبين؟ هل عرفت كيف كان المجاهدون من انصاره يتلقون الطعنات
والضربات من الخلف من اخوانهم مرضى القلوب الذين خانوا رسالة موسى عليه السلام
واعلنوا ولاءهم للجبارين الغاصبين لبلادهم، وشكلوا حزاماً امنياً وحاجزاً

(١) ورد تفسير هذا الوعد الالهي عن الامام الصادق عليه السلام وطبقه على التوار الموطنين .

(٢) سورة الاسراء، الاية: ٥.

دفاعياً خارج فلسطين لحماية دولة الغاصبين، وحاصروا اخوانهم
المجاهدين، في الجبال والغابات والوديان، وشاركوا في تاخير النصر عنهم
سبع سنوات؟

ومثل تلك المأساة والمؤامرات أيضاً سوف تواجه المقاومين المواطنين
وانصارهم من الابدال والتجباء والعصائب، وهم في ثغورهم وطريقهم لتحرير
فلسطين.

﴿ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى يأتي
نصر الله الا ان نصر الله قريب﴾^(١). ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبلكم ولن
تجد لسنة الله تبديلاً﴾^(٢).

تناول الايمان من الثريا

«لو كان الايمان معلقاً بالثريا لناله رجال من ابناء فارس»^(٣).

الايمان درجة في الدين ارقى من الاسلام، والاسلام قمة والايمان
ذروته، فكيف وصل اليه الفرس وتناولوه من الثريا؟ وهاهم اكثر ابناءه الاوائل
ما زالوا في السفح ضائعين تلعب بهم الالهواء السياسية الظالمة، وتمزقهم
التيارات الفكرية والمذهبية المختلفة، وتتحكم بهم القوى العالمية المتصارعة
والمتنافسة على بلادهم.

يعرض هذا الحديث النبوي صورة رائعة مليئة بالحوية عن معاناة الفرس

(١) سورة البقرة، الاية: ٢١٤.

(٢) سورة الاحزاب، الاية: ٦٢.

(٣) حديث رقم: ١٢٧.

في هجرتهم الطويلة ، وهم يحاولون الوصول الى منابع الاسلام الاصيله رغم العقبات الكثيرة التي تعترض طريقهم .

إنها لوحة فنان بارع مبدع ، ترسم حركة تاريخية ضخمة لأمة كبيرة في مسيرة طويلة الأمد في معاناة مرّة شاقة ، انها هجرة قوم سلمان الفارسي ، في رحلة الوصول الى الايمان ، التي يجتازون خلالها صخور بلادهم الجبلية والثلجية ، والعواقب الطبيعية والحضارية ، والحواجز اللغوية والعرقية ، والصراعات المذهبية الدينية والسياسية في داخل الامة الاسلامية ، ليصلوا الى الثريا الى منابع الاسلام الاصيله - القرآن والعتره - الذين قال فيها رسول الله ﷺ لامته : «ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً»^(١) ، فضيهما العرب ووصلت اليهما امة الفرس .

وتذكرنا هجرة ابناء فارس - وهي تبحث عن منابع الاسلام المحمدي الاصيل المتمثل بالقرآن والعتره - بهجرة سيدهم سلمان الفارسي ، يوم ارتحل وحيداً من بلاد الشرك والكفر الى بلاد التوحيد والايمان ، متحملاً شتى انواع الاذى من الجوع ، والتعب ، وذل الاسترقاق ، والازدراء ، والتحقير ، حتى وصل الى معالي اهدافه الى منابع الدين والعلم والايمان الاصيله الى خاتم المرسلين ﷺ والتزمه واخذ ذلك كله منه ، واتخذ اخاه وخليفته علياً اماماً هادياً ، ودليلاً مرشداً واذا بهذه الهجرة الفردية المخلصة الصادقة تتحول عبر القرون والاجيال الى هجرة للامة الفارسية بكاملها الى منابع الاسلام الاصيله الى الثريا الى القرآن والعتره مقتدية بهجرة ذلك الصحابي المجاهد الكبير والعارف العظيم .

(١) حديث الثقلين ، ذكرنا مصادره في الفصل الاول والثاني .

إنها شهادة من الله تعالى بسعادة الفرس بالاسلام، ادلى بها خاتم الانبياء في هذه الكلمات الاربعة. وشهادة من الله عالم الغيب والشهادة، بهذا المستوى من العظمة، لا بد ان تكون محسوسة مشهودة يحس بها ابناء فارس كواقع ملموس في حياتهم، ويشهد لهم بها العالم كله، يوم يستنشقون وهدمهم هواء الحرية ويتذوقون وهدمهم طعم الامان ونعمته وحلاوة الجهاد وبركته، وهم يحملون الدعوة لرسالة الله من اجل اعلاء كلمته، في ظلال دولتهم الاسلامية الموطئة للامام المهدي عليه السلام في آخر الزمان، في عصر يملأ المستكبرون والجبارون الارض ظلماً وجوراً والبلاد والعباد خوفاً ورعباً، واضطهاداً وضلالاً وفساداً.

واي سعادة لابناء فارس اعظم من ان تصيح بلادهم معقلاً للجهاد والشهادة وباباً من ابواب الجنة تستقبل ملائكة السماء من على ارضها قوافل الشهداء الذين يقدمونهم قرايين في سبيل اعلاء كلمة الله واحياء دينه وتشييد اركان رسالته.

واي سعادة اعظم من ان ينالوا شرف تحرير القدس السليبية، ويتحملوا الثقل الاكبر في التمهيد للامام المهدي عليه السلام المنتظر الذي ينقذ البشرية كلها من ظلم المستكبرين ويهزم الكفر والشرك كله، ويظهر الارض من الوان الظلم والفساد، ويكون ابناء فارس في طليعة المجاهدين الذين يؤسسون اركان دولته ويشيدون بنيانها.

واي سعادة اعظم من بلوغهم درجة الكمال في الايمان بعد تمسكهم بالكتاب وبولاية أهل البيت، اللذين ما ان تمسك بهما مسلم فلن يعرف الضلال

(١) حديث رقم: ١٤٣.

والضياع والشقاء في الدنيا ابداً، وهو في يوم القيامة مع محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين في النعيم خالداً .

من ثغور الموطئين الجهادية

عن النبي ﷺ قال: «بابان مفتوحان في الدنيا للجنة، عبادان وقزوين»^(١)، نعم السكن حينئذ عبادان، النائم فيها كالمجاهد في سبيل الله^(٢)... قزوين الشهداء فيها يعدلون عند الله شهداء بدر»^(٣). «لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على ابواب الطالقان وما حولها، ظاهرين على الحق لا يباليون من خذلهم، ولا من نصرهم، حتى يخرج الله كنزه من الطالقان فيحيي بهم دينه كما أميت من قبل»^(٤). «وان لآل محمد بالطالقان لكثرأ سيظهره الله اذا شاء، دعاة حق يقومون باذن الله فيدعون الى دين الله»^(٥).

تذكر هذه الاحاديث ثلاثة ثغور لدولة الموطئين، وهي: قزوين، والطالقان، وعبادان. وستشهد هذه الثغور اعنف المعارك بين المجاهدين الايرانيين واعداء ثورتهم الاسلامية. و(قزوين) مدينة ايرانية شهيرة، بينها وبين (طهران) العاصمة سبعة وعشرون فرسخاً، فتحت في خلافة عثمان على يد الصحابي البراء بن عازب سنة (٢٤هـ)، وكانت في فترة من الزمن عاصمة لبلاد ايران.

والاخبار في فضلها والحث على المرابطة والقتال والشهادة في ثغورها

(١) حديث رقم ١٩.

(٢) حديث رقم ٢٠.

(٣) حديث رقم ١٠٠.

(٤) حديث رقم ٢٣.

(٥) حديث رقم ٢٢.

كثيرة . اشترك في روايتها عن النبي ﷺ عدد كبير من الصحابة ، منهم : الامام علي عليه السلام ، وابو ذر الغفاري ، وجابر بن عبدالله الانصاري ، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عباس ، وانس ، وابو الدرداء ، وبريدة الاسلمي ، وأوس بن عبدالله ، وابو هريرة ، وآخرون .

اما (الطالقان) فهي مجموعة قرى متفرقة تحيط بهاجبال واودية كثيرة ، متصلة بمدينة قزوين وتأتي بعدها من حيث الفضل واهمية المرابطة والقتال والشهادة على ارضها في روايات أهل السنة . مدينة (قزوين) ثم مدينة (عبادان) بعدهما .

(وعبادان) تعتبر احدى أهم مدن ايران من حيث الثروة النفطية ، ففيها اكبر واشهر مرفأ في العالم لتكرير النفط الخام وتصديره ، وتقع في جنوب ايران على الحدود العراقية من جهة مدينة البصرة .

ومن الملاحظ ان الاحاديث التي ذكرت فضل المرابطة والشهادة في هذه المدن الثلاثة ، خصت ذلك الفضل والمديح والثناء باهل آخر الزمان ، مما يؤكد انها معنية بوصف الجانب الجهادي من حركة ثورة المواطنين التي تنطلق من بلاد ايران في آخر الزمان .

والتركيز على هذه المدن الايرانية في الحديث عن معارك المواطنين الجهادية يدل بانها ستشهد اكبر الملاحم القتالية واعنفها خطورة واشدها ضراوة بين الثوار الايرانيين والمعتدين على دولتهم .

ومعارك الايرانيين مع اعدائهم في جبهة عبادان ذكرت بصراحة في عدد من الاحاديث النبوية التي مرت علينا سابقاً^(١) ، ويقدم المواطنون في هذه الجبهة اكثر شهدائهم . وهو معنى الحديث القائل : «اكثر قتلاهم فيما يلي

(١) راجع حديث رقم : ٩٨ .

المشرق»^(١).

اما معاركهم في جبهة قزوين فلا نعرف عنها شيئاً في روايات أهل السنة .
نعم وردت روايات مجملة بشأنها من طرق أهل البيت عليهم السلام سنتطرق لها في
الحلقة الخاصة باخبار الموطئين المروية من طرق أهل البيت عليهم السلام ان شاء الله
تعالى .

اما معاركهم في ثغور الطالقان ، فانها ترتبط بالفتنة السياسية الداخلية ،
التي ستعصف بالمجتمع الايراني نتيجة لمؤامرة داخلية تستهدف اسقاط دولة
الموطئين ، وحرف مسيرة ثورتهم الاسلامية عن دورها الرسالي والجهادي
الممهد لثورة الامام المهدي العالمية .

وعلى اعقاب مؤامرة اسقاط الدولة الموطئة تخرج كنوز الله تعالى من
الطاقان ، وهي ليست من ذهب ولا فضة ، وانما هم دعاة حق ورجال حرب
وجهاد ، يقومون باذن الله فيدعون الى دين الله لاحيائه من جديد في بلادهم ،
بعد محاولة سحقه واماتته .

ومعارك الموطئين في ثغور الطالقان ضد المتآمرين على ثورتهم ترتبط
مباشرة بحركة الثورة المهدوية العالمية ، لان قيادتها العسكرية من وزراء
المهدي عليه السلام ومن اصحابه المقربين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين .

يقرأون القرآن ويدعون الى الجهاد والشهادة

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما من قوم أحبُّ الى الله تعالى من قوم
حملوا القرآن وركبوا الى التجارة التي ذكرها الله ﴿تنجيكم من عذاب أليم﴾ .
قرأوا القرآن وشهروا السيوف ، يسكنون بلدة يقال لها : (قزوين) . يأتون يوم

(١) راجع حديث رقم : ١٤ .

القيامة وأوداجهم تنظر دماً، يحبهم الله ويحبونه، تفتح لهم ثمانية ابواب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا من ايها شئتم»^(١).

وصف رسول الله ﷺ في هذا الحديث التلة المجاهدة في حركة المواطنين، بنفس الاوصاف القرآنية الخاصة بالمجاهدين في قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم؟ تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم. ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار، ومسكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم. واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين»^(٢).

ومما يلفت الانتباه ان هذه الايات جاءت مباشرة في سورة (الصف) بعد الايات المبشرة بظهور الامام المهدي عليه السلام، وقضائه على الاديان الكافرة والمشاركة كلها وانتصار الاسلام على يديه عالمياً في قوله تعالى: ﴿يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(٣).

وقد المحنا الى بعض المعاني لتفسير هذه الآيات في الفصل الاول عندما تكلمنا عن الولاية السياسية بين اليهود والنصارى التي تستهدف - في آخر الزمان - ضرب الاسلام واطفاء نوره، عندما يعود من جديد لقيادة الحياة في بلاد ايران. وذكرنا هناك ان الله تعالى سيحبط مخطط الكافرين والمشركين على يد وليه الاكبر القائد المهدي المنتظر. وهذا ما صرحت به الاخبار الصحيحة من

(١) حديث رقم: ١٨.

(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ - ١٣.

(٣) سورة الصف، الايتان ٨ - ٩.

طريق الفريقين (١).

وذكر النبي ﷺ في حديث جابر وصفاً آخراً للمجاهدين الإيرانيين في ثغور قزوین وهو قوله ﷺ: «يحبهم ويحبونه». وهو الوصف المذكور لهم في سورة المائدة التي هدت المجتمع العربي بالطرد والاستبدال من موقع قيادة الامة، والاتيان بقوم أفضل منه لهذه المسؤولية الالهية العظيمة، قوم يحبهم الله ويحبونه، لا تأخذهم لومة لائم في قتال الكافرين والمشركين من اليهود والنصارى.

وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾ (٢).

ومن الاوصاف التي ذكرها رسول الله ﷺ في حديث جابر الخاصة بالمجاهدين في مجتمع الموطنين، والمرابطين منهم في ثغور قزوین هي: أنهم على علاقة دائمة صميمية بكتاب الله، يقرأونه آناء الليل واطراف النهار، ويرتلونه ترتيلاً، ويحملون رسالته للعالمين، في الامن والسلام، وفي جبهات الجهاد وسوح القتال والشهادة. كما وصفهم النبي ﷺ: «قوم حملوا القرآن... قرأوا القرآن، وشهروا السيوف...». ونظير هذا الوصف قوله: «أهل المشرق

(١) راجع: مقدمة كتابنا (مبادئ الثقافة المهدوية). فقد ذكرنا اخبار الفريقين التي تعرضت لتفسير هذه الاية، ومنها هذا الخبر عن ابن عباس، قال: «لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة الا الاسلام... حتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، فيتحقق قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، وذلك عند قيام القائم ﷺ. يعني الامام المهدي. كتاب المحجة، ص ٨٦.

(٢) سورة المائدة، الاية: ٥٤.

كأن قلوبهم زير الحديد، رهبان في الليل، ليوث في النهار»^(١).

والاحاديث المروية من طرق الفريقين تؤكد بشكل واضح وصريح بان حملة رسالة القرآن في آخر الزمان هم المجاهدون من قوم سلمان^(٢)، باعتبارهم المجتمع الاسلامي الذي اختاره الله قاعدة لنشر رسالة الاسلام في العالمين، ومواصلة المسيرة النبوية بعد تراجع المجتمع المستبدل عنها. ومن المحتم ان يواجه الثوار الايرانيون مختلف الصعوبات وهم يحاولون اعادة رسالة القرآن في ابعادها السياسية الى واقع الامة، التي انحرفت عن الاسلام واصبحت اسيرة بيد اعدائها من اليهود والنصارى ووكلائهم من مرضى القلوب.

ولا بد ان تفرض عليهم تلك الصعوبات، وان يحملوا السلاح بيد ورسالة القرآن باليد الاخرى، ليرعبوا المتآمرين على الاسلام، وينقذوا الامة من اسر اعدائها، ويحطموا الاغلال التي تكبل ايديها، ويحققوا اهداف الدين في الحياة تحت ظل السيف.

ان المجتمع الرسالي المتفاعل مع رسالة القرآن بوحي وصدق واخلاص، ويتفهم اهدافها الالهية، ويسعى لتطبيق تكاليفها الايمانية، والشرعية، والجهادية، والسياسية في واقعه، ويقدم العالي والنفيس من اجل تحكيم مبادئها، وقيمتها، واهدافها في العالمين. أهلاً ان تفتح له ابواب الجنة الثمانية، ويقال لابنائهم المجاهدين: ادخلوا من اي باب شئتم.

(١) حديث رقم: ٧٥.

(٢) وما جاء في احاديث أهل البيت عليهم السلام عن الامام علي عليه السلام قال: «كأنني بالمجم قد نصبتوا

فساططهم في مسجد الكوفة، يطمون الناس القرآن كما نزل...».

كتاب القبية، للنعماني، ص ٣٦٨، حديث ٥.

والفسطاط: الخيمة، وجمعها فساطط.

وهكذا يتضح ان حديث جابر عن النبي ﷺ في فضل المرابطين من
الاييرانيين في ثغور قزوين، هو من اكمل الاحاديث الغيبية وأدقها في وصف
حركة ثورة الموطينين، ودورهم الجهادي والرسالي في مواجهة اعداء الامة،
وتطبيق اهداف الدين في الحياة. لانه استطاع ان يجمع بين اوصاف المجتمع
البديل المذكورة له في آيات الاستبدال، وبين اوصافه المذكورة في الاحاديث
المبشرة بثورته الموطئة للمهدي عليه السلام.

وقد استهدف رسول الله ﷺ في هذا الحديث التأكيد للامة بأن ثورة
الموطينين هي التطبيق الواقعي لحركة الاستبدال في آخر الزمان الموعودة في
القرآن.



خاتمة الكتاب

مع خاتمة الكتاب

بعد أن اكمل القارئ العزيز مطالعة هذا الكتاب لاشك انه وجد قانون الاستبدال الالهي، بعوامله السلبية والايجابية، وبنصوصه القرآنية والنبوية، هو الأساس المتين لاثبات حتمية قيام ثورة المواطنين، والمنطلق لتكامل صرحها الفكري الشامخ في التصور الاسلامي، وايضاح أهدافها العقائدية والسياسية والجهادية في صراعها مع أئمة الكفر من اليهود والنصارى، ورؤوس الضلال من المنافقين ومرضى القلوب في الامة، وعلاقة ذلك كله بالمؤامرة الدولية على الاسلام المحمدي الاصيل الذي ستنتقل ثورته من بلاد ايران في آخر الزمان. ولقد بات واضحاً من خلال مطاف البحث أن أدلة النصوص القرآنية الصريحة، والنبوية المتواترة والصحيحة، بالاضافة الى معطيات الواقع التاريخي والموضوعي المعاصر للمجتمعين العربي والفارسي في ماضيه وحاضره، هي التي فرضت علينا الايمان بصحة هذه الحتمية الالهية والبيشارة النبوية التي لا بد ان يشهد العالم تفجر بركان ثورتها الاسلامية على ربوع بلاد فارس لتقوم بدور التمهيد سياسياً وفكرياً وجهادياً للثورة المهدوية العالمية المرتقبة.

وبات واضحاً ايضاً انه ليس لكاتب هذا الكتاب من دور هام في اثبات

هذه الحقيقة الغيبية الا بقدر الاخذ بالايدي والابصار والافكار نحو نصوصها
القرآنية والنبوية لتكتشفها وتنتظر من خلالها الى صرحها الفكري الشامخ باكبار
واعجاب لانها من اكبر واوضح دلائل نبوة خاتم المرسلين في آخر الزمان .

مدح الفرس وذم العرب

لعل بعض القراء يستشعرون في كلمات الكتاب واسلوبه ، بعض القساوة
والتحامل على المجتمع العربي المسلم صاحب الفضل الاول في حمل رسالة
الدين الى العالمين والذي عمل قروناً طويلة على ترسيخ مفاهيمها الالهية
وقيمها الدينية ، ومبادئها السياسية والتشريعية والجهادية في شرق الارض
وغربها ، فكان القاعدة الاجتماعية الاولى التي اختارها الله تعالى منطلقاً
لتجربة الاسلام السياسية بقيادة خاتم المرسلين ﷺ .

والانصاف أن المتأمل في معاني تلك الكلمات القاسية وسياقها في
البحث سوف يجد لفة النصوص القرآنية والنبوية وأدلتها الواضحة هي التي
قسّت على العرب المستبدلين وتناولتهم باعنف الكلمات ووصفتهم باهجن
الاصواف ، كالنفاق ، والارتداد ، ومرض القلب ، والولاية لليهود والنصارى ،
والجبن في قتال الكافرين ، واستيلاء الوهن على قلوبهم ، والافساد في
الحكم ، وقتل عترة النبي ﷺ بعد اغتصاب حقوقهم وتشريدهم ومطاردتهم
في البلاد ، وتهديم بيت الله وتعطيل دوره ، وهجر شريعة القرآن ، وقطع
الارحام ، والركون الى الظالمين ... والتاريخ الاسلامي الذي خضع لتجربة
الدين السياسية التي أشرف على قيادتها العرب المغتصبون لخلافة أهل بيت
رسول الله ﷺ وأيضاً الواقع السياسي للمجتمعات العربية المعاصرة يصادق
على كل هذه الاصواف التي وصفهم بها الوحي في مغيباته القرآنية والنبوية .
وكل هذه الاصواف السلبية انما لحقتهم نتيجة انحرافهم عن مقومات

المجتمع الرسالي الثلاثة فهم لم يتسكروا بالتقلين وهما الكتاب والعترة اللذان قال فيهما رسول الله ﷺ «ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي أبداً». واتمسك بالتقلين من أهم مقومات المجتمع الرسالي الملتزم بحق الطاعة والعبودية المخلصة والمطلقة لله تعالى، بالإضافة الى تخليهم عن نهج الثقلين الجهادي في حماية المجتمع الاسلامي من الكفر والنفاق والضلال.

ان المتأمل في تلك الكلمات القرآنية والنبوية، التي تذم المجتمع العربي، يعلم بل يقطع بأنها لم تقصد منه الا الجماعات المنحرفة عن نهج الاسلام المحمدي الاصيل، المستمد من الثقلين وبالاخص حكام العرب اولياء اليهود والنصارى، والجماعات الاسلامية المزيفة المتاجرة سياسياً بالاسلام والامة، وعلماء الدين المرتزقة المترفين المتخاذلين عن الجهاد، وكل من اقتدى بهؤلاء الثلاثة خونة الامة والرسالة، وسار على نهجهم في المجتمعات العربية.

اما الجماعات الاسلامية المؤمنة المجاهدة، التي لا تركز للظالمين ولا توالي اليهود والنصارى، فهذه خارجة تخصصاً عن عموم الخطابات التي تذم المجتمع العربي بسبب انحرافه عن نهج الايمان وابتعاده عن شريعة القرآن.

والكلام نفسه يقال بالنسبة للنصوص التي تمدح قوم سلمان في آخر الزمان، فانها على اطلاقها وعمومها لا تشمل الا القائد الأعلى لثورتهم الاسلامية والمؤمنين الساترين على نهجه والممثلين لتوجهاته المستمدة من الثقلين، وفي طبيعتهم كنوز الطالقان والقيادات المخلصة والجماعات المؤمنة المجاهدة التي لا توالي اليهود والنصارى في تجربة المواطنين للمهدي ﷺ.

أما الجماعات والقيادات الاسلامية الخائنة من رجال ثورة المواطنين للمهدي والمنحرفة عن نهج الثقلين والتمردة على قيادة الولاية الالهية التي اختارها الله تعالى من قوم سلمان لقيادة الامة في صراعها مع الكفر والنفاق في آخر الزمان، فهذه خارجة تخصصاً عن عموم تلك الخطابات، بل وردت

أحاديث صريحة عن أهل البيت عليهم السلام بدمهم، بعد أن وصفتهم بالشيعة المتتمردين على قيادة وتوجيهات الولاية الالهية .

نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا، ونسأله العاقبة على الهدى، حين حلول العلامات الاخيرة المتلاحقة المبشرة بظهور الامام المهدي عليه السلام التي وصفها النبي صلى الله عليه وآله بـ «نظام الخرز» أو «كعقد انقطع سلكه» حيث يصبح المؤمن كافراً والكافر مؤمناً من شدة الفتن، التي تترك الحليم حيران، ومن يشق الشعرة بشعرتين مذهباً على حد تعبير خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله فلا يهتدي الى الحق فيها الا من اقتبس من نور الامامة والولاية، واغترف من هديها وهداها، وسيفرق في ظلام الضلال اولئك الذين يعتقدون بان علامات الظهور ليس الهدف من ورائها الا بعث الامل في نفوس المسلمين عند حالات اليأس واشتداد الفتن. فلم يلتفتوا الى هداها ونورها واهدافها الرسالية والسياسية العظيمة، وغابت عليهم كما غابت على بعض الصحابة اهداف وفوائد المغيبات النبوية الخاصة بملاحم امير المؤمنين عليه السلام في معارك الجمل، وصفين، والنهران، وانطلقوا يحاربون رمز العدل وصوت الحق الذي دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله لمتابعته حتى لو سلك الناس كلهم في واد وسلك هو لوحده في واد آخر. فعميت بصائرهم عن الحق وراية الهدى قبل أن تعمى ابصارهم، وهكذا سيكون الموقف من قضية المواطنين في واقع بعض المسلمين، والتاريخ يعيد نفسه، ولتسبع سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ...

هذا آخر ما خطه القلم، بيد اقل طلبية العلم مهدي الشهير بالفتلاوي، العراقي مولداً ونشأة، اليماني والطائي اصلاً ونسباً. والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة على محمد وأهل بيته الاطهرين في البداية والنهاية ...



مصادر الكتاب

كتب التفسير

القرآن الكريم

- ١- التفسير الكبير للفخر الرازي
- ٢- المحجة للعلامة البحراني
- ٣- تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي
- ٤- تفسير البيضاوي
- ٥- تفسير الثعلبي
- ٦- تفسير الدر المنثور للسيوطي
- ٧- تفسير الصافي للفيض الكاشاني
- ٨- تفسير الطبري
- ٩- تفسير القرطبي
- ١٠- تفسير الكشاف للزمخشري
- ١١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني
- ١٢- غريب القرآن للراغب الاصفهاني

كتب الحديث

- ١٣- التذكرة للقرطبي
- ١٤- الجامع الصغير للسيوطي
- ١٥- الرياض النضرة للمحب الطبري
- ١٦- الفتاوى المدنية لابن حجر
- ١٧- المصنف لابن ابي شيبة
- ١٨- المصنف للصنعاني
- ١٩- المطالب العالية للهيتمي
- ٢٠- المعجم الأوسط للطبراني
- ٢١- الموطأ للإمام مالك
- ٢٢- بحار الانوار للمجلسي
- ٢٣- تلخيص مستدرک الصحيحين للذهبي
- ٢٤- جامع الاصول لابن الاثير
- ٢٥- جمع الجوامع للسيوطي
- ٢٦- حلية الاولياء لابن نعيم
- ٢٧- خصائص النسائي للنسائي
- ٢٨- دلائل النبوة للبيهقي
- ٢٩- ذخائر العقبي للطبري
- ٣٠- سنن ابن ماجة
- ٣١- سنن ابي داود
- ٣٢- سنن الدارمي
- ٣٣- سنن الداني

- ٣٤- سنن النسائي
 ٣٥- صحيح البخاري
 ٣٦- صحيح الترمذي
 ٣٧- صحيح مسلم
 ٣٨- فرائد السمطين للحمويني
 ٣٩- خريدة العجائب لابن الوردي
 ٤٠- كنز العمال للمتقي الهندي
 ٤١- كنوز الحقائق للمناوي
 ٤٢- مجمع الزوائد للهيثمي
 ٤٣- مستدرک الصحيحين للحاكم
 ٤٤- مسند احمد بن حنبل
 ٤٥- مسند الحميدي للحافظ الحميدي
 ٤٦- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي
 ٤٧- مشكل الآثار للطحاوي
 ٤٨- مصابيح السنة للبغوي
 ٤٩- وسائل الشيعة للحر العاملي

كتب التاريخ والسیر

- ٥٠- ابو حنيفة تاريخه وعصره أبو زهرة
 ٥١- اسد الغابة لابن الاثير
 ٥٢- اعيان الشيعة للاميني
 ٥٣- الاخبار الطوال للدينوري

- ٥٤- الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر
- ٥٥- الامام الحسين عبدالله العلاني
- ٥٦- الامام الشافعي أبو زهرة
- ٥٧- الامامة والسياسة لابن قتيبة
- ٥٨- البدء والتاريخ للبليخي
- ٥٩- التهذيب لابن عساكر
- ٦٠- السيرة الحلبية للشافعي
- ٦١- الطبقات الكبرى لابن سعد
- ٦٢- العقد الفريد لابن عبد ربه
- ٦٣- المسالك والممالك للاصطخري
- ٦٤- الملل والنحل للشهرستاني
- ٦٥- انساب الاشراف للبلاذري
- ٦٦- تاريخ ابي الفداء
- ٦٧- تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي
- ٦٨- تاريخ الطبري
- ٦٩- تاريخ الغيبة الصغرى لمحمد الصدر
- ٧٠- تاريخ الغيبة الكبرى لمحمد الصدر
- ٧١- تاريخ المذاهب الاسلامية محمد أبو زهرة
- ٧٢- تاريخ اليعقوبي
- ٧٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
- ٧٤- تاريخ قم للحسين بن علي القمي
- ٧٥- تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر
- ٧٦- تاريخ مذهبي قم (بالفارسية) علي اصغر فقيهي

- ٧٧- تذكرة الحفاظ للذهبي
 ٧٨- ثورة الحسين محمد لشمس الدين
 ٧٩- فذك في التاريخ للشهيد محمد باقر الصدر
 ٨٠- كتاب العبر لابن خلدون
 ٨١- مروج الذهب للمسعودي
 ٨٢- مقاتل الطالبين للراغب الاصفهاني
 ٨٣- مقتل الحسين للخوارزمي
 ٨٤- مناقب ابي حنيفة للمكي
 ٨٥- مناقب ابي حنيفة للموفق بن أحمد
 ٨٦- مناقب الشافعي للرازي

كتب مهدوية

- ٨٧- ابراز الوهم المكنون احمد بن الصديق الازهري
 ٨٨- البرهان في علامات مهدي آخر الزمان للمتقي الهندي
 ٨٩- البيان في اخبار صاحب الزمان للحافظ الكنجي القرشي
 ٩٠- الفتن لابن حماد
 ٩١- القول المختصر لابن حجر الهيتمي
 ٩٢- الملاحم والفتن لابن المنادي
 ٩٣- الملاحم والفتن لابن طاووس
 ٩٤- شرح القطر الشهدي لمحمد الشافعي
 ٩٥- عصر الظهور للشيخ الكوراني
 ٩٦- عقد الدرر ليوسف الشافعي

٩٧- كتاب الغيبة للطوسي

٩٨- مبادئ الثقافة المهدوية للمؤلف

٩٩- الاشاعة للبرزنجي

كتب متفرقة

١٠٠- اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي

١٠١- اضواء على السنة المحمدية محمد أبو رية

١٠٢- الحاوي للفتاوى للسيوطي

١٠٣- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي

١٠٤- الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي

١٠٥- الفتوح لابن أعثم

١٠٦- الفتوحات الملكية لابن عربي

١٠٧- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي

١٠٨- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية الدكتور الشيببي

١٠٩- الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني

١١٠- القول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد

١١١- الكنى والاسماء

١١٢- المتفق للخطيب

١١٣- المراجعات لشرف الدين

١١٤- المقالات والفرق لسعد بن خلف

١١٥- الموافقات للشاطبي

١١٦- النص والاجتهاد لشرف الدين

- ١١٧- النهاية في اللغة لابن الاثير
١١٨- تذكرة الموضوعات
١١٩- جامع البيان للطبري
١٢٠- خريدة العجائب لابن الوردي
١٢١- رجال النجاشي
١٢٢- سفر التكوين
١٢٣- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
١٢٤- فتح الباري للعسقلاني
١٢٥- فيض القدير للمناوي
١٢٦- لسان العرب لابن منظور
١٢٧- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني
١٢٨- لوائح الانوار الالهية للسفاريني
١٢٩- مشارق الانوار للشيخ حسن المصري
١٣٠- معالم المدرستين مرتضى العسكري
١٣١- معجم البلدان للحموي
١٣٢- معجم المؤلفين رضا كحالة
١٣٣- مغني اللبيب لابن هشام الانصاري
١٣٤- مقدمة ابن خلدون
١٣٥- نور الابصار للشلبنجي
١٣٦- نهاية البداية لابن كثير الحنبلي
١٣٧- نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح
١٣٨- نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي
١٣٩- هوية التشيع الدكتور الوائلي

فهرست الموضوعات

٥	الاهداء
٧	مقدمة الطبعة الثانية
٩	مقدمة الطبعة الاولى
١٥	المدخل
١٧	تفسير المغيبات القرآنية
١٨	قانونان إلهيان
١٩	قانون الاستبدال
٢٠	هل تحقق الاستبدال في التاريخ. التاريخ؟
٢٦	مبدأ اتباع سنن الماضين
٣١	الفصل الأول: الاستبدال الموعود في القرآن
٣٤	تفسير النص القرآني الأول
٣٥	الولاية بين اليهود والنصارى
٣٥	معنى الولاية
٣٦	رأى العلامة الطباطبائي
٣٨	رأى الفخر الرازي
٤٠	الرأى الصحيح
٤٢	بداية الولاء السياسي بين اليهود والنصارى

٤٦	موالاة مرضى القلوب لليهود والنصارى
٤٦	من هم مرضى القلوب؟
٥٠	ولاية اليهود والنصارى على المسلمين
٥٢	الفتح الإسلامي الموعود
٥٥	الارتداد والمرتدون
٥٧	الرأي الصحيح
٥٨	المجتمعان المستبدل والبديل
٦٢	رأيان آخران
٦٤	سؤال وجيه
٦٥	الولاية في المجتمع الاسلامي
٦٥	سبب نزول الآية
٦٧	تفسير الآية
٧٢	تفسير الآية بالسيرة النبوية
٧٥	سند حديث المنزلة
٧٦	بين خطبة الغدير وآية الصدقة بالخاتم
٧٨	شمول الآية لأهل البيت
٨١	مع الفخر الرازي في تفسير الآية
٨٧	أتباع الولاية هم الغالبون
٨٩	معارك حزب الله في آخر الزمان
٩٣	تفسير النص القرآني الثاني
٩٩	الفصل الثاني: الاستبدال في الاحاديث النبوية والتاريخ الاسلامي
١٠١	القسم الاول: الاستبدال في الاحاديث النبوية
١٠١	أهمية السنة في فهم القرآن

- ١٠٣ دور السنّة في فهم المغيبيات القرآنية
- ١٠٤ الاستبدال في السنة النبوية
- ١٠٤ مَنْ هو المجتمع المستبدل ؟
- ١٠٦ الصحابة في دائرة المجتمع المستبدل
- ١٠٧ أولاً: موقف الصحابة من الخلافة
- ١٠٧ الصراع على الخلافة
- ١٠٨ وصول ائمة الضلال للخلافة
- ١١٠ ورثة ائمة الضلال
- ١١٢ أصحاب الحق المغتصب
- ١١٣ نهاية فتنة الخلافة في الدنيا
- ١١٤ نهاية فتنة الخلافة يوم القيامة
- ١١٦ ثانياً: موقف الصحابة من تطبيق الاسلام
- ١١٩ ثالثاً: موقف الصحابة من فريضة الجهاد
- ١٢٠ المساحة الاجتماعية للاستبدال
- ١٢١ ذم المجتمع العربي المستبدل
- ١٢٦ الوعيد بعقوبة العرب
- ١٢٧ أوّل العقوبة تحل بقريش
- ١٢٧ يعاقبهم الله تعالى بالمهدي
- ١٢٩ مدح المجتمع الفارسي البديل
- ١٣١ القسم الثاني: الاستبدال في التاريخ الاسلامي
- ١٣١ الاستبدال في التاريخ
- ١٣١ الاستبدال في تاريخ المجتمع العربي
- ١٤٩ عوامل التخاذل عن الجهاد

- ١٥٢ المجتمع العربي على سنن الماضين
- ١٥٧ الاستبدال في تاريخ المجتمع الفارسي
- ١٥٨ اسلام فارس
- ١٦٢ دور الفرس في النهضة الثقافية
- ١٦٦ كيف دخل التشيع بلاد فارس ؟
- ١٦٨ كيف انتشر التشيع في بلاد فارس ؟
- ١٧٨ فارس على خطى كربلاء
- ١٨٢ عودة فارس الى الاسلام
- ١٨٥ الفصل الثالث: ثورة المواطنين للمهدي الجانب التطبيقي للاستبدال
- ١٨٧ العلاقة بين الاستبدال والمواطنين
- الموضوع الاول: ظهور راية المواطنين للمهدي (ع) عرض
موضوعي وثانقي لاحاديث ثورة المواطنين للمهدي (ع)
- ١٨٩ منذ انطلاقتها حتى تسليم رايته لها
- ١٩١ اخبار ثورة المواطنين
- ١٩١ تقسيم أخبار المواطنين
- ١٩٢ عرض اخبار المواطنين
- ١٩٣ ظهور راية المواطنين
- ١٩٤ وجوب نصره الراية الموطئة
- ١٩٦ المواطنون مؤيدون بنصر الله وكلمته
- ١٩٨ الجنان تستقبل شهداء المواطنين
- ١٩٩ المواطنون وعودة الدين الى قيادة الحياة
- ٢٠١ ولاء المواطنين لأهل البيت (ع)
- ٢٠٤ تحرير المواطنين للقدس

- ٢٠٧ معركة الموطئين مع المغربيين
- ٢٠٨ اختلاف الموطئين فيما بينهم
- ٢٠٩ السفياي يخرج الموطئين من فلسطين
- ٢١٢ السفياي يواصل معاركه ضد الموطئين وانصارهم
- ٢١٣ انتصار الموطئين على السفياي
- ٢١٥ مناصرة الموطئين لآخوانهم العراقيين
- ٢١٦ بيعة الموطئين للامام المهدي(ع)
- ٢١٩ احاديث متفرقة حول الموطئين

الموضوع الثاني: الفوارق التاريخية بين ثورة الموطئين

- ٢٢٩ والثورة العباسية
- ٢٣١ الفوارق بين الثورتين
- ٢٣٢ المجموعة الأولى: الاخبار الدالة على وجود ثورتين
- ٢٣٧ المجموعة الثانية: الأخبار التي تدم الثورة العباسية
- ٢٤٠ المجموعة الثالثة: الأخبار التي تمدح ثورة الموطئين
- ٢٤٠ المجموعة الرابعة: الأخبار الخاصة بوصف قيادات الموطئين
- ٢٤٠ القائد الاكبر السيد الخراساني
- ٢٤١ شعيب بن صالح
- ٢٤٣ المجموعة الخامسة: الاخبار الخاصة بمعارك الموطئين
- ٢٤٣ معارك الموطئين قبل الظهور
- ٢٤٤ المعركة الاولى
- ٢٤٦ المعركة الثانية
- ٢٤٨ المعركة الثالثة
- ٢٤٩ المعركة الرابعة

٢٤٩	المعركة الخامسة
٢٤٩	المعركة السادسة
٢٥٠	المعركة السابعة
٢٥٠	معارك المواطنين بعد الظهور
٢٥٣	المجموعة السادسة: الأخبار التي حددت الموقع الجغرافي للمواطنين
٢٥٤	المجموعة السابعة: بعض الأخبار الخاصة بأهداف المواطنين
		الموضوع الثالث: انطباق عوامل الاستبدال الايجابية على
٢٥٧		مجتمع ثورة المواطنين للمهدي(ع)
٢٥٩	تطبيق الاستبدال على الواقع
٢٦٤	حركة الاستبدال في تاريخ المجتمع الايراني
٢٦٥	البشارة باسلام الفرس
٢٦٦	البشارة بطلبهم للعلم
٢٦٦	البشارة بالتزامهم الديني
٢٦٧	البشارة بكمال إيمانهم
٢٦٧	كلمة حول حديث (المناولة من الثريا)
٢٦٨	البشارة بكونهم من الفرقة الناجية
٢٧٢	البشارة بتمسكهم بولاية أهل البيت
٢٧٧	البشارة بكونهم قاعدة الاسلام الثانية
٢٧٩	البشارة بجهادهم لاحياء امر الدين
٢٨٢	البشارة بسعادتهم في ظل الاسلام
٢٨٤	البشارة بهلاك الملوك بعد ثورتهم
٢٨٧	تطبيق الاستبدال على ثورة المواطنين
٢٨٧	العامل الاول: تمسكهم بولاية أهل البيت(ع)

٢٨٨	العامل الثاني: محاولتهم إعادة الدين الى قيادة الحياة
٢٨٩	العامل الثالث: الجهاد لحماية اهداف الدين
٢٩٠	الاستبدال على مستوى النظرية
٢٩٠	الاستبدال على مستوى التطبيق
٢٩٥	الموضوع الرابع: وقفة مع المعارضين لأخبار الموطئين للمهدي
٢٩٧	شبهات على اخبار الموطئين
٢٩٧	مع المتهمين بني العباس بوضعها
٢٩٨	الجواب على هذا الرأي
٢٩٩	علاقة العباسيين بأخبار الموطئين
٣٠٣	اتهام الامويين بوضعها
٣٠٤	اتهام الشيعة بوضعها
٣٠٥	اتهام علماء الفرس بوضعها
٣٠٦	الادلة على صحة حديث مناولة العلم من الثريا
٣١٢	وجود الحديث في مصادر الشيعة
٣١٣	الادلة المثبتة لقضية الموطئين
٣٢٥	الموضوع الخامس: مع الموطئين في تأملات فكرية واعية
٣٢٧	في ظلال أحاديث الموطئين للمهدي
٣٢٨	التحقوا بالرايات الموطئة للمهدي
٣٢٩	الصندوق المقفل ماذا يعني؟
٣٣١	الزحف لتحرير القدس
٣٣٣	تناول الايمان من الثريا
٣٣٥	اسعد الناس بالاسلام فارس
٣٣٦	من ثغور الموطئين الجهادية

٣٣٨ يقراون القرآن ويدعون الى الجهاد والشهادة
٣٤٣ خاتمة الكتاب
٣٤٦ مدح الفرس وذم العرب
٣٤٩ مصادر الكتاب
٣٥٧ فهرست الموضوعات